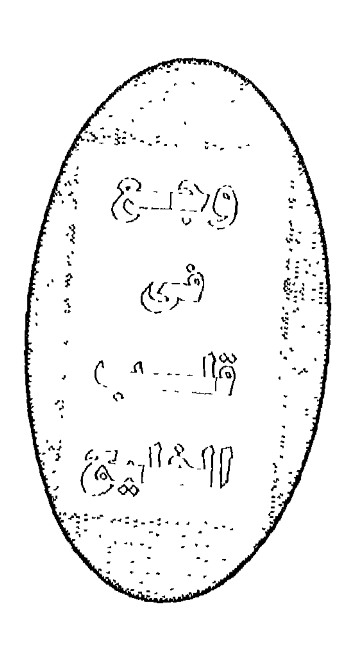


اسم الكتاب	وجع .. فى قلب الخليج
المؤلف	أسامة خليل
الناشر	مركز الراية للنشر والإعلام
حقوق الطبع	محفوظة للناشر
فكرة الغلاف	أحمد فكري
الطبعة	الأولي ١٩٩٦
التوزيع الداخلي	مكتبة فكري ـ ميدان الحسين ت ٩٢٦٢١٩



رقم الإيداع
٩٦/٢٥٣٢

** إهـداء **

إلى من وهبهم الله تعالى .. نعمة البعد عن السلطة .. والسلطان .. لكى لا يأسو على ما فاتهم .

الناشر	المؤلف
أحمد فكرى	أسامة خليل

مقدمة

قديما قال الفيلسوف : « مسكين القريب من السلطان .. إنه كراكب الأسد .. الجميع يرهبونه .. بينما هو فى رعب من هذا الأسد الذى يمكن أن ينقض عليه فى أية لحظة» .

وللأسف فإن هذا الفيسلوف ..على دقته وحسن إصابته بكلماته المعبرة للهدف .. لم يتطرق للأسد نفسه .. أقصد للسلطان .. وأحواله .. وأموره .

والسلطان هو الحاكم أيا كانت تسميته .. ملك .. خليفة .. أمير .. رئيس جمهورية .

ولا شك أن وصول إنسان ما إلى هذا الموقع هو أقصى الدرجات الدنيوية .. سواء جاء إليه المنصب طواعية بأن ساقته إليه الظروف . كما يحدث كثيرا .. أو أنه سعى إليه سعى الدؤوب .. أو أن يكون ممن حصلوا عليه .. قوة واقتدارا بوسيلة أو أخرى .

وفى رأيى الشخصى أن وصول هذا الإنسان إلى هذا المنصب الرفيع فإنه يكون قد دخل .. « قفص القلق » الذهبى .. فالقلق هو أقل وأبسط الأمور المصاحبة لهذا المنصب .. إن لم تصل الأمور ـ وكثيرا جدا ما يحدث ـ إلى رعب .. حقيقى .. دائم .. على حياته ، وحياة من حوله من أهله .. ورجاله .

ويستوى فى هذه الأمور كل سلطان .. ولكن الأمر يختلف .. تدرجا بين القلق والرعب .. تبعا للوسيلة التى وصل بها إلى الكرسى العظيم . ففى مصر المملوكية مثلا .. كان على الحاكم .. الذى كان عادة ما يصل إلى الحكم تآمرا وعنفا .. أن يبيت .. هو والمخلصون من رجاله مفتوحى الأعين .. مرهفى السمع .. وإلا فإنهم فى الصباح التالى مباشرة يكونون .. ضحايا الخناجر والسيوف وقيد السلاسل .

فى فترة الستينيات من هذا القرن .. كثرت فى سوريا القلاقل .. والانقلابات التى كان يقوم بها قادة الجيش السورى .. حتى كان هناك قول مشهور .. « إن من يستيقظ مبكرا من قادة الجيش قبل رفاقه .. يستطيع أن يحكم البلاد » .

وفى أكثر البلاد ديمقراطية فى نظم الحكم .. حيث الوسيلة الوحيدة إلى كرسى الحكم هى أصوات الناخبين .. فى أمريكا .. حملت الناس .. بكل الحب والتقدير الرئيس الراحل .. جون كنيدى .. ولكن ذلك لم يحمه من رصاصات غادرة أنهت حياته .

وأيضا حملت الجماهير الأمريكية الرئيس السابق ريتشارد نيكسون إلى البيت الأبيض .. ولم يستقر طويلا .. حتى خرج بسبب فضيحة ووتر جيت .. مشيعا باللعنات .

والرئيس بيل كلينتون .. الذى مازالت الأصوات التى نادت به رئيسا لأمريكا تتردد فى الأسماع .. تعرض لأكثر من محاولة اغتيال .

ومع ذلك فإنه يظل للحكم وللكرسى الذهبى .. عشاقه .. وطلابه .. بل والمقاتلون من أجل الوصول إليه .. حتى فى تلك البلاد التى تتميز بأن الحكم فيها يأخذ شكلا أو صورة .. عائلية .. فالبشر هم البشر .. حكاما كانوا أو محكومين .. والنفس البشرية هى النفس البشرية .. التى قال فيها خالقها تعالى .. وهو أعرف بها « أمارة بالسوء » .

والتاريخ قاس لا يرحم .. منتبه لمايجرى بين الناس .. يسجل كل صغيرة وكبيرة .. وعينه على الجميع ..

وهو أكثر ما يكون تركيزا ومراجعة لهؤلاء القابعين فى القصور الشامخة .. ووراء أسوار الحكم .. وأيضا وراء أسرار الحكم ..والحكام ..

فلا يترك من أمورهم صغيرة ولا كبيرة .. غثة ولا ثمينة .. إلا وسجلها .. وهو لا يكذب .. ولا يتجمل .. ولا يجامل .. بل فقط يلتقط صورة لما يجرى ..

فـالتـاريخ فـقـط .. يسـجل .. وبعـد ذلـك .. المحللون يحللون .. والمفسرون يفسرون . والمعلقون يعلقون .. والناقلون ينقلون ..

ونحن هنا من هذا الفريق الأخير .. الناقلون .

نقلب صـفـحـات التـاريخ .. نلتـقط منهـا .. فى عـجـالة سـريعـة .. مـختـصـرة .. بعض الذى سجله .. من أسرار القصور بين أسرار الأسر الحاكمة .

وطالما أننا ننقل من التـاريخ .. الذى لا يكذب ولا يتـجـمل .. فنحن بالتالى لا نستطيع أن نكذب ولا أن نتجمل .. ولكن

ولكن كل مـا نسـتطيع هو أن .. نلتـقط صـورة الحـدث .. من أكـثـر زواياها لطفا .. وأقلها حدة .



حمد بن خليفة

وجع في قلب الخليج

وجع في قلب الخليج

أستمحيك .. أيها القارئ العزيز .. عذرا فى أن ادخل مباشرة .. فى تحليل سياسى ..لابد منه .. عند تناول موضوع الأسرة الحاكمة فى دولة قطر .. الذى هو جزء من موضوع كتابنا هذا .

فالانقلاب الأبيض الذى وقع فى قطر .. والذى قام به الشيخ حمد بن خليفة آل ثانى .. وتولى فيه حكم البلاد بعد إعلان خلع والده الأمير خليفه بن حمد آل ثانى من الإمارة .. يفرض نفسه على الموضوع ..

فانقلاب قطر السلمى .. الهادئ .. الأخير .. كان هو حديث الساعة .. فى الآونة الأخيرة ليس فقط فى الخليج ، وإنما على مستوى العالم العربى والإسلامى بشكل عام .

وقد كان حديث الساعة .. باعتبار حداثته فقط .. وليس باعتبار استمراريته أو تأثيره .. فمسألة الاستمرارية والتأثير مسألة مختلفة تماما .. وإذا ما أخذناهما فى الاعتبار فإن هذا الانقلاب يظل ليس فقط حديث الساعة .. بل حديث السنوات القادمة .. لحقبة طويلة جدا من التاريخ .. فإن للتغيير توجهاته الداخلية .. وتوجهاته الخارجية أيضا .

وفى رأينا ان التوجهات الخارجة للتغيير هى أهم وأخطر كثيرا من توجهاته الداخلية .. ولابد لهذه التوجهات الخارجية من انعكاس على السياسة الخارجية لقطر .. وهو بالقطع له انعكاسات شديدة الوقع على الأوضاع السياسية للخليج ككل .. وعلى مسيرة الوحدة الخليجية المأمولة .. وذلك بالرغم من التسليم بالواقع والحقيقة التى تقول بأن إمارة أو دولة قطر هى الشقيقة الصغرى .. وربما الأصغر .. والأضعف بين

الشقيقات الست فى مجلس التعاون الخليجى .

فمن المعروف الشائع ان للشيخ حمد بن خليفة أمير قطر الجديد توجهات سياسية مخالفة .. بل مغايرة تماما .. للمنهج الذى كان يتبعه والده الأمير المخلوع الشيخ خليفة بن حمد .. ولكن نهج الوالد كان هو الذى يتغلب دائما ويظهر كسياسة خارجية لأمارة قطر ، وذلك طبعا باعتبار أنه الأمير الحاكم وصاحب الكلمة الأخيرة فى كل الأمور .. ولكن هذا الأمر لم يكن ينهى هذه التوجهات للأمير الابن .. فقط كان يؤجلها ..لتظل دفينة لتظهر بين وقت وآخر .. ثم أخيرا لتكون ـ فى رأينا ـ دافع التغيير .. وأهم أسبابه .

والآن .. وبغياب الأمير الأب الأمير السابق .. عن الساحة السياسية القطرية .. وموقع اتخاذ القرار .. يرتفع هذا الحاجز الذى كان « يقهر » خلفه توجهات الابن .. الأمير الجديد .. لتكون هى الوجه السياسى الخارجى لدولة قطر .

ولا شك أن أهم هذه التوجهات السياسية لأمير قطر الجديد .. وهذا أمر معروف تماما .. هى عداوة .. شبه السافر .. ولكنه .. الأكيد .. ضد الشقيقة الكبرى فى مجلس التعاون الخليجى .. المملكة العربية السعودية .

فالأمير الجديد الشيخ حمد .. والذى لم يكن بعيدا عن الساحة السياسية لبلاده .. يرى أن السعودية تحاول دائما أن تفرض نوعا من « الهيمنة » السياسة على بلاده .. وأن ذلك أدى إلى عدم حرية قطر فى اتخاذ مواقف سياسية مستقلة فى كثير من الأمور الداخلية والخارجية .

ولا ينكر مسئول قطرى حقيقة أن الأمير السابق للبلاد اتخذ موقف المهادنة .. ومسايرة الأمور .. مع السعودية .. وأن ذلك يرجع إلى إدراكه التام لمسألة « تفاوت القوة » .. بين البلدين .. ولكن يبدو أن الأمير الجديد غير ملتزم كثيرا بوجهة النظر هذه .. ليس من الآن فقط .. ولكن منذ فترة طويلة مضت .

فقد حاول الشيخ حمد .. إبان كان نائبا للأمير .. توجيه سياسة بلاده

فى اتجاه يعتبر مضادا .. تماما .. للرغبات والسياسات السعودية .. وكان هو العامل الأكبر والأساسى فى تنمية علاقات قطر بكل من العراق وإيران واليمن والسودان .

والعراق لم يكن على وفاق مع السعودية منذ فترات طويلة من التاريخ .. وبلغت الأمور أسوأها إبان حرب الخليج عام ١٩٩٠ .. حيث كان من المخطط العراقى العسكرى مهاجمة السعودية .

وإيران بينها وبين السعودية خلافات سياسية وعقائدية معلنه .. وصدامات مشهورة .

وكذلك اليمن والسودان ، وقد كانت الحدود اليمنية السعودية مؤخرا موضع مواجهة مباشرة بين البلدين .

وباختصار فإن الشيخ حمد .. حاول أن يكون دائما مع الجبهة المضادة للسعودية .. ليس هو شخصيا .. بل حاول أن تكون هذه هى سياسة بلاده الخارجية .

وقديما حال الشيخ خليفة الأب والأمير المخلوع .. دون تحقيق هذه الرغبة الجامحة لابنه .. ونائبه .. أما الآن .. فلا شك فى مواجهة عنيفة قادمة .. قد تعصف بمستقبل مجلس التعاون الخليجى كله .

وذلك طبعا بالرغم من مسارعة السعودية إلى الاعتراف بالأوضاع الجديدة فى الدوحة .. وأنها قدمت تمنياتها .. للأمير الجديد ..« بالنجاح » فى حكمه .

وهذه الخطوة السعودية قد تدخل فى باب كسب الود المبكر للأمير الجديد .. وإعلان نوع من الود تجاهه .. وقد تدخل فى باب المداراة للشيخ حمد « الذى تصفه بعض الدوائر السعودية بالتهور » .

وبعيدا عن العلاقات السعودية القطرية فإن كثيرا من الدول العربية تنظر بالترقب .. وكثير من القلق .. للتوجهات السياسية القادمة لقطر تحت القيادة الجديدة .

وأهم ما يدفع لهذا الأمر هو اتجاه قطر إلى الانفتاح الشديد فى العلاقات القطرية الإسرائيلية .. وقد أثارت الزيارة المفاجئة التى أعلن عنها تم ألغيت لوزير خارجية إسرائيل لقطر كثيرا من ردود الفعل فى حينها .

على أن أهم « عيوب » الأمير الجديد الشيخ حمد .. فى رأى بعض الحكومات الخليجية .. هو « إعجابه الشديد» بشخصية الرئيس المصرى الراحل جمال عبد الناصر .. وتوجهاته السياسية .. وآرائه .

وأيا ما كانت الآراء .. والاجتهادات .. فمما لا شك فيه أن الوضع الجديد فى قطر .. هو .. وبكل المقاييس .. « وجع » .. فى قلب الخليج .

وإذا ما تركنا المسائل الخارجية لنتناول الجوانب الداخلية المحتمل أن يتناولها التغيير فى دولة قطر فى ظل النظام الجديد فإن الشيخ حمد كان يتولى منذ فترة طويلة ـ كولى للعهد ـ تصريف الأمور كلها تقريبا .. داخليا .. وخارجيا ..

وقد تناولنا فى السطور السابقة المسائل الخارجية .. وكيف كان الوالد الشيخ خليفة الأمير السابق يمثل حائلا بين إطلاق اليد الكامل لابنه .

أما فى الناحية الداخلية فالأمور لم تكن بنفس الوضع بل كان للشيخ حمد الحرية الكاملة ـ تقريبا ـ فى تصريف هذه الأمور .. ولكن مما لاشك فيه أنه لابد من التغيير .. ولكن بالتأكيد أيضا أنه لن يكون تغييرا كبيرا .. وأيضا لن يكون التغيير الذى يحمل مفاجآت .

وعموما فإن الأمير الشيخ حمد ينتمى للمؤسسه العسكرية .. بتعليمه .. وعمله الطويل فى المجالات العسكرية .

وعليه فإنه من المنتظر ان تشهد الساحة القطرية بزوغ نجم كثير من رجالات هذه المؤسسة العسكرية .. وتخطيهم لحدود مراكزهم العسكرية ليشاركوا فى كثير من نواحى الحياة العامة .. سياسية .. وغيرها .. من أمور البلاد .

وهذا الأمر ولا شك سوف يصبغ كثيرا من النشاطات المدنية بنوع من الشدة .. والسيطرة العسكرية .

والأمير الجديد أيضا مؤمن بضرورة تولى العناصر الشابة للمناصب الكبيرة .. وهو الذى كان يشرف إلى وقت قريب على أكبر المجالات الرياضية والشبابيه فى بلاده .. ويعرف عن قرب ما تحمل كثير من هذه العناصر الواعدة من كفاءات .. وتنتظر ان يفسح أمامها المجال لتعطى وتنتج .

وعلى هذا .. ومع التسليم بعدم التغير الكبير على الساحة الداخلية .. فإن الأمور ولابد آخذة إلى التشدد .. تبعا للطبع الشخصى المتشدد .. لأمير البلاد الجديد .

.....

وبعد هذا التحليل السياسى السريع .. نجد أنفسنا .. مضطرين .. مرة أخرى .. أن نؤجل تناول موضوعنا الأصلى فى هذا الجزء من الكتاب وهو اسرة آل ثانى الحاكمة فى قطر .. لنلقى نظرة .. سريعة أيضا .. ولا بد منها أيضا .. على التاريخ الشخصى لأمير قطر الجديد .. الشيخ حمد بن خليفة .

.....

بانوراما شخصية

الشيخ حمد بن خليفة بن حمد آل ثاني

- هو النجل الأكبر لوالده الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير دولة قطر السابق .
- ولد فى دولة الدوحة ، عاصمة قطر عام ١٩٥٠ فهو الآن فى الخامسة والأربعين من عمره
- تلقى تعليمه العام (ابتدائى - إعدادى - ثانوى) فى المدارس القطرية .
- التحق بكلية ساند هيرست الملكية العسكرية فى انجلترا وتخرج فى شهر يوليو ١٩٧١ .
- عاد إلى بلاده حيث التحق بالعمل بالقوات المسلحة القطرية برتبة « مقدم » .
- عين قائدا للكتيبة المتحركة الأولى فى القوات المسلحة القطرية ، والتى أصبحت تسمى فيما بعد .. كتيبة حمد المتحركة
- رقى إلى رتبة اللواء ، وعين قائدا عاما للقوات المسلحة القطرية .. وكان أول قطرى يتولى هذا المنصب .

وقد لعب دورا كبيرا هاما وهو فى منصبه هذا فى تطوير القوات المسلحة القطرية ، وزيادة عدد أفرادها ، واستحداث وحدات جديدة على أحدث نظم الجيوش المتطورة ، وتجهيز الجيش بأحدث الأسلحة على الساحة العسكرية .

كما أولى اهتماما خاصا كبير بتدريب أفراد القوات المسلحة على أحدث النظم العسكرية المتطورة

وعموما فإن له اليد الطولى فيما وصلت إليه القوات المسلحة فى بلاده .

- عين وزيرا للدفاع فى مايو ١٩٧٧ .

- وفى مايو عام ١٩٧٧ أيضا حصل له والده الشيخ خليفة من الأسرة الحاكمة والشعب القطرى ، على مبايعة باختياره وليا للعهد .

- عادة ما كان يعين نائبا للأمير .. إبان سفريات الأمير الحاكم .

- وتولى بعد ذلك كثيرا من المناصب الهامة .. بجانب ولايته للعهد .

- وفى يناير عام ١٩٧٩ عين رئيسا للمجلس الأعلى لرعاية الشباب فى قطر .. ومن خلال هذا المجلس أولى رعاية كبيرة للأنشطة الرياضية والشبابية .. والأندية والأجهزة الرياضية المختلفة .. إيمانا منه بأهمية الدور الذى يسهم به هذا القطاع الحيوى الهام فى بناء وتنمية المجتمع .

ومن خلال هذا الدور أيضا جمع حوله .. وتعرف على إمكانيات شبابية واعدة .. وترسخ إيمانه بالدور الذى يجب أن تلعبه الدماء الجديدة الشابة على الساحة العامة القطرية .

وقد ظهر اهتمام الشيخ حمد بالمجالات الرياضية فى رعايته للعديد من المناسبات والأحداث الرياضية والشبابية ليس فى قطر وحدها ، بل امتد مجال نشاطه واهتمامه إلى مناسبات كثيرة على الساحة العربية .

وكان من أكبر المهتمين برياضة « سباق الهجن » باعتبارها رياضة عربية أصيلة ، تربط بين التراث العربى القديم والواقع العربى الحاضر .

وهو من أكبر عشاق كرة القدم ، التى كان يمارسها فى شبابه .

- عين فى مايو ١٩٨٩ رئيسا للمجلس الأعلى للتخطيط بقطر . ومن خلال هذا المجلس ظهرت له بصمات واضحة وقوية فى كثير من مجالات الحياة العامة فى قطر .

بجانب نشاطاته الداخلية ، كان له باع طويل فى السياسة الخارجية حيث مثل بلاده فى أغلب المؤتمرات الخارجية على المستويات الخليجية والعربية والخارجية .. بالإضافة إلى نشاطاته الخاصة وزياراته الكثيرة للدول

المختلفة .. وهو فى كل هذا حريص على تنمية وتطوير العلاقات الثنائية وتطوير التعاون بين بلاده وشقيقاتها فى الخليج ومجالها العربى والإسلامى الكبير .. وحسن العلاقة مع الدول عامة

ـ وفى الآونة الأخيرة .. لتاريخ يرجع إلى عام ١٩٩٠ تقريبا .. تزايد نفوذ الشيخ حمد على الساحة السياسية لقطر .. داخليا .. وخارجيا .. بصورة واضحة .. تعود مباشرة إليه شخصيا .

ومن هذه الاتجاهات زيادة التعاون وتحسين العلاقات بين قطر وكل من ايران والعراق .. وهو اتجاه كان والده الأمير السابق يرفضه تماما ..

وقد بلغ بلغ اهتمامه بهاتين الدولتين إلى أنه دعا إلى اشتراكهما فى الترتيبات الأمنيه الخاصة بالخليج .. وهو الأمر الذى أثار انزعاج ومعارضة جميع الدول الخليجية الأخرى .

ثم هو يميل كثيرا إلى تنمية العلاقات مع كل من اليمن والسودان .. وهو أمر ظهر أيضا فى الاتجاهات السياسية لقطر منذ فترة .. رغم أن الوالد الأمير المعزول لم يكن يميل إليه .

ـ والشيخ حمد عموما شخصية متشددة .. يمكن تصنيفه ببساطة فى جانب « الصقور » السياسية .

وقد وضح ذلك دائما فى تناوله للأمور . خاصة الخارجية منها ، والتى تتعلق بعلاقات قطر مع الشقيقات الخليجية مثل « السعودية .. والبحرين.. واليمن » . فالأمير الشيخ حمد يرى ان السعودية .. « لا تتصرف مع قطر كأشقاء فى أسرة واحدة » .. ويرى ضرورة اتخاذ مواقف أكثر عنفا معها .. ولكن الوالد الامير المعزول الشيخ خليفة عارض هذا الاتجاه دائما .. ولم يعط للأمير الذى كان مازال وليا للعهد الفرصة والحرية فى إحداث مواجهة مع السعودية .. رغم أن الأمير الابن حاول إقناعه بأن .. « الرياض تضمر نوايا عدوانية ضد الدوحة » .

وأهم الأمور التى عكست هذا الوضع هو الحادث الذى وقع على الحدود

القطرية السعودية . حيث هاجمت قوات عسكرية سعودية مركز « أم الخفوس » القطرى .

كما أن الأمير حمد يرى التشدد مع السعودية بالنظر إلى موقفها من الخلاف القطرى البحرينى .. فبين الدولتين خلاف حاد حول جزر « حوار » ، « فشت الدبل » و« قطعة جرادة » .. حيث أيدت السعودية موقف البحرين .. كما نجحت فى منع مجلس التعاون الخليجى من التدخل فى النزاع . وهو الأمر الذى كان يحتمل معه التوصل إلى حل أخوى يحسم هذه المسألة الحدودية الخلافية .. مما اضطر الأطراف إلى رفع الأمر إلى محكمة العدل الدولية .. مع استمرار الموقف المتشدد الشيخ حمد .

ولا شك أن هذه المواقف .. بجانب بعض الأمور السياسية الأخرى هى التى دفعت الأمير الشيخ حمد إلى اتخاذ سياسة .. « مضادة » .. بشكل كامل للاتجاهات السعودية .

وربما كان ذلك أيضا هو سبب الموقف القطرى من مشكلة اليمن والحرب الانفصالية ـ التى جرت أحداثها المأساوية عام ١٩٩٤.. فقد كانت قطر هى الدولة « الخليجية الوحيدة » .. التى قدمت دعما قويا للحكومة اليمنية المركزية فى صنعاء ضد الجنوبيين فى عدن .. « متمردة » .. بذلك على الرغبات والاتجاهات السعودية .. مخالفة .. تماما .. للخط القطرى السابق الذى كان ينتهجه الشيخ خليفة الأمير المعزول .. والذى كان دائما ما يتطابق مع المسيرة السعودية .

وربما كانت هذه المواقف السعودية أيضا سببا لاتجاه السياسة القطرية منذ السيطرة التى أبداها الأمير حمد عليها إلى الاتجاه ناحية تنمية العلاقات مع كل من العراق وإيران وهى بلاد فى الخط « المواجه المضاد » .. للسعودية .

ـ وعموما فإن النزعة الاستقلالية للقرار القطرى هى أمر أصبح مؤكدا .. والدور القطرى المنفرد والمؤثر بات وشيكا . فصاحب هذه النزعة

أصبح موجه الأمور مباشرة فى الدوحة .

ـ يميل الشيخ حمد أمير قطر الجديد إلى سياسة واقعية فى مسألة العلاقات القطرية الإسرائيلية .. مبنية على الاستجابة لما حدث من التغيرات على الساحة السياسية العربية .. والاتجاه إلى مسيرة جماعية نحو السلام .. وربما سبقت واقعيته فى هذا الأمر بعض التطورات البطيئة فى أجزاء من الوطن العربى .. بدليل الزيارة التى كانت مزمعة لوزير خارجية إسرائيل لقطر ..

ـ والأمير الشيخ حمد شخصية ذكية .. يستطيع الاحتفاظ بخبيئة نفسه فلا تظهر منه عاطفة ولا شعور .. على غير إرادته .. ويصعب على من حوله أن يستشف داخلياته .

ـ وهو بعيد النظر .. شديد الحذر . كثير المرح .

ـ وهو مثقف دائم المتابعة للصحف العربية والعالمية .

ـ ولعل الشيخ حمد من أكثر الحكام العرب ـ حاليا ـ الذى يحمل عددا كبيرا من أوسمة الدول الأخرى .. نتيجة نشاطاته الشخصية وعلاقاته الطيبة مع البلاد الأخرى .

فهو يحمل أوسمة ..

عمان .. من سلطنة عمان / ١٩٧٥

وشاح النيل .. من مصر / ١٩٧٦

وسام الملك عبد العزيز آل سعود .. من السعودية / ١٩٧٦

وسام الابن العظيم لإندونيسيا . من إندونيسيا / ١٩٧٧

وسام فرانسيسكودى ميراندا .. من فنزويلا / ١٩٧٧

وشاح القائد من وسام القديس ميشيل والقديس جورج .. من بريطانيا / ١٩٧٩

وسام جرانت أوفيسيه دولا ليجيون دونوج .. من فرنسا / ١٩٨٠

الوسام المحمدى .. من المغرب / ١٩٨١

وشاح الاستحقاق اللبنانى .. من لبنان / ١٩٨٦

الآن ماذا عن أسرة آل ثانى الحاكمة ؟؟ !!



آل ثانى .. والحكم

تدير أسرة آل ثانى الأمور والحكم فى قطر منذ بداية القرن التاسع تقريبا .. وقد شهدت قطر خلال حكم آل ثانى بعض التغييرات فى السلطة .. أخذت دائما شكل .. « انقلاب » .. ولكن كان دائما يتميز بميزتين متلازمتين .. أولاهما هو أن يكون دائما .. « داخل الأسرة نفسها » .. وثانيتهما أن يكون .. « أبيض » .. لا تراق فيه دماء .. فكلها دماء آل ثانى .

وقد حصلت قطر على استقلالها من الاحتلال الانجليزى الذى استشرى فى هذه المنطقة العربية فى ٣ سبتمبر ١٩٧١ .

وتولى إمارة البلاد بعد هذا الاستقلال الشيخ أحمد بن على آل ثانى .. وأصبح الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى نائبا للأمير .

ولكن هذا الوضع القانونى للحكم لم يستمر سوى خمسة أشهر فقط .. ففى ٢٢ فبراير ١٩٧٢ كان الشيخ أحمد بن على أمير قطر فى زيارة لإيران .. فقام نائبه الشيخ خليفة بخلع الأمير المسافر ، وأعلن نفسه أميرا للبلاد . بمبايعة الأسرة الحاكمة .. أسرة آل ثانى .

وظل الشيخ خليفة أميرا لقطر على مدى ٢٣ عاما وأربعة أشهر .. منذ فبراير ١٩٧٢ وحتى ٢٦ يونيو ١٩٩٥ حيث أعلن .. ابنه .. وولى عهده ونائبه .. الشيخ حمد بن خليفة .. أنه قد تقلد أمور الحكم .. بمبايعة من الأسرة الحاكمة .. أسرة آل ثانى .. وذلك ابتداء من يوم ٢٧ يونيو ١٩٩٥ .

وبذلك يعيد التاريخ نفسه .. وتتكرر أحداثه بما يشبه التطابق

فالشيخ خليفة بن حمد كان قد غادر الدوحة العاصمة فى ١٨ من يونية ١٩٩٥ فى زيارة رسمية لكل من مصر وتونس .. ثم توجه إلى المانيا فى رحلة خاصة لاوروبا .. ومنها إلى قصره بمدينة جنيف فى سويسرا التى

وصلها يوم ٢٢ يونيو حيث اعتاد ان يقضى إجازته السنوية للراحة والاستشفاء . فقام ابنه الشيخ حمد بن خليفة بخلعه .

تماما كما فعل الشيخ خليفة نفسه من قبل .

وتكاد جوانب الصورة أن تتطابق هى الأخرى .. فالأمير المخلوع سابقا الشيخ احمد بن على .. لم يعد الى قطر بعد خلعه..واختار أن يعيش فى إمارة دبى .. حتى وفاته .

ورغم أن الشيخ حمد بن خليفة .. وكبار مسئوليه .. اعلنوا ترحيبهم .. بعودة الشيخ خليفة .. الأمير المخلوع .. وأن له فى كل النفوس .. التبجيل والاحترام .. فهو الوالد .. ويظل كذلك .. ولكن فى اعتقادى الشخصى ان هذه العودة .. أصعب من أن تحدث .

وربما يكون الاختلاف الوحيد .. والخروج عن التطابق .. هو فى جزئية واحدة .. وإن كان اختلافا شكليا .. أما من حيث النتائج فهى واحدة .

وتلك المسألة هى وراثة الحكم .

فالشيخ خليفة تولى الإمارة عام ١٩٧٢ .. ولم يعين وليا لعهده .. لفترة .. فكان الصراع على هذا المنصب كبيرا .

فطالب بالمنصب الشيخ سحيم بن حمد شقيق الشيخ خليفة ووزير خارجيته .. وطالب به أيضا الشيخ عبد العزيز الابن الثانى للشيخ أحمد بن على الذى خلعه الشيخ خليفة .. والذى كان قد ثار على الشيخ خليفة عندما عزل والده .. مما اضطر الشيخ إلى تحديد إقامته داخل البلاد . ثم الاضطرار إلى إبعاده إلى السعودية .

وظل هذا المنصب خاليا .. وظل الصراع عليه محتدما .. إلى أن حسمه الشيخ خليفة .. بعد سنوات من توليه الحكم .. عندما حصل على .. مبايعة الأسرة .. « والشعب » .. لابنه الشيخ حمد .. الأمير الحالى للبلاد .. ليكون وليا لعهده .

وهنا نجد الاختلاف .. الشكلى .. الذى شذ عن تطابق الحالتين .. وهو أن الشيخ حمد .. الأمير الجديد حسم مسألة « وراثة العهد » .. مبكرا .. وسريعا ..

ففى ١١ يوليو الماضى (١٩٩٥) أى قبل مرور .. اسبوعين فقط على توليه مقاليد الأمور .. أصدر قرارا يقضى بأن يكون حكم الدولة .. « وراثيا » .. فى أسرة آل ثانى .. وأن ينتقل من الأب .. الحاكم .. إلى أحد ابنائه .. فإن لم يوجد .. فإلى من يختاره .. « الأمير » .. من أسرة آل ثانى .

....

ورغم أن الأمور فى قطر اليوم .. مستقرة .. تماما .

ورغم أننا لا نعتقد أن هناك مجال لأحداث درامية .. عنيفة .. فالساحة القطرية غير مهيأة أصلا لمثل ذلك .

إلا ان هناك أمر هام جدا لا يمكن اغفاله ..

وهو أمر فى نفس الوقت يعتبر مجال خلاف .. عملى .. يضاف إلى الخلاف الشكلى .. السابق الكلام عنه فى السطور السابقة .

ألا وهو .. إصرار الشيخ خليفة .. أمير قطر المخلوع .. على محاولاته الدءوبة على العودة إلى موقعه الذى انتزع منه عنوة .

فهو لا يدع مناسبة قطرية .. أو خليجية .. أو عربية عموما . إلا ويعلن عن .. تصميمه .. على محاولة العودة إلى .. حكم بلاده .. مهما كانت النتائج المترتبة على ذلك .

وآخر ما جاء فى هذ الصدد هو البيان الذى .. اعلنه .. الشيخ خليفة .. من منفاه فى سويسرا .. فى ديسمبر ١٩٩٥ قبيل انعقاد مؤتمر القمة للدول الخليجية الاخير .. بساعات .. مجددا .. مطالبته بالعودة إلى حكم بلاده ..

والبيان المذكور .. موجه أصلا إلى قادة هذه القمة الخليجية . تجدد فيه

الشيخ خليفة .. مطالبته .. بحكم بلاده .. ويناشد قادة دول مجلس التعاون الخليجى .. « تقديم يد المساعدة له » .. فى هذا الصدد .

وقال إنه .. « لن يتخلى عن مطالبته .. « المشروعة » .. بحكم الامارة .. وسيبذل كل ما فى وسعه .. « لاستعادة » .. « السلطة » بصرف النظر عن العواقب .. » .

ويذكر الشيخ خليفه قادة مجلس التعاون الخليجى .. « أنه عمل بجد.. عندما كان أميرا .. من أجل .. « تكييف » سياسات بلاده . مع سياسات مجلس التعاون ».

وفى النهاية اعرب الشيخ خليفة عن .. « أمله فى أن يتمكن .. بمساعدة قادة .. دول المجلس .. من العودة . لموقعه المشروع . فى قطر »

وتلقى المطلبات المتجددة من الشيخ خليفة .. بالعودة إلى .. موقعه المشروع .. ظلالا كثيفة .. على الموقع كله .. فى دول الخليج كلها ..

خاصة بعد اتجاهه إلى طلب المساعدة من قادة دول مجلس التعاون الخليجى ..

وعموما . فإنه طالما لم يتلق الشيخ خليفة .. مساعدة من دولة خارجية فإن الأمور ستظل مستقرة فى قطر . لأن الساحة السياسية فيها .. غير مهيأه اصلا .. لتغييرات ..درامية .. عنيفة .

القمة الاقتصادية

ونلقى نظرة .. على سياسات .. وممارسات قطر بعد التغيير.. والتى يبدو منها أن قطر العهد الجديد .. لا تتوالى فى انتهاز الفرص .. لابراز اتجاهها المتشدد .. والاستقلالى .. جدا .. لدرجة الخروج على كل اجماع .. سواء خليجى أو عربى عام .

وقد ظهر ذلك واضحاً خلال اجتماعات مؤتمر القمة الاقتصادية للشرق الاوسط .. والذى عقد فى العاصمة الاردنية .. عمان .. فى نوفمبر ١٩٩٥ .

وفى البداية اثار البيان الذى القاه وزير خارجية قطر فى جلسة الافتتاح .. فى الاجتماع دهشة .. عدد كبير من الوفود المشاركة . واثار زوبعة فى اروقة المؤتمر ..

فقد وقف خطيبا ليقول .: « أننى أطالبكم بالتماس العذر لى .. للخروج عن النص .. كانت هنا .. فى جلسة الافتتاح .. مزايدات سياسية »

« ونحن نعلم أن الاجتماع اقتصادى.. ويجب أن لا توظف قضايا سياسية .. فى مؤتمر اقتصادى .. »

« نعم هرولنا .. من اجل السلام .. ولكن هرول الكثيرون قبلنا .. وقد دعمنا المجهود الحربى .. لكافة الدول . »

وقد شعر كل الموجودين بأن الوزير القطرى .. يحاول افتعال أزمة .. قال البعض أنها بدون سبب .. وقال البعض الآخر . أنها أحدى المحاولات . حتى تنتقل القمة إلى قطر ..

هذه واحدة .. والأخرى هى ما قامت به قطر .. بدعم من الملك حسين .. ملك الاردن .. من العمل على أن تعقد الجلسة القادمة للقمة الاقتصادية فى الدوحة .. بدلا من القاهرة .. رغم أن انعقاد هذه الدورة لعام ١٩٩٦ .. فى القاهرة .. كان أمرا مسلما به . لدى كافة الوفود ..

ثم « تكرمت » ؟! قطر .. « بالتنازل » . بعد مشاورات مكثفة .. موسعة مع المشاركين فى المؤتمر .. عن عقد الدورة القادمة بقطر .. على أن تعقد بها اجتماعات ١٩٩٧ .. لقمة الشرق الاوسط وشمال أفريقيا .

....

وقبل أن ينتهى المؤتمر القت قطر بمفاجأتها الكبرى .. حيث أعلن أنها .. وقعت اتفاقا مع شركة بترول امريكيه .. لتزويد اسرائيل . بالغاز الطبيعى المسيل .. القطرى .. فى أول صفقة من نوعها تتم بين دولة . خليجية .. واسرائيل .. خلافا لما سبق الاتفاق عليه .. ضمنا .. من تأجيل مثل هذا التعامل الاقتصادى مع اسرائيل .. إلى حين انتهاء جميع مراحل السلام .. على كافة الجبهات العربية .

وتعليقا على الاتفاق . صرح شيمون بيريز .. « بأن العملية السياسية .. مع قطر .. قد بدأت .. وأن البلدين .. يمضيان . فى اتجاه .. علاقة جديدة .. وأنه متفائل فى هذا الشأن » ..

والغريب أن بيريز عبر عن بداية .. العملية السياسية .. وليس عن بداية العملية الاقتصادية ..

وقبل أن يفيق الناس من ذهول المفاجأة القطرية بتزويد اسرائيل بالغاز القطرى . لحقتهم قطر بالانباء الجديدة .. عن مفاوضات . جديدة بينهما .. لانشاء خط طيران مباشر .. بين الدوحة .. وتل ابيب ..

.....

قمة المتاعب

أما فى المجال الخليجى .. فالمسألة اصبحت فى غاية التعقيد .

فقد عقدت الدورة السادسة عشر . لقادة دول مجلس التعاون الخليجى .. فى مسقط مؤخرا .. ديسمبر ١٩٩٥ ..

وهى أول دورة تعقد للمجلس .. بعد التغييرات السياسية .. « الكبرى » . فى قطر وخلع اميرها السابق الشيخ خليفة .. وتولى ابنه الشيخ حمد السلطة .. وبالتالى فهى اول دورة يحضرها .

وهذا التغيير الذى ذكرناه . فيما سبق من صفحات انه يمثل .. « وجع » فى قلب الخليج .. نظرا لتوجهاته الخارجية .

وتأتى احداث هذه القمة .. لتؤيد هذا العنوان .. مائة فى المائة ..

فقد انتهت اعمال هذه القمة .. دون أن تشارك « قطر » .. أو بمعنى أصح .. أميرها .. فى الجلسة الختامية لهذه القمة ..

وهو الأمر الذى قال فيه وزير الدولة للشئون الخارجية لسلطنة عمان .. التى استضافت المؤتمر .. « إن ما حدث يشكل مسألة .. غير مسبوقة » ..

وفى رأينا الشخصى أنه بالرغم من إن هذه .. « المقاطعة القطرية » لاجتماعات قمة مجلس التعاون الخليجى .. بدت . أو ظهرت .. أو وجهت للمجلس .. إلا أنها .. فى حقيقتها حلقة جديدة .. من حلقات المواجهة بين الشيخ حمد .. شخصيا .. والقادة السعوديين .. شخصيا ايضا .. ومظهر جديد .. « لتمرد » .. السياسة القطرية .. على ما اسماه امير قطر .. «الهيمنة السعودية » على قرارت وسياسات مجلس التعاون الخليجى .

ولنعد إلى الموضوع . الذى يؤكد وجهة النظر هذه ..

فقد فوجئ جميع المتتبعين لاعمال القمة الخليجية ... من سياسيين .. وصحفيين .. عرب .. واجانب . بتأجيل موعد انعقاد الاجتماع الختامى

لهذه القمة .. حوالى ساعتين .. وإذا اضيف إليهما .. ان الكثيرين من هؤلاء حضروا .. مبكرا .. قبل الموعد الاصلى .. بما لا يقل عن ساعتين أخريين لوجدنا هذا الانتظار .. طويل جدا .. ويدعو الى القلق الشديد ..

ثم فوجئ هؤلاء المترقبون .. بهؤلاء يحضرون .. وقد بدت على وجوههم .. بشكل واضح .. التجهم .. ولفهم .. الصمت .

ولكن المفاجأة الاكبر .. كانت .. عدم دخول الوفد القطرى .. إلى قاعة الاجتماع .. ليظل مكانه .. شاغرا .. كما ظهر بشكل واضح . امام العدسات التى كانت تلتقط صور الاجتماع .

والقى السلطان قابوس .. سلطان عمان .. كلمة موجزة فى ختام اعمال القمة لم يشر فيها من قريب أو بعيد .. إلى تغيب .. أمير قطر . ووفد قطر .. عن الجلسة الختامية ..

وجاء فى البيان الختامى ..

« وافق قادة دول مجلس التعاون الخليجى .. فى ختام اجتماعاته .. على اختيار .. جميل ابراهيم الحجيلان .. ايضا عاما .. جديدا .. للمجلس .. خلفا للشيخ .. فاهم القاسمى » ..

وهنا .. مربط الفرس .. كما يقولون ..

......

فقد كانت مسألة تغيير الامين العام هذه .. نقطة الصدام القطرى .. أو بمعنى أصح بين امير قطر الجديد الشيخ حمد .. وبين مجلس القادة .. وقبلها ... بينه .. وبين القادة السعوديين ..

ويقول تسلسل الاحداث ..

إن قطر .. طلبت منذ حوالى ستة اشهر سابقة على انعقاد القمة الخليجية .. أى فى يونيو ١٩٩٥ .. وهو الموعد الذى اعتلى فيه الشيخ حمد .. كرسى الحكم فى قطر .. تعيين نائب وزير الخارجية القطرى .. فى

هذا المنصب .. الذى اعلن شاغله . عدم رغبته فى الاستمرار فى تحمل اعبائه .

وكانت المملكة العربية السعودية . قد ابلغت . قبل ذلك .. قادة الدول الخليجية .. بأنها .. قررت .. تعيين السفير السعودى جميل الحجيلان .. امينا عاما .. للمجلس خلفا للامين السابق ..

وهنا طلبت قطر ان تكون لها الاولوية فى ذلك .. باختيار مرشحها .. لأنها حصلت .. على .. وعد من ملوك وامراء الدول الخليجية .. بأن تؤيد ترشيح دولة البحرين .. لتشغل منصب الأمين المساعد .. مقابل تأييدهم لها .. بشغل منصب الامين العام .. بمجرد ان يخلو .

وتمسك الامير حمد .. بترشيح قطر للمنصب ..

وفى المقابل .. أصر .. الامير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود .. الذى رأس وفد بلاده فى هذه القمة .. على أن يكون المرشح سعوديا .. لأن هذا حق بلاده .. وايضا . لأن « الاجماع » .. إلى جانبه .. حيث صوت فى صفه .. خمسة اعضاء من القادة .

غير ان الوفد القطرى .. الذى يرأسه الامير حمد .. أصر على ان .. تعيين الامين العام لمجلس التعاون الخليجى .. لابد وأن يكون .. بموافقة اجماع « جميع » الاعضاء فى المجلس .. وليس بالاغلبية .

وعندما لم يؤخذ برأى الوفد القطرى .. قرر أميره الانسحاب ومقاطعة اعمال .. الجلسة الختامية ..

ويعلق وزير الدولة العمانى للشئون الخارجية على مسألة اختيار الامين العام هذه .. فيقول :

« إن القطريين . لديهم رؤية خاصة .. بالنسبة لتعيين الامين العام للمجلس . ولكن عرفنا .. تم الاتفاق عليه .. منذ القمة الرابعة عشرة .. هو أن يكون التناوب على هذا المنصب . وفقا « للتسلسل الابجدى للدول » .

ولهذا استحقت السعودية .. المنصب » .

وأضاف . « إن دولة قطر طلبت .. منذ ستة اشهر .. عن طريق الامانة العامة للمجلس .. أن يتم تعيين .. الامين العام الجديد . من قطر . »

« ولكن هذا التعيين .. هو اختصاص القادة .. وليست الامانة العامة » واوضح .. « أنه عندما تقدمت السعودية .. بطلب شغل هذا المنصب . اعتمدت على .. قاعدة .. الابجدية » .

« وقد حصلت السعودية .. على موافقة .. جميع دول المجلس .. باستثناء دولة قطر » التى « طلبت » وضع آلية جديدة .. غير الابجدية .. وأن تتاح الفرصة للدول .. التى لم يسبق لها شغل مناصب فى الامانة العامة .. »

« وتعبيرا .. عن عدم رضائهم .. تغيبوا عن حضور الجلسة الختامية » ..

واتضح أن سبب تأخير الجلسة الختامية عن موعدها .. كان سببه المحاولات التى قام بها كل من السلطان قابوس .. سلطان عمان .. والشيخ زايد بن سلطان آل نهيان .. رئيس دولة الامارات العربية المتحدة .. كل على حده .. لاقناع امير قطر بعدم مقاطعة الجلسة الختامية للمجلس . « دون جدوى » .

وقد نتج عن مقاطعة .. امير قطر للجلسة الختامية للقمة الخليجية . مشكلة « برتوكوليه » . غريبة جدا .. تظهر .. أيضا على الساحة الخليجية .. لأول مرة ..

فقد خلا البيان الختامي .. لأول مرة فى تاريخ قمة المجلس .. من ذكر .. مكان انعقاد القمة القادمة .. والتى كان مقررا عقدها فى « قطر » ..

وذلك لأنه .. جرى العرف .. على أن تعلن الدولة التى ستستضيف القمة .. أن تعلن ذلك .. بنفسها .. على لسان قائدها .. فى الجلسة الختامية .. للمؤتمر المنعقد .

ولذلك .. ولمقاطعة امير قطر للجلسة الختامية .. خلا البيان من ذكر . عقد القمة الخليجية القادمة ..

فأى موقف غريب هذا ..

....

وهنا .. لا نستبعد كثيرا .. أن يقوم .. الامير حمد .. بموقف . أغرب .. بإعلان .. انفصاله .. مثلا .. عن مجلس التعاون الخليجى .. ما لم « ينحن » قادته .. للتوجهات السياسية .. الجديدة .. فى قطر .. سواء وافقوا عليها .. ام قبلوا ذلك مرغمين .

وهل يكون الرد .. الاغرب .. ايضا من قبل بقية القادة الخليجيين . أن « يقبلوا » . الطلبات المتكررة .. من الامير المخلوع الشيخ خليفة .. فيساعدوه .. على العودة الى كرسى الامارة فى قطر ..

....

وهل . ؟! .. وهل .. ؟!

أى مدى هذا .. من « الوجع فى قلب الخليج » .. ؟؟ !!



سلطان من الماضي

السلطان سعيد بن تيمور

حكم .. إمارتي مسقط وعمان .. على مدى ٢٨ عاما .. وهو السلطان الثالث عشر .. فى سلسلة حكام هذه المنطقة التى كان يطلق عليها دولة البوسعيد . التى أسسها احمد بن سعيد عام ١٧٤١ .. وذلك خلفا لوالده السلطان تيمور بن فيصل .

وقد ولد عام ١٩١٠ .. وتلقى تعليمه فى كل من الهند والعراق .. وعاد إلى بلاده .. ليرأس مجلس الوزراء فى سن مبكرة عام ١٩٢٩ .. ثم تولى السلطة عام ١٩٤٢ .

وقد كان السلطان .. شديد المحافظة .. شديد البعد عن كل نظم الادارة الحديثة .. وليس ذلك عداء للرقى والنهوض واللحاق بالمدنية الحديثة .. بل خوفا من الأجانب .

كان يؤمن أنه لو فتح الباب لدخول الحضارة الحديثة .. فسوف تدخل معها كل رذائل المدنية الاوروبية . سوف يدخل الخبيث مع الطيب .. وهذا أمر لا سبيل إلى تفاديه ..

وكان يؤمن أن وجود الأجانب بين مواطنيه .. يعنى فساد هذا الشعب المؤمن .. ذى التقاليد الإسلامية العريقة

وكان الاتجاه للحضارة الحديثة فى رأيه .. قد يؤدى بالبلاد إلى طريق مجهول .. لا يعلمه إلا الله ..

فلتبق بلاده إذن مغلقة .. على نفسها .. ولا داعى للانفتاح .. ففى العزلة السلامة .. للبلاد .. والعباد .

ولذا أقام سورا .. سياسيا .. حصينا حول وطنه .. لا أحد يخرج ..

ولا أحد يدخل .. لأى غرض من الأغراض .

فاقتصاد البلاد مغلق .. لا مجال كبير فيه للتبادل التجارى بين البلاد وغيرها .. فالبلاد خيراتها كثيرة .. تعتمد أساسا على الزراعة .. التى تغطى احتياجات السكان

والتعليم يقتصر على التفقه فى كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .. وهناك .. ثلاث مدارس تقدم ما يكفى لتعليم الناس دينهم .. ولا بأس .. بقليل من الحساب .. وقواعد اللغة العربية .. وتحسين الخط ..

ولا داعى للمزيد من التقدم والترف فى حياة المواطنين .. ولا داعى لتوسيع قاعدة الثروة ..

فالسعادة .. فى رأى السلطان الحاكم .. هى أولا سعادة الآخرة .. وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ..

وإذا كان هذا رأى السلطان .. فهو سياسة عامة .. واجبه التنفيذ والاتباع ..

حتى عندما فتح الله على هذه البلاد . وبشئ من عائدات النفط .. لم تجد طريقها للانفاق .. الذى يستهدف حياة المواطنين .. وظلت البلاد تعانى من التخلف والافتقار إلى الخدمات .. وأسس الحياة العصرية .. والتسهيلات الطبية .. ومشروعات البنية الأساسية .

لقد كانت هذه الدولة يوما ما .. الإمبراطورية العمانية .. الشامخة التى تمتد من الخليج إلى شواطئ إفريقيا الشرقية .. ولاتساع رقعتها كانت لها عاصمتان ..

مسقط التى كانت مقر الحكم .. يقيم بها السلطان .. وتحكم الجزء الشرقى من الإمبراطورية .. وزنجبار التى كانت تحكم الجزء الإفريقى منها .. ويقيم بها أحد أبناء السلطان ..

فأين هذا من الدولة التى كان يحكمها السلطان تيمور .. والتى تقلصت لتشمل عمان ومسقط ..

وليت الأمر اقتصر على ذلك .. بل نشطت الحركات التحريرية منذ الخمسينيات .. حتى أن السلطان سعيد تيمور استعان بالقوات البريطانية فى ضرب الحركة الثورية فى عمان عام ١٩٥٧ ... وإن كان ذلك قد أدى إلى تزايد هذه الحركات .. وشدة اشتعالها .. وأخيرا تفجرت ثورة ظفار التى ظلت نيرانها مشتعلة حتى أمكن لابنه السلطان قابوس ان يخمدها فى نهاية عام ١٩٧٥ .

وكان من نتيجة هذه الصدامات أن أصبح السلطان سعيد مستهدفا .. حتى كانت المحاولة الكبرى لاغتياله عام ١٩٦٦ .. والتى أعلن بعدها .. وفاة السلطان اغتيالا .. ثم اتضح غير ذلك .

كان السلطان يحضر عرضا عسكريا لقواته المسلحة فى مكان بعيد عن العاصمة .

وجرى العرض كأحسن ما يكون .. واستعرض السلطان بسعادة بالغة تلك القوات .

وفى نهاية العرض تقدم .. خمسة من الجنود .. لتقديم هدية للسلطان .. عبارة عن بعض من تلك الاسلحة التى قام بتوفيرها لقواته المسلحة .. اعترافا بفضله .

وعندما صار هؤلاء الجنود على بعد خطوات من السلطان .. إذا بهم فجأة .. يمطرونه بوابل من طلقات الرصاص .

واشتبك الجنود المؤيدون للسلطان .. وهؤلاء الذين أعدوا المؤامرة .. وسقط الكثيرون فى قتال ضار .

ولما كان من غير المتصور ان ينجو السلطان .. فقد سارع الثوار وأعلنوا .. على العالم كله نبأ مصرعه ..

ولكن المعجزة كانت قد حدثت ..

فلحظة إطلاق النار .. سارع رئيس العرض .. الذى كان يقف بجوار السلطان .. بدفعه بعيدا عن المنصة .. ليسقط على وجهه .. ويسقط فوقه .. بعض المذعورين من صوت الطلقات .. ولم يكن يتصور أحد .. إلا أنه سقط نتيجة إصابته بالرصاص .. ولم يتضح هذا الأمر إلا بعد وقت يسمح للسلطان بالانسحاب من الموقع .

وعاد السلطان إلى حياته العادية .. وسياسته المعتادة .. أقصد .. تشدده الحازم .

.....

المستنير .. سجينا

ولم يكن التشدد الذى يمارسه السلطان سعيد بن تيمور .. ليرضى أحدا .. حتى أقرب المقربين من أبناء الأسرة الحاكمة .. فكان لابد من التغيير ..

ويشاء القدرأن يأتى هذا التغيير .. من داخل بيت السلطان نفسه .. ومن بضعته وجزء منه .. ابنة قابوس بن سعيد بن تيمور .

...

رزق السلطان سعيد بابنه الأمير قابوس فى ١٨ فبراير ١٩٤٠ .. فى مدينة صلالة .. عاصمة ظفار .. المنطقة الجنوبية من البلاد .

وتلقى الأمير تعليمه المبكر بعمان .. وفى سبتمبر عام ١٩٥٨ .. بعثه والده السلطان إلى انجلترا لإتمام تعليمه .

وتلقى الأمير تعليمه هناك فى احدى المدارس فى سافوك لمدة عامين .. ثم التحق بالأكاديمية العسكرية الملكية بساند هيرست عام ١٩٦٠ .. لينهى دراسته فيها بعد عامين ..

وبدأ الأمير حياته العملية فى كتيبة عسكرية بألمانيا (الغربية). يقوم بواجباته العسكرية ويتلقى التدريب فى قيادة الأركان .. وذلك لمدة ستة اشهر .. عاد بعدها إلى انجلترا .

وهناك التحق بدورات دراسية فى الحكومة المحلية لمدة عامين أخرين .

وبعدها كافأة والده السلطان بجولة حول العالم . لمدة ثلاثة أشهر .. عاد بعدها إلى عمان عام ١٩٦٤

وخلال فترة الدراسة الطويلة هذه .. وخلال تجواله فى أوروبا .. دارسا وسائحا .. شاهد وعاين معالم الحضارة الحديثة التى تعيشها الدول والشعوب التى زارها

وكان من الضرورى أن تجرى فى ذهنه مقارنة بين ما شاهد فى البلاد الأجنبية .. وبين أحوال وطنه .. ليقيس مدى الهوة الشاسعة التى تفصل بين الحياتين .. والمعيشتين .

وتمنى لوطنه أن يكون يوما ما على هذا المستوى الراقى المتحضر .. خاصة بالنظر إلى الخلفية الحضارية التى يتمتع بها هذا الوطن .. وأيضا إلى الطاقات الكامنة فيه من إمكانيات طبيعية وبشرية .

وعندما عاد إلى بلاده كان كل ذلك يعتمل فى نفسه ويملأ وجدانه ..

كانت كل آماله تنحصر فى كلمة واحدة .. مستقبل أفضل .

وكان اللقاء الأول بين الابن العائد المستنير .. المتأثر بالحضارة الحديثة .. وبين الأب القابع فى وطنه ... المتشدد الآراء والسياسات .. حاسما ..

تحدث الابن بكل ما أوتى من حماس .. عن آماله وأحلامه ..وقرر الأب .. أن يحول بين ابنه وبين تحقيق .. أى شئ .. من آماله وأحلامه .. بأى وسيلة كانت .

تحدث الابن عن أوروبا .. والتقدم والحضارة .. وانتشار العلم وازدهار الأدب والفن ..

حدثه عن الناس .. وكيف يعيشون .

حدثه عن كل ما رآه وسمعه طوال سنوات غربته .وفى النهاية ختم كلامه .. أكثر حماسا .. إعلان آماله بأن تصبح بلاده .. ومواطنوه .. جزءا من مسيرة الحضارة .. وأن يتم ذلك بأقصى سرعة ممكنة .

واستمع الأب إلى كلمات ولده وولى عهده .. بكل اهتمام .. وأحس أنه لن يحد من آمال ابنه العائد من أوروبا .. وتطلعاته إلا شئ .. كبير .. قوى .. يعادل قوة وعظم هذه الآمال والتطلعات .

وكان تصور الابن وهو يتحدث مختلف تماما عما يدور فى نفس الأب ..

لقد ظن الابن أن ما قاله لم يلق أذنا صاغية من والده ... بدليل أنه لم يناقشه منه شيئا .

فى حين كان الأب يعى تماما كل ما قيل .. ويدبر فى « تحجيم » آمال وأحلام ولى عهده الشاب .. وإلا فتح على البلاد بابا لا يعلم إلا الله تعالى ما يدخل منه ..

لقد اثار حماس الابن .. كل الهواجس القديمة الكامنة .. للأب الوالد .. الحاكم .. الذى كانت الحضارة .. والتقدم .. قد ارتبطت فى ذهنه دائما .. بالاجانب .. والخارج .. وهو الامر الذى يرتبط فى ذهنه ايضا .. بالاحتلال .. والاستعمار .. الشئ الذى كافح طويلا .. وعانى كثيرا .. حتى لا تقع بلاده فى براثنه ..

والحضارة والتقدم .. تعنى .. بلا شك .. تطور وتحضر .. المواطن العمانى ..

وهذا يحمل فى طياته .. أمرين ..

كلاهما مر ..

أولهما ضرورة حصول المواطن على .. ادوات التحضر .. تلك الاجهزة التى مصدرها الغرب .. ليس إلا .. والانفتاح على الغرب .. مرفوض تماما ..

وثانيهما .. أن الحضارة والتقدم .. سوف تؤدى .. بلا شك ايضا .. إلى تغيير الاوضاع الاجتماعية فى البلاد .. وايضا تفتح الوعى الشعبى .. وما يجره ذلك من التطلعات السياسية .. والحقوق التى لا يفكر فيها احد .. حتى الآن .

ويجر ذلك بالطبع إلى مشاكل سياسية .. وصعوبات فى الحكم ..

فالشعب الآن .. مستكين .. هادئ .. بلا تطلعات .. قانع بحياته البسيطة .. راض عن السلطان ..

والسلطان قادر على حكم هذا الشعب البسيط .. راض بحال شعبه ..

قادر على السيطرة عليه .. وعلى ادارة الامور فى حدود ذلك ..

فلماذا إذن تطلعات الامير .. والتى سوف تقلب كل هذه الاوضاع .. رأسا على عقب ..

....

ولما كان الوالد يعلم مدى اصرار ابنه .. على تنفيذ ما يؤمن به من افكار وآراء ..

وإن الامور ليست مضمونة .. اذا ما ترك للابن حرية التصرف فى بعض الامور . وحرية الاتصال بالناس فكان لابد من اجراء اكبر ..

وكان قرار الوالد .. إبعاد .. اجبارى لولى العهد .. عن كل شئ ..

قرار فورى .. نفذ فى نفس اليوم .. « بسجن ولده الوحيد » .. فى بيت صغير مجاور لقصر السلطان فى مدينة صلالة .. العاصمة الثانية لعمان ..

والمنفذ الوحيد الذى يرى منه النور .. نافذه صغيرة .. عليها قضبان حديدية .. كأى زنزانة .. فى أى سجن .

وعلى البيت كانت حراسة.. شديدة الكثافة .. والقسوة .. تعمل بأوامر .. محددة .. وصريحة .. وغير قابلة للمناقشة .. أو المخالفة ..

لا اتصال .. مطلقا .. بين الأمير قابوس .. وأى فرد .. مهما كان .. فى عمان .

وقضى الأمير .. المتعلم .. المستنير .. ستة أعوام كاملة .. فى هذا السجن .. انتهت بتوليه العرش .. كيف .. ؟ !

.....

السجين .. سلطانا

كان أول ما فعله الأمير السجين .. هو استمالة حراسه .. لا لإطلاق سراحه .. ولكن فقط ليكونوا .. أصدقاء .. ويؤيدون آراءه .. ويصدقون بأحلامه .وعن طريق هؤلاء .. بدأت الاتصالات بين الأمير وأعوانه .. وأنصاره ..

وبدأ يخطط ويدبر .. كيف يخرج من السجن ؟! وكيف يحقق آماله وأحلامه ؟!

ولما اطمأن السجين السلطاني على تدبيره وإخلاص رجاله حدد يوم ٢٣ يوليو ١٩٧٠ كساعة الصفر لانطلاقه إلى تحقيق كل ما يصبو إليه .

وتحددت الخطة .. بأن يتم .. الاستيلاء أولا .. على القصر السلطاني .. وبعدها لن تكون هناك أية عقبات .

وساعة التنفيذ أراد الأمير أن يكون على رأس المهاجمين لقصر أبيه .. ولكنهم أبوا .. حفاظا عليه .

وهاجم الشباب القصر السلطاني .. وفي مقدمتهم .. بريك بن حمود الفاخري .. وسعيد بن سالم الوهيبي .. اخلص خلصاء الأمير السجين .

وكان طبيعيا أن يحدث صدام .. مسلح .. بين المهاجمين وحرس السلطان ..

وفي هذا التراشق بالنار أصيب .. بريك .. في ساقه .. ولكن تمت في النهاية السيطرة على القصر .. والقضاء على مقاومة الحرس ..

وانتهى كل شئ ..

ووصل المهاجمون إلى السلطان الشيخ .. المصاب في قدمه أثناء مقاومة الهجوم على قصره .. والذي لم يكن له من تعليق على الموقف كله .. سوى ان قال .. « لا يغني حذر من قدر » .

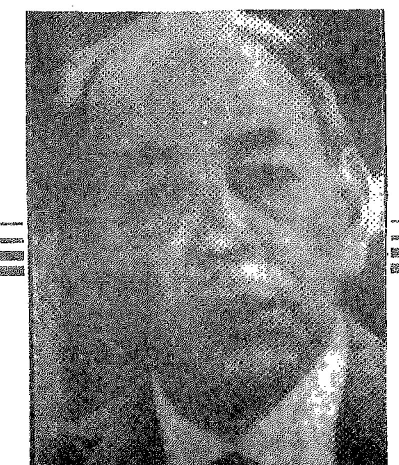
وحضر السجين السلطانى قابوس .. إلى القصر .. السلطانى .. فى صلالة .. حيث كان والده السلطان يقضى الصيف هناك .. وحيث كان التدبير .. باقتناصه ..

وكانت أول مواجهة .. بين الاب السلطان .. والابن المستنير .. السجين .. منذ أمر بسجنه .. منذ ستة أعوام .

ثم توجه الامير قابوس بعدها إلى العاصمة .. مسقط .. حيث أُستُقبل استقبال الفاتحين .

وغادر السلطان سعيد بن تيمور بلاده .. إلى لندن .. حيث أعلن تنازله عن العرش .. لابنه .. السلطان قابوس بن سعيد بن تيمور

وفى ١٩ اكتوبر عام ١٩٧٢ .. توفى السلطان سعيد .. فى لندن .. ودفن فى مقبرة المسلمين فى « فوكنج » .



السلطان .. الثائر

السلطان .. الثائر

تمتد جذور الأسرة الملكية الحاكمة فى « المغرب » إلى العلويين من بيت النبوة المشرفة (النبوة المشرفة) الذين حكموا هذه البلاد منذ اربعة قرون متصلة تقريبا .

وبذلك فإن ملك المغرب عادة ما توحدت فيه .. القيادية الزمنية السياسية .. والقيادية الروحية الدينية .

ويعد الملك « محمد الخامس » .. والد الملك الحسن الثانى الملك الحالى للمغرب .. خير تجسيد لقيم هؤلاء الحكام .. وخير مثال للملك « وطنى » يحمل مطالب شعبه ووطنه .

وفى ذلك الوقت كان ملك مراكش .. المغرب الآن .. يحمل لقب « السلطان » .. ويسبقه لقب « مولاى » .. تعبيرا عن الموقع الدينى .. وكان يسبق توقيعه بلفظ « الشريف » وهو لقب يعبر عن الانتساب للاسرة النبوية الشريفة .. وعادة .. ما ينطق المتكلم اسمه مسبوقا بكلمة .. « سيدى » .

وهكذا اعتلى .. مولاى السلطان محمد بن يوسف .. محمد الخامس فيما بعد .. عرش بلاده فى نوفمبر ١٩٢٧ .. خلفا لوالده السلطان يوسف .. وكان عمره حوالى الثمانية عشر عاما

وكانت « مراكش » فى ذلك الوقت فى أسوأ حالاتها السياسية .. فالأسبان يحتلون الجزء الشمالى منها .. والفرنسيون يحتلون جنوبها بموجب معاهدة حماية فرضوها عليها عام ١٩١٢ .. ومدينة « طنجة » المغربية مدينة دولية لا ولاية لحكومتها الشرعية عليها .

ولم يكن الشعب المغربى ليستكين أمام هذه الأوضاع المتردية .

فكانت المناوشات والصدامات دائمة الحدوث بين الوطنيين وجنود الاستعمار خاصة فى المنطقة الفرنسية .

ثم كانت الثورة الكبرى التى قادها المناضل .. عبد الكريم الخطابى فى الريف ، والتى هزت المنطقة كلها من جذورها .. والتى تضافرت كل القوى الاستعمارية فى وأدها .

وبالرغم من انتهاء ثورة الخطابى إلا انها أيقظت الشعور الوطنى والهبت حماس الوطنيين .. فتكونت الأحزاب السياسية المناوئة للاستعمار .. « كتلة العمل الوطنى » .. وحزب « الاصلاح الوطنى » .. « وحزب الاستقلال المراكشى » .. وواجه المستعمرون الفرنسيون والأسبانيون رجال السياسة الوطنيين بكل أساليب القمع .. وكانت المواجهات الدامية .

وبالرغم من الضغوط التى تعرض لها السلطان محمد إلا انه وقف ضد المستعمرين وضد نصائحهم باتخاذ موقف محايد من السياسة الوطنية .. وأعلن أن موقفه دائما وأبدا هو بجانب الوطنيين من رجاله .. يطالب بمطالبهم .. وأولها الاستقلال .. وكان يقول .. « ما أنا إلا واحد من هذا الشعب .. ولست أقل وطنية من هؤلاء الذين ذاقوا مرارة الاستعمار .. »

وشهد عام ١٩٤٧ مواجهة حقيقية سافرة بين السلطان المراكشى وقوى الاستعمار .

ففى ذلك الوقت قرر السلطان زيارة مدينة « طنجة » التى هى جزء من بلاده .. وإن كانت كانت قد وضعت تحت الإدارة الدولية .. وعارضت قوى الاستعمار المسيطرة على الأمور فى البلاد هذه الزيارة .. ووضعت فى سبيلها كل ما استطاعت من عراقيل .. ولكن السلطان أصر على إتمامها .

وطلبت سلطات الاحتلال من السلطان أن يقدم لها برنامج الرحلة .. فرفض .

وأصر المقيم العام الفرنسى .. وهو لقب أو منصب الحاكم الفرنسى فى مراكش .. على الاطلاع على نصوص الخطب التى يزمع السلطان .. وولى

عهده « مولاى الحسن » .. وكبرى بناته « الاميرة عائشه » فى الاحتفالات .

وقام المقيم العام « بحذف » الكثير من فقرات خطاب السلطان إلى شعبه .. فلم يأبه السلطان كثيرا بذلك .

وفى إبريل ١٩٤٧ تمت الزيارة المرتقبه .. وكانت الزيارة الأولى لسلطان مراكش .. الحاكم الشرعى للبلاد .. لهذا الجزء من وطنه منذ نصف قرن .

واجتمع الشعب لهذه المناسبة العظيمة .. ليفاجأ المستعمر بلطمة قاسية على وجهه .. فقد وقف السلطان يخطب فى الناس .. وإذا به يقول بالنص الذى سبق وأن أعده هو شخصيا .. متضمنا تلك الفقرات التى سبق وأن حذفها المقيم العام الفرنسى ..

وبذلك رفض.. علنا .. أن يكون هناك رقيب بينه وبين شعبه .

وهكذا أيقن المستعمرون أنه لا مجال لهم فى الاستقرار .. مع وجود هذا الحاكم الوطنى .. فقرروا عزله .

وفى عام ١٩٥١ جرت محاولة لنفى السلطان محمد من بلاده ، ولكن الدول العربية .. وعلى رأسها مصر .. قاومت ذلك بشدة .. فاضطرت فرنسا .. لتأجيل الفكرة .. فقط تأجيلها .. وليس إلغاءها .

وفى منتصف الثانية من صباح يوم الجمعة ٢١ أغسطس عام ١٩٥٣ احاطت القوات الفرنسية المسلحة بقصر السلطان محمد بن يوسف الخامس سلطان مراكش .. وتجاسر المقيم العام الفرنسى .. الجنرال جيوم .. وصعد الى غرفة نوم السلطان واقتحمها .. وهدده بالنفى إذا لم يتنازل عن العرش

ولشدة دهشة المقيم العام الفرنسى .. فقد اختار السلطان أن ينفى خارج بلاده .. وألا يتنازل عن العرش .

وعندئذ أبلغه ممثل سلطة الاحتلال بقرار عزله .. ونفيه إلى جزيرة « كورسيكا » فى البحر الأبيض المتوسط .

ووصف الملك الحسن فى مذكراته هذه اللحظة القاسية .. لحظة القاء القبض على والده .. « الملك » ..

« كان احد ضباط الشرطة المسلحة يمسك بمسدس ، ويدفع والدى أمامه ، وكنت أخشى ان يقتلوه ، وقد سرنا وراءه أنا وشقيقى ، والرشاشات مصوبة الى ظهورنا » .

ويضيف « كان الملك هو الذى يدفع تكاليف اعتقاله .. مليون جنيه يوميا »

وعينت سلطات الاحتلال « محمد بن عرفة » سلطانا على مراكش .

ولكن ثورة الوطنيين لم تهدأ .. بل ازدادت اشتعالا .. بعد نفى السلطان محمد الخامس .. وعزت سلطات الاحتلال ذلك إلى قرب المنفى من البلاد .. بالرغم من أنها ضربت ستارا حديديا حول الجزيرة كلها .. ومنعت مجرد الاقتراب من المكان الذى تحتجزه فيه .

فأعيد ترحيل السلطان وعائلته والبقية المخلصة من حاشيته إلى جزيرة مدغشقر فى المحيط الهادى .

ومن جديد ازدادت الثورة الوطنية اشتعالا .. ولم تفلح وسائل القمع الرهيبة فى إخمادها .

وجرت مفاوضات فى « اكس ليبان بين ممثلين عن فرنسا وآخرين عن القوى الوطنية فى مراكش .. فى محاولة أخيرة لامتصاص التحرك الوطنى .. ولكن ازاء اصرار المفاوضين المراكشيين على أن أول خطوة فى الحل هى .. عودة السلطان المنفى .. انتقلت الكرة إلى الملعب الفرنسى .. وكثرت المباحثات والمناقشات على هذا الجانب .

وبعد عامين لم تجد فرنسا بدا من إعادة السلطان المنفى إلى بلده وعرشه ..فقد كان ذلك هو الوسيلة الوحيدة لإعادة الهدوء إلى منطقة الغرب الإفريقى .

وعبر الجنرال الفرنسى جورج كاترو الذى أوفدته حكومته للتفاوض مع السلطان محمد الخامس فى منفاه عن حال السلطان بأمانة ودقة .. فقال .. « لقد ذهبنا إلى الرجل الذى أبعدناه عن عرشه وأمته ، طلبنا منه أن يعود

إلى بلاده ليصلح .. ما افسدنا .: فوجدناه لا يطلب شيئا لنفسه أو لأسرته .. وإنما كل مطالبه تنحصر فى استقلال شعبه ووطنه » .

وعلى الجانب الآخر ، كان السلطان « المعين » .. على عرش مراكش .. محمد بن عرفة .. يعلن . رفضه التنازل عن العرش .. ويصر على انه .. « سيواصل مهمته السامية المقدسة .. حتى يدعوه الله إلى جواره » .

وفى نفس الوقت .. أوائل اغسطس عام ١٩٥٥ .. الذى كان الجنرال الفرنسى ينهى مفاوضاته .. مع السلطان .. فى منفاه .. كان هناك وفد آخر من القوى الوطنية فى مراكش يتداول مع السلطان فى أمور العودة .

وفى أول نوفمبر عام ١٩٥٥ .. كان مطار « نيس » بفرنسا يستقبل طائرة .. قادمة من مدغشقر .. على متنها السلطان .. المنفى .. المنتصر .. العائد .. محمد بن يوسف .

وكان آلاف الوطنيين المراكشيين فى استقبال مليكهم .. طغى هتافهم بحياته على كل مظاهر الاستقبال .. الرسمى .. الحافل الذى اعدته الحكومة الفرنسية والوفد الكبير من كبار رجالات الحكومة .

وقام ألف من الجنود بحراسة المطار والطرقات المؤدية له .. والطرقات التى سيسلكها الموكب الملكى للسلطان العائد .. حتى بلدة « بوفالون » حيث أعد مقر إقامته .

وقبل ظهر يوم ١٦ نوفمبر ١٩٥٥ .. عاد إلى الرباط .. سيدى محمد بن يوسف .. سلطان مراكش .. ترافقه أسرته وحاشيته .. قادما من باريس .. فى موكب ملكى طائر .. ليجد فى استقباله مليون مركشى يهتفون بحياة الرجل الذى تحمل ما تحمل من أجل كونه يعبر عن آمالهم وآلامهم .. ويتكلم بصوتهم .

واصطف حوالى ٤٠ألف جندى على الطريق الممتد لمسافة ١٢كيلو بين المطار والقصر .. تحت أقواس النصر .

والغيت معاهدة الحماية الفرنسية على مراكش واعترفت فرنسا بمراكش دولة حرة مستقلة ذات سيادة فى مارس ١٩٥٦.. وتلتها أسبانيا فى الاعتراف باستقلال مراكش فى ٧ إبريل الذى يليه .. وألغيت فى ٢٠ اكتوبر من نفس العام الاتفاقية التى كانت تنص على تدويل مدينة طنجة .

وبذلك اثمر غراس الثورة التى بذرها .. السلطان الثائر .. المجاهد ..

وهنا يسجل التاريخ ملاحظة هامة للغاية .. هو أن الملك محمد الخامس عندما عاد منتصرا إلى عرشه وبلاده .. كان .. طيبا أكثر من اللازم .. متسامحا أكثر مما يجب .

لقد كان مفروضا .. وهذا حق .. وواجب فى نفس الوقت .. أن يصفى أعداءه .. وأعداء الشعب .. ولكنه لم يفعل .. بل على العكس من ذلك .. لقد تركهم فى مناصبهم .. يرتقون فيها .. ويزيدون من نفوذهم وتسلطهم .

فعندما عاد السلطان من منفاه .. كان السلطان الزائف المعين من قبل سلطات الاحتلال .. محمد بن عرفة .. من أول من ركعوا تحت قدمى السلطان المنتصر .. طالبين العفو .

ومثله فعل الميجور « محمد أوفقير » .. المغربى .. الذى كان الساعد الأيمن للجنرال الفرنسى « جوان » المقيم العام الفرنسى فى مراكش .. ينفذ سياسته العنيفة فى مواجهة الحركة الوطنية المغربية .. ويقود عمليات الإرهاب ضد الشعب .

بل وأكثر من ذلك .. لقد كان أوفقير هو الذى يتولى .. بنفسه .. تنفيذ أوامر الجنرال جوان .. ضد مليكه .. السلطان محمد بن يوسف .. عندما قررت سلطات الاحتلال نفيه إلى خارج البلاد .. لقد اعتقل السلطان بنفسه .

وعفا السلطان الطيب القلب .. عفوا فى غير موضع .. وتكرم على من لا يستحق .

ولقى الملك جزاء سنمار من أوفقير الذى صار جنرالا فى الجيش ليحكم

قبضته عليه .. هو ورفيقه الجنرال أمزيان .. وهما تربية مدرسة واحدة .. هى مدرسة التعصب الفرنسى .. ضد كل ما هو .. « وطنى مغربى » .

فعندما تعاون السلطان محمد الخامس مع الاتحاد الوطنى للقوى الشعبية .. وهو الحزب الذى يعبر عن الروح الوطنية والنضال الوطنى .. ويمثلها أصدق تمثيل .. وتم تشكيل حكومة وطنية حقيقية .. كان العسكريون ..بقيادة أوفقير وأمزيان اول من ناوأها .. وعرقل خططها .

...

وفجأة أسلم السلطان محمد بن يوسف .. محمد الخامس .. روحه الى بارئها .. فى عملية جراحية .. بسيطة .. فى أذنه ؟؟!!

وذلك فى يوم ٢٧ فبراير عام ١٩٦١

...

وطبقا للتقاليد التى سارت عليها الأسرة العلوية الحاكمة فى المغرب منذ القدم لم يكن الحاكم منهم .. والذى كان عادة يحمل لقب سلطان .. يعين أحد ابنائه لوراثة العرش .. بل كان ما يشبه مجلس الأسرة هو الذى يتولى اختيار وريث العرش هذا .. سواء كا من أبناء الحاكم أم لا .. فقط لابد وان يكون .. شريفا .. من الأسرة العلوية .

ولكن السلطان محمد بن يوسف .. أو الملك محمد الخامس .. كما اشتهر بعد ذلك .. خالف هذه القاعدة .. وسمى من بعده إبنه الأكبر .. الأمير الحسن ليكون وليا لعهده .. ووريثا لعرشه .

وفعلا تولى الحكم من بعده .. الملك الحسن بن محمد .. الملك الحسن الثانى .. الذى تربى تلميذا فى مدرسة ابيه .. الوطنية السياسية .. وكان سكرتيرا خاصا له فى الأوقات العصيبة والهنية معا .. رفيق كفاحه .. ومنفاه .

ويذكر ان الملك الحسن .. كان قد اختار أوفقير ليكون .. مرافقا عسكريا له .. عندما كان وليا للعهد .. فماذا بعد أن أصبح ملكا ؟

طبعا كان الاعتماد الملكى على أوفقير .. اكبر .. واعظم .. إلى الدرجة التى مكنت له أن يكون .. متصرفا .. فعليا فى كثير من الامور الهامة للبلاد ..

وأولها بالطبع الامور المتعلقة .. بالشئون العسكرية .. وامتدت تلقائيا .. إلى امور الامن الداخلى ..

...

سيطر أوفقير بنفسه على القيادة العليا للجيش .. ودعم نفسه بأعداد كبيرة من البربر .. اهله وعشيرته ..

أحاط نفسه بهم فى المناصب الهامة العليا فى الجيش كما عينهم قادة للأفرع المختلفة لقوات الجيش ..

وكان حريصا .. بشكل دقيق .. وخاص جدا .. على أن يكون .. جميع ضباط .. القيادة الخاصة بسلاح الطيران .. من الموالين المقربين له شخصيا .. المؤتمرين بأمره .. هو وحده ..

......

ثم امتد نفوذه لدى .. السلطان .. أو الملك .. الجديد وثقته فيه .. فصار يعين .. تلاميذه .. والموالين .. من الضباط .. فى منصب .. وزير الدخلية .. ويدعمه ايضا .. ويسيطر عليه فى نفس الوقت .. بأن يجعل اقرب مساعديه .. من أولئك الذين يأمرهم أوفقير فيطيعون .

وطبعا عن طريق الجيش .. والداخلية .. اصبح مسيطرا على اسباب القوة فى البلاد .

وقد سبق هذا وذاك ثقة ملكية ..

وجعل ذلك من أوفقير .. اقوى رجل فى المغرب ..

ومع ذلك .. لم يكتف أوفقير .. ولم يرض .. أنها التفس .. الامارة بالسوء ..

.....

الملك .. المظلوم

وقبل أن نسترسل فى المزيد من سرد الحوادث والاخبار نتوقف قليلا لنلقى نظرة سريعة على السيرة الذاتية للملك الحسن الثانى .. ملك المغرب .

ولد ملك المملكة المغربية .. الحسن الثانى فى مراكش .. « المغرب » فى ٩ يوليو عام ١٩٢٩ بالقصر الملكى بالرباط .. ونال ليسانس الحقوق عام ١٩٥١ ودبلوم الدراسات العليا فى القانون المدنى عام ١٩٥٢ من جامعة بوردو بفرنسا .

بعد عودة والده الملك محمد الخامس من المنفى أوكل اليه مهمة الإشراف على النشاطات الشبابية فى المملكة المغربية .

وعين وليا لعهد المملكة المغربية يوم عيد ميلاده الثامن والعشرين فى ٩ يوليو ١٩٥٧.. وعامها أيضا عين قائدا أعلى للجيش ورئيسا عاما له .

حكم البلاد كنائب لابيه الملك أثناء قيامه بالزيارات الخارجية أعوام ١٩٥٧ ، ١٩٥٨ .

رأس الوفد المغربى فى اجتماعات الأمم المتحدة عام ١٩٦٠.. وعين وزيرا للدفاع فى نفس العام .

وبعد وفاة والده فى ٢٦ فبراير ١٩٦١.. تولى الحكم فى بلاده .. ملكا عليها فى اليوم التالى ٢٧ فبراير /١٩٦١ .. وجرت احتفالات تنصيبه رسميا يوم ٣ مارس ١٩٦١ .. ليكون الملك السابع عشر من الملوك العلويين الذين تعاقبوا على حكم المغرب منذ القرن السابع عشر .

ويوم تولى الملك الحسن السلطة عقد قرانه « سرا » .. على الأميرة « زبيدة » ابنة عمه مولاى الحسن شقيق الملك محمد الخامس .. والذى يقيم فى مدينة فاس .

وكان الحرص على عدم اعلان الزواج هو حالة الحداد التى كان يجب مرورها على موت الملك الأب وهى أربعون يوما

ويتعلق موضوع هذا الزواج السريع طبعا بمسألة .. وراثة العرش .. حيث كان الأمير عبد الله ..شقيق الملك الحسن يطمع فى أن يعلن أخوه الملك الحسن مبايعته بولاية العهد وقت مبايعته هو شخصيا بالملك .. ولكن الملك الجديد ارجأ هذه المسألة .. بالطبع حتى يأتى للعرش وريث من صلبه هو .

وقد أدت هذه المسأله إلى مقاطعة الأمير عبد الله لحفل تنصيب شقيقه للعرش .

على أنه لم يعلن عن هذا الزواج الملكى رسميا إلا بعد أن وضعت الملكة طفلتها الأولى .. يوم ٢٧ أغسطس ١٩٦٢.

وقيل ساعتها إنه طبقا للتقاليد الملكية المغربية .. فإنه لا يجوز إعلان زواج الملك قبل انجاب المولود الأول .. ولا يجوز لولى العهد أن يتزوج إلا فى حالة وفاة والده ، أو إذا ثبت بالقطع عجز الملك عن الإنجاب . كما أن هذه التقاليد لا تمنح زوجة الملك لقب الملكة .. ويعتبر اسمها سرا لا يجب أن يذاع .

وهنا .. نترك المسائل الشخصية الخاصة .. لنتابع المسائل العامة .. والتى تتعلق بالملك الحسن شخصيا .. وتتعلق بالعنوان الذى اخترناه لهذا الجزء من الكتاب .. الملك المظلوم .

ولعل التاريخ لا يذكر أن ملكا تعرض فى حياته لمثل هذا العدد الهائل من محاولات الاغتيال ، كتلك التى تعرض لها الملك الحسن هذه ناحية .. أو جزئية .. من أسباب العنوان .

أما الجزئية الأخرى فهى أنه الحق بشخصه الكثير من الأعمال التى حرص أقرب المقربين بالنسبة له على أن تبدو وكذلك .. وهو منها براء .

وقد جرت الحوادث العنيفة على شخص الملك الحسن .. حتى قبل أن يتولى الحكم .. ونستعرض بعضا من هذه المحاولات فيما يلى .. فالمجال يقصر عن حصرها .

ففى يونيو من عام ١٩٥٦ جرت فى شمال المغرب سلسلة من الصدامات بين المواطنين والجنود الفرنسيين .. حيث لم تكن المغرب قد حصلت على

استغلالها عن فرنسا بعد .. وطار الأمير الحسن إلى منطقة « نازه » لدراسة الموقف .

وفى طريق عودته إلى فاس .. القيت على سيارته .. قنبلة يدويه ..ولم تحدث القنبلة اضرار بالسيارة ولا بالأمير .. ولكنه كان لابد من التوقف .

وفى الحال أحاط بالسيارة عدد من الأشخاص الملثمين .. واصطحبوه معهم .. إلى مكان غير معلوم فى الجبال .

وبعد ساعتين أفرج عن الأمير الحسن .. سالما .. وواصل سفره الى فاس .

وفى عام ١٩٥٧ اشترك الملك الحسن وأوفقير فى إخماد الثورة التى قامت فى الريف المغربى .. وكان مستشاره العسكرى ومرافقه آنذاك .. وكان الامير يقف وأوفقير بالقرب من مكان كثيف الشجر .. وإذ بشخص يبرز من بين لأشجار موجها بندقيته إلى الأمير . وفى رواية أخرى قيل إنه قذف تجاهه قنبلة فيسرع أوفقير بالقبض على هذا الرجل .. ويقطع رأسه .. بسكين .. ويقدمها هدية لأميره .. ويرقى بعدها إلى رتبة أعلى .

وفى ١٥مارس ١٩٦٠ .. أعلن رسميا ان الأمير الحسن .. تعرض لمحاولة اغتيال .. وألقت السلطات المغربية القبض على ١٢شخصا بتهمة الاشتراك فى هذه المحاولة من بينهم محمد بن سعيد قائد جيش التحرير المغربى .. وعدد آخر من كبار المسئولين فى حزب القوات الشعبية للاتحاد الوطنى المغربى .

كما جرت اعتقالات كبيرة فى عدة مدن بنفس التهمة فى الدار البيضاء ومراكش العاصمة وتطوان وطنجة وأغادير .

وبعد اعتلائه العرش جرت أول محاولة لاغتياله حيث أعلن رسميا أن الحكومة كشفت خطة لذلك دبرتها المعارضة .. وحددت لتنفيذها يوم ٢٠يوليو ١٩٦٣ ولكنه جرى كشفها قبل ٤ أيام من تنفيذها .. والقبض على ١٠٤ اشخاص ضالعين فيها .. وعلى رأسهم السيد محمد البصرى رئيس حركة المقاومة ضد الاحتلال الفرنسى إبان

الاحتلال ، والسيد عبد الرحمن اليوسفى المحامى .

وأعلنت سلطات الأمن أنه عثر مع المتهمين على رسم .. لغرفة نوم الملك فى قصوره .

وفى ٢٠ فبراير ١٩٧٠ قبض فى العاصمة الأسبانية مدريد على البعض الذين كانوا يدبرون لمحاولة لقلب نظام الحكم فى المغرب

وفى ٣٠ مارس من نفس العام أحبطت حركة مماثلة كان المتآمرون فيها من ضباط الجيش الشبان .

وفى ١١ سبتمبر عام ١٩٧٠ نفسه أعلن عن محاكمة ١٠٠ شخص بنفس التهمة .. وكذلك محاكمة ١٨٠ شخصا آخرين فى ١٤يناير ١٩٧١ لنفس السبب ، بينهم بعض الشخصيات الهامة .

على أن أهم هذه المحاولات وأخطرها .. والتى كانت المعجزة والإرادة الإلهية وحدها هى السبب فى نجاة الملك منها .. حادثتان يسجلهما التاريخ .. بالدم .. لبشاعتهما .. تنفيذا .. وخيانة ..

حادثة قصر الصخيرات .. وحادثة إطلاق النار على طائرة الملك وهى فى الجو .

وقبل ان خوض فى تفاصيل هاتين الحادثتين « الرهيبتين » .. نقول ان الملك الحسن ليس فقط أكثر الملوك العرب الذين تعرضوا لحوادث اغتيال ولكنه ايضا أكثر .. بلا جدال .. ملك ظلمه رجاله .. فإن كل الآثام .. « والمصائب » .. التى أقدم عليها رجاله المخلصون .. الحقت بشخصه .

أوفقير الرهيب .. قتل من قتل .. وذبح من ذبح .. وتآمر كما تآمر وغيره .. وغيره .. وكانوا يحرصون دائما على أن يظهروا وكأن الملك الحسن معهم .. بل أمامهم .. فى كل ما يفعلون .. ونجحوا فعلا فى إقناع الناس بأن ما يحدث إنما يتم باسم الملك .. ومباركته .

وقد جعل ذلك صورة الملك الحسن دائما مختلفة بين وقت وآخر .. تبعا للأحداث .

وكان الملك الحسن الثانى نفسه يشعر بهذا الاختلاف فى النظر إلى شخصيته .. وفى حديث قديم مع سليم اللوزى فى مجلة الحوادث البنانية .. قال بالحرف الواحد .. « تارة أنا ديكتاتور ، حاكم من القرون الوسطى .. يجمع كل السلطة بين يديه ، ويتصرف فى كل كبيرة وصغيرة ، وتاره » إما ملك لاه عن المسئوليات ، أعيش فى الملاعب ، ولا أهتم حتى بقراءة المراسيم قبل أن أوقعها »

وليت الأمر وقف عند حد أن يظلم الرجال مليكهم الذى أولاهم الكثير من ثقته .. ومكن لهم الكثير من أوجه السلطة والسلطان .. بل إن الأمر تعدى ذلك بكثير .. فإن اعظم التآمر .. جاء من .. أقرب الرجال .. والمفروض أنهم .. الأكثر ولاء ..

وإلى البيان .. والاثبات .. فى أحداث الاغتيالات .

وقد تميزت الحادثتان اللتان نحن بصددهما بميزتين .. كلتاهما أخطر وأبشع من الأخرى .. عن جميع الحوادث التى تعرض لها الملك الحسن الثانى جميعا .. سواء عندما كان لم يزل وليا للعهد .. أو بعدان تربع على العرش .

ففى حادثتى قصر الصخيرات .. وإطلاق النار على طائرة الملك الحسن وهو فى الجو .. كان المدير الأصلى .. والمنفذ .. كلاهما من القريبين للملك .. ومن اخلص رجاله .. هذه واحدة والآخرى هى .. وحشية المؤامرة .. وكم الدم الذى نزف من ورائها .. وإن كان المقصود أصلا هو .. دم الملك الحسن الثانى شخصيا .

ومع دقة التدبير .. وإحكام التخطيط .. والالتزام التام فى التنفيذ .. والمستوى العالى فى أدائه .. إلا أن العناية الإلهية كانت لكل ذلك بالمرصاد .. شاءت العناية الإلهية أن يعيش الملك الحسن .. فعاش الملك الحسن .. ويمكرون ويمكر الله .. والله خير الماكرين .

والآن إلى التفاصيل

حادث .. الصخيرات

قصر الصخيرات هو القصر الملكى الصيفى للملك الحسن الثانى ملك المغرب ..

واليوم هو ١٠ يوليو ١٩٧١.. يوم الاحتفال بعيد ميلاد الملك الحسن الثانى .. العيد ٤٢ .

قصر الصخيرات تجرى فيه الترتيبات منذ عدة أيام احتفالا بهذا الحدث الكبير . واليوم بدأ المدعوون يتقاطرون على القصر .. ومع غياب الشمس كان القصر كله يتلألأ بالضوء .. كأنه كله قطعة منيرة .. مثيرة .

وفى السادسة تقريبا كانت ردهات القصر تعج بالمدعوين . من علية القوم .. والأجانب .. ولكن الاحتفال أعدله أصلا أن يكون فى الحدائق الغناء المحيطة بالقصر فى الهواء الطلق .

وفجأة .. يدوى انفجار عنيف .. ويقتحم رجال الجيش المسلحون بالرشاشات المكان .. يطلقون الرصاص .. فى كل مكان .. وعلى كل من كان.. ويأمرون الجميع بأن يديروا وجوههم نحو الحائط .. رافعين أيديهم .. وظهورهم للمهاجمين .. ثم يطلقون الرصاص على من شاءوا .

ثم قام الرجال المسلحون المهاجمون بعزل الحاضرين فى أحد الأركان ..

وقامت قوات الجيش بنقل الدبلوماسيين بعيدا عن القصر .. فى عربات نقل .. وأمرهم الجنود بالجلوس فيها .. وأيديهم مرفوعه فوق رؤوسهم .

واثناء ذلك كان القصر الملكى محاصرا تماما .. وتم إغلاق جميع الطرق المؤدية إليه .

ولننتقل قليلا إلى خارج القصر لتتم صورة الانقلاب كان حى الوزارات فى الرباط العاصمة قد عزل وحوصر تماما .. وتم الاستيلاء على وزارة الداخلية .. واتخذها الرجال الثائرون مقرا لبعض الرهائن الذين قبضوا عليهم .

والأهم من كل ذلك كان الثوار قد استولوا على إذاعة الرباط .. التى بدأت من حوالى الساعة السادسة والربع .. أى بعد ربع ساعة فقط من مهاجمة القصر الملكى .. فى إذاعة المارشات والموسيقى العسكرية ..

ثم قطع الإرسال العادى ليذاع بيان فى الراديو والتليفزيون المغربى نداء إلى الشعب يقول .. « مات الملك .. تحيا الجمهورية » .

وبعد قليل أذاع الراديو المغربى نداء إلى الشعب قال فيه .. « قامت القوات المسلحة الوطنية بعد التطويح بالإقطاع بالاستيلاء على السلطة باسم الشعب » .

« أيها المغربيون والمغربيات ، كونوا متيقظين ، لا تصغوا للأوامر المضادة للثورة . والمعادية للشعب »

وأكد الراديو أن .. الملك وحاشيته .. قد قتلوا .

ثم بعد قليل أذاع .. باللغة الفرنسية .. اعتبارا من اليوم ١٠ يوليو تنتقل جميع المهام فى الساعة السادسة مساء بتوقيت جرينتش إلى السلطات العسكرية المحلية ـ تحيا الجمهورية »

وعاد الراديو إلى إذاعة الموسيقى العسكرية .

وفى حوالى الحادية عشرة أذاع راديو الرباط أول بلاغ باسم مجلس قيادة الثورة فى المغرب وجيش الشعب المغربى .. « أيها المواطنون .. لقد أطيح بالنظام الملكى .. اليوم جديد وينبغى ان نتسلح بالوعى الكامل .. ولا نترك العمل .. »

« أيها المواطنون إن الجيش يتولى جميع السلطات فى جميع المدن والاقاليم .. وعليكم باليقظة التامة .. وهذا بلاغ من جيش الشعب .. ومن قيادة الثورة »

« السلطات التابعة للجيش المحلى هى التى تصدر الأوامر » .

وأثناء هذه الساعات الثلاث أو الأربع كانت وكالات الأنباء تنقل من

المغرب .. وصفا لما جرى .. وأن الملك وحاشيته وأكثر المخلصين من رجاله قد قتلوا .. وأن الجيش احتل حى الوزارات والمواقع الرئيسية فى الرباط العاصمة .. واستولى على الإذاعة والتليفزيون .. وأن الجيش أعلن الجمهورية ويتولى جميع السلطات ...

وأذاعت بعضها أن الملك .. أسر .. وأنه تنازل عن جميع سلطاته المدنية والعسكرية .. وأن الجيش يتولى جميع السلطات .

فماذا عن هذه الساعات العصيبة .. على من كانوا فى القصر .. وماذا جرى عليهم ومعهم .

لقد أطلق المهاجمون النار عشوائيا فمات من مات وجرح من جرح ..

بين من ماتوا كان الجنرال قائد سلاح الطيران .. والجنرال قائد الحرس الملكى والجنرال ياور الملك .. ووزير السياحة المغربى .. والسفير البلجيكى لدى المغرب .. كان القتلى حوالى ٤٠ شخصا .

والجرحى كانوا حوالى ١٠٠ شخص بينهم الأمير عبد الله شقيق الملك والذى انبطح على الأرض بعد إصابته فأفلت من الموت بذلك .. وأيضا السفير السعودى لدى المغرب .. فماذا عن الملك ؟!!

لقد قالت العناية الإلهية كلمتها بأن يعيش .. فنجا من الموت المحقق ..

ألقيت نحوه مباشرة قنبلة يدوية .. ولكن الحبيب بورقيبة الابن .. نجل رئيس الجمهورية التونسية الحبيب بورقيبة والذى كان يدرس فى الكلية الملكية العسكرية فى المغرب ، والتى كان طلبتها ممن يهاجمون القصر ، التقط الحبيب بورقيبة الابن القنبلة وألقى بها بعيدا عن الملك الحسن لتنفجر بعيدا عنه .

ويقول الملك الحسن عن هذه الساعات الرهيبة إن المهاجمين أمروا الجميع .. وهو بينهم .. بأن يديروا وجوهم إلى الحائط وأن تكون ظهورهم إلى المهاجمين .. وأخذوا يطلقون النار عليهم .

اما كيف نجا هو .. فيقول .. إن طالبامن الكلية العسكرية تعرف عليه .. وحين عرفه أمره بأن يسير أمامه .. رافعا يديه فوق رأسه .. والطالب يضع يده على زناد المدفع الرشاش .. المصوب نحو ظهر الملك وأنه اتجه بالملك إلى ركن بعيد .. شبه خال .. وعندها اسرع الطالب بالاعتذار للملك .. قائلا إنه تعرف عليه بصعوبة .. وبالصدفة البحته لأنه لم يكن قد سبق له أن رأى جلالته إلا بالزى الرسمى العسكرى أو بالزى الوطنى المغربى .. وكان الملك فى ذلك الحفل يرتدى .. بنطلونا وقميصا ..

ثم ألقى الطالب سلاحه وأدى التحية العسكرية للملك .. وطلب إليه ان يبتعدوا تماما عن المكان .. حتى لا يقتلا معا .. فالأوامر .. بقتل الجميع .. خاصة الملك .. وقد شدد على ذلك الجنرال عبابو .. مساعد الجنرال المدبوح .. والضالع معه فى التآمر ..

وعلم الملك من الطالب أن الأوامر صدرت إليهم أولا بالتوجه إلى القصر الملكى .. والذى لا يبعد كثيرا عن الكلية بحجة أن الملك .. « يتعرض لمحاولة لاغتياله » .. وأنهم لم يعلموا بحقيقة الأمر إلا بعد اشتراكهم فعلا فى الهجوم وأنهم بين ١٤٠٠ و ١٢٠٠طالبا .. برتبة صف ضابط ..

وعندها طلب الملك منه أن يستدعى إلى المكان الذى ابتعد فيه بعض زملائه .. بعد إطلاعهم على الموقف .. ثلاثة أو أربعة يكفى ..

ويقول الملك .. « خاطبتهم .. لنبدأ بتلاوة الفاتحة .. جهرا .. وحينئذ قام المدعوون الذين كانوا محتجبين .. ومنبطحين على الأرض .. وأخذ يلتحق بنا جميع التلاميذ ضباط الصف .. وهم يهتفون .. عاش الملك .. لقد حمونى .. ولهذا السبب أفرجت عنهم جميعا بعد ذلك »

واستدعى الملك الحسن بعد ذلك .. رجله المخلص الجنرال محمد أوفقير .. وأصدر قرار بأن يتولى جميع السلطات المدنية والعسكرية .. منذ تلك الساعة .

وانتقل الملك يمضى ليلته فى ڤيلا فى حى « سويس » بالرباط .. تحت حراسة مشددة .. وفى الصباح كان فى مكتبه بالقصر الملكى فى الرباط يذيع بيانا على اشعب .

وبعد ١٢ ساعة بالتمام والكمال من بدء الانقلاب كان الجنرال أوفقير يعلن فى بيان أذاعته وكالة الأنباء المغربية « أن صاحب الجلالة الملك الحسن الثانى الرئيس الأعلى للدولة وللقوات المسلحة الملكية .. يمسك فى يديه بزمام السلطة .. »

وفى مساء اليوم التالى للانقلاب عقد الملك الحسن الثانى مؤتمر صحفيا أعلن فيه أن قادة الانقلاب الفاشل وهم من أخلص رجاله .. محمد المدبوح قائد الكلية العسكرية الذى قتل أثناء المحاولة بيد مساعدة عبابو .. والجنرالات مصطفى وبوجرين .. وحسن حامو .. زوج شقيقة الملك .

وقال الملك إن القوات التى تكن له الولاء سحقت محاولة الانقلاب .. وأن الضباط المتمردين .. قتلوا .

وتلقى الملك الحسن الثانى برقيات تهنئة من جميع القادة الحكام فى الوطن العربى والإسلامى .. والدول الأجنبية .

وانتهى كل شئ .. وعاد كل شئ على الساحة المغربية هادئا .

وإذا كان الملك الحسن الثانى قد خرج سالما من هذه المحاولة .. فهناك رجل آخر .. حصل على مكاسب .. خرافية نتيجة هذا الانقلاب .. أنه الجنرال أوفقير .. الذى سلم له الملك الحسن بقرارات رسمية .. جميع الأمور المدنية والعسكرية فى المملكة المغربية .

فماذا فعل أوفقير ؟؟!!!

لقد تولى الجنرال اوفقير .. بما خوله الملك من سلطات .. وقبلها بما ألزم نفسه به من النشاط غير المحدود .. والحب الذى هو مضرب الأمثال للعنف والقتال .. كما يقول تاريخه الشخصى الطويل .. الثقيل .

ففى خلال ١٢ ساعة فقط .. قاد أوفقير بنفسه تصفية الثورة الفاشلة .. وضرب تجمعاتها والقضاء عليها نهائيا .

كان الثوار قد استولوا على محطة الإذاعة والتليفزيون وبعض الأجهزة الحكومية الهامة ولعل أخطرها وزراة الداخلية .

ولم يكن اوفقير فى حاجة أن يوصيه الملك بالعنف ولا بالقسوة اللازمة مع هؤلاء الذين استهدفوا .. أول ما استهدفوا .. حياة الملك شخصيا .. فقد كانت القسوة والعنف شئ عادى جدا .. وممارسة يومية على مر السنوات الطوال لتاريخ أوفقير العملى ..

فعندما اشترك فى حرب الهند الصينية فى صفوف الجيش الفرنسى كانت قسوته مضرب الأمثال .. حتى أن الثوار الوطنيين رصدوا جائزة مالية خاصة .. لمن يأتى برأس أوفقير .

وتروى الكثير من القصص عن شهوة أوفقير الغريبة .. للدم .. وأن افضل طريقة كان يعامل بها أعداءه هى .. قطع الرأس .. بالسكين .. وبيده هو شخصيا .

وقام أوفقير بتصفية رؤوس التآمر .. والذين كان لهم دور فى الثورة التى أحبطت .. كبر أو صغر .. بالسرعة .. والدقة والقسوة ..

ولكن هناك أمر هام وخطير بالنسبة لأوفقير شخصيا . فقد كان أوفقير .. فى سبيل إحكام سيطرته الشخصية على مقدرات الأمور فى كل خواص الحياة فى المغرب قد وضع انصاره من أهله وعشيرته من البربر فى جميع المناصب الهامة الحساسة .. وأخطرها ولا شك قيادات الأسلحة المختلفة فى الجيش ..

وكثير من هؤلاء .. إما اشتركوا فى الثورة أو أيدوها بشكل أو آخر .. فكان لابد من تصفيتهم ضمن القضاء على الثورة .. وهو الأمر الذى اضطر إليه أوفقير اضطرارا .. وأيضا أثر كثيرا فى نفسيته وسياسته .. وكان موضع حديث دائم منه مع المقربين إليه .

ثم هناك أمر خطير بالنسبة لاشتراك أوفقير نفسه فى هذه الثورة ذاتها .. فلم يسلم ممن يشير إليه بأصابع الاتهام .

فلم يكن التخطيط والتنفيذ لهذا الحدث العظيم ليغيب عن معلومية أوفقير .

فمن الناحية الخاصة .. فلا يمكن لهذا العدد الكبير من تلاميذ الجنرال .. وصنائعه .. وعملائه .. فى كل المواقع المدنية والعسكرية .. أن يشتركوا .. أو يعلموا بالثورة .. دون أن يكون هناك نوع من المباركة لمواقفهم من صانعهم أوفقير .

ومن الناحية العامة لا يمكن .. عمليا .. لأوفقير إلا أن يكون قد علم بالأمر .. وهو الرجل الرهيب الذى كان يعلم ما يهمس به الناس لبعضهم البعض .. وراء الحوائط .

كل هذا يقول بأنه ضالع فى هذه الثورة بشكل أو آخر .. وأن اتهامه لم يكن كله .. افتراء .. أو توجيه كلام على عواهنه .. وأضعف الإيمان فى هذا الخصوص أن يكون .. قد علم .. ولكنه لم يعارض .. أو يقوم بالواجب اللازم - كالمعتاد - بوأد هذه الثورة فى مهدها .

وعلى الطرف الآخر هناك من يدفع الاتهام بأن أوفقير لم يكن موجودا أو أنه لم يظهر فى أى مرحلة من مراحل التنفيذ . فضلا عن التخطيط .

ولكن عدم وجود أوفقير على مسرح الجريمة لا يعد عنصر دفاع فقط .. ولكن وبنفس القدر .. هو عنصر اتهام أيضا .. ودليل على الضلوع فى التآمر .. فقد يكون هذا البعد فقط لإبعاد الشبهه .. فى حالة الفشل .

وهذا ليس غريبا .. ولا مستبعدا .. فى مثل هذه الظروف .

ولعل ما حدث بالنسبة للمشاركين فى ثورة يوليو ١٩٥٢ فى مصر .. خير مصداق على رأينا هذا .. فبعض أعضاء مجلس الثورة .. القائم بكل الأمور .. اثبتوا وجودهم فى أماكن أخرى ليلة الثورة .. ترقبا لعواقب الأمور .

ولعل أذكاهم وأقدرهم .. والشئ بالشئ يذكر .. هو الرئيس الراحل أنور السادات .. الذى ذهب إلى السينما .. ولم يكتف بهذا .. بل افتعل خلافا مع آخر .. قام على أثره .. بتحرير « محضر » .. فى قسم الشرطة .. وهو إثبات قانونى قاطع .. فى حالة الحاجة إليه .

فلماذا لا يكون لأوفقير مثل هذا التفكير .

على أنه مهما كانت تخمينات اشتراك أوفقير فى حادث الصخيرات.. وأيا كان الرد عليها .. فإن ما قام به بعد ذلك من تآمر فاق كثيرا .. هذا الحادث .

وإذا كان تدبير محمد المدبوح . مدير الكلية الملكية العسكرية المغربية وفى نفس الوقت المرافق العسكرى للملك .. وأيضا مدير غرفته العسكرية .. قد باء بالفشل .. وانكشفت الأطراف المشاركة فيه .. فإن أوفقير خطط ان يقتل الملك الحسن .. شر قتله .. وأن يتضمن الحادث .. طمس .. كل دليل اتهام .. أو إشارة للفاعل ..

فماذا دبر أوفقير ؟؟!!

.....

أوفقير .. والسهم الأخير

.. طائرة تسقط فى البحر ..

بعد أن اطلق الملك الحسن الثانى يد جنراله .. المخلص .. الأمين .. شديد الولاء لجلالته .. محمد أوفقير .. فى كل الأمور المدنية والعسكرية بعد حادث الصخيرات .. احكم الجنرال قبضته على كل شئ .. وارتفعت مكانته إلى مكانة الملك .. حتى كان يقال .. الملك أوفقير .. أوفقير الملك .. دلالة على التوحد والالتصاق .

ولكن هذا لم يكن ليرضى غرور الجنرال .. فقد ألصق به الجميع التآمر الكبير البشع على حياة الملك .. بإسقاط طائرة الملك فى البحر .. فيقتل الملك .. وتغرق طائرته .. ويغرق معها كل دليل اتهام أو تآمر .

ولكن السهم طاش .. ليصيب الرجل الذى أطلقه .. لتكون النهاية لأوفقير .. وليس للملك الحسن الثانى .. وبعد حوالى ١٣ شهرا من المحاولة الضخمة .. فى قصر الصخيرات ..

فى يوم ١٧ اغسطس ١٩٧٢ .. كان الملك الحسن الثانى ملك المغرب عائدا من زيارة لفرنسا .. وطبقا للأصول العادية لاستقبال الملك أن تتقدم الطائرات المغربية .. لتتولى حراسة الطائرة الملكية .. بمجرد اقترابها من المياه الإقليمية المغربية ..

وطبقا لهذه الإجراءات .. قامت طائرات السلاح الجوى الملكى المغربى باستقبال الطائرة الملكية .. الخاصة .. المدنية .. البوينج ٧٢٧ .. التى تقدمت نحو الأراضى المغربية .

وفجأة .. تحولت طائرات الحراسة .. إلى طائرات للهجوم وأمطروا الطائرة التى يستقلها الملك .. وحوالى ٢٠ من حاشيته .. وطقم طائرته الخاصة .. بوابل من طلقات المدافع الرشاشة .. ليمتلئ جسم الطائرة بالثقوب

.. ويتم اتلاف كابينة القيادة .. وتحطيم الآلات .. ونسف الباب الخلفى للطائرة .. واصابة محركات الطائرة جميعا عدا محرك واحد فقط وإصابة العجلات سوى واحدة فقط .

كانت الطائرة على ارتفاع بين ٣٠٠٠ ، ٤٠٠٠ قدم فوق سطح البحر .. وكانت على مسافة ٢٠ دقيق فقط من مطار الرباط .. وكان المطلوب هو إسقاطها بمن فيها بأى شكل .. وكان مؤدى ما حدث لابد وأن يوصل إلى هذه النتيجة المفجعة .. لولا إرادة الله تعالى وعنايته التى أنقذت الموقف .. مع وجود كل هذه الإصابات والاتلافات فى الطائرة .. والتى تكفى واحدة فقط منها لإحداث المأساة المطلوبة .

وفى محاولة يائسة .. لإنقاذ ما يمكن إنقاذه .. قام الملك بخدعة لايقاف الهجوم ومنع استمراره .

تظاهر الملك بأنه .. ميكانيكى الطائرة .. وهرع بنفسه الى كابينة القيادة .. وأمسك بجهاز اللاسلكى ..واتصل بالطيارين المهاجمين .. وقال لهم إنه ميكانيكى الطائرة .. وأن قائد الطائرة ومساعده قد إصيبا اصابة بالغة .. وان الملك .. « اصيب اصابة قاتلة » .. وأنه لا داعى لاستمرار القصف .. فقد .. يمكن .. إنقاذ بقية الأرواح التى على الطائرة .. وصدق الطيارون المهاجمون الخدعة .. ووافقوا على إيقاف إطلاق النار على الطائرة .

ولم يبتعد المهاجمون عن موقع المعركة .. بل ظلوا يراقبون الموقف .. فى انتظار الهرج والمرج الذى من المتوقع أن يحدث بمجرد هبوط الطائرة .. وإعلان إصابة الملك .

وعمل الملك بنفسه مع الميكانيكيين على هبوط الطائرة .. على عجلة واحدة بعد ان توقفت العجلة الأخرى عن العمل واشتعلت النيران فى محركين من محركات الطائرة .. وهبطت الطائرة .. بسلام .

وفى سرعة لجأ الملك وبعض من معه إلى الغابة القريبة من المطار .

واكتشف الطيارون الذين هاجموا طائرة الخدعة .. وعلموا أنهم لم

يقتلوا الملك .. ولم يسقطوا طائرته .. فقاموا بإمطار المطار والمنطقة المحيطة به بآلاف الطلقات من مدافعهم الرشاشة .. وأيضا اتجهوا إلى القصر الملكى فى الرباط .. والذى يفترض أن الملك سوف يلجأ إليه بعد نجاته .. وأمطروه بطلقات المدافع الرشاشة .

كل هذا ولم يظهر اوفقير .. مطلقا .. على مسرح الأحداث .. ولا حتى فى المطار لاستقبال الملك .. مع كبار رجال الدولة .. كما هو مفترض .

ثم ذكرت بعض الأنباء بعد ذلك أن الجنرال أوفقير .. قاد بنفسه .. العمليات التى جرت .. ضد الضباط الثائرين فى سلاح الطيران الملكى .. بعد مهاجمة طائرة الملك .

ولكن أعلن بعد ذلك فى بيان رسمى أن الذى قاد هذه العمليات هو الجنرال عبد السلام بن عمار مساعد القائد العام للقوات المسلحة الملكية .. وأنها انتهت بالاستيلاء على قاعدة القنيطرة الجوية الملكية .. وهى القاعدة التى قام قائدها .. الرائد قويرة العوائلة .. بقيادة عملية الهجوم على طائرة الملك .. وأن الجنرال أوفقير .. وهذا هو الأهم .. لم يشترك فى هذه العملية .. لا من قريب ولا من بعيد ..

وكان الرائد قويره قد ألقى بنفسه بالمظلة من طائرته المهاجمة للطائرة الملكية عندما تيقن من فشل محاولة الاغتيال .. وأنه سقط فى البحر حيا .. ليقبض عليه رجال أحد الزوارق المغربية المسلحة ..

وبعد قليل أعلن ان العقيد حسن البوشى قائد القوات الجوية الملكية المغربية .. قد فر هو وأحد مساعديه إلى جبل طارق .. فى طائرة هيلوكوبتر .. حيث قاعدة جبل طارق العسكرية البريطانية .

وأنه تبعه بطائرة أخرى فى وقت لاحق .. خمسة من الضباط هم العقيد محمد أموقران والملازم الميراوى والمساعد عبارة ولجيب محمد وعكروم .

وهؤلاء جميعا تم تسليمهم .. بطائراتهم .. بعد ذلك للمغرب مرة أخرى .. حيث وصلت طائرة من سلاح الجو المغربى إلى جبل طارق ..

لاستلامهم وإعادتهم حيث تم القبض عليهم فور عودتهم .

والأهم من كل ذلك أنه أعلن فى المساء .. انتحار الجنرال محمد اوفقير .. ساعد الملك الأيمن .. وأقرب المقربين إليه .. وأقوى رجل فى المغرب .

وتناقلت وكالات الأنباء فى العالم كله هذا الخبر الغريب .. بعضها أذاعة بدون تعليق .. وأكثرها أذاع معه .. ما يكذبه .

وقال الذين قبلوا بفكرة .. انتحاره .. أنه لابد وأنه وجد نفسه بين أمريين كلاهما مر .

أولهما أن يكون الملك قد واجهه بأنه صاحب هذه المؤامرة .. خاصة وأن المنفذ لها وهو الرائد قويرة هو تلميذ أوفقير المخلص .. وأنه من البربر أهل أوفقير وخاصته .. ثم إن أوفقير هو المسئول مباشرة عن سلاح الطيران الملكى .. ومن ثم فقد آثر الانتحار على المحاكمة .

وثانيهما هو أن يكون الملك قد حمله مسئولية .. عدم كشف هذه المؤامرة فى وقت مناسب وحماية الملك منها .. وهو الرجل الذى جعله الملك مسئولا عن كل شئ .. مخولا فى اتخاذ أى إجراء .. ومن ثم وجد نفسه معرضا .. للعزل .. وهبوط المنزلة .. فآثر الانتحار .

أما أصحاب الرأى الذى قالوا بأن أوفقير .. ليس الرجل الذى يمكن أن ينتحر .. تحت أى ظروف من الظروف .. المادية والمعنوية .. فيقولون إنه قد قتل .. عمدا .. فهل يمكن أن ينتحر .. مقاتل شرس .. عنيف .. متمرس مثله .. بثلاث رصاصات .. أو أربعة .. أو خمسة .. كما أشيع وهو الخبير فى القتل .. الذى يعلمه أن يمكن .. بالضبط .. توجيه الضربة القاتلة .. وهذه الجزئية وحدها خاصة .. فى رأيهم .. دليل قاطع على عدم انتحاره .

أمر آخر يتمسكون به .. وهو ما قيل من أن أوفقير قبل مغادرته المنزل « قبل الحادية عشرة » قال لخادمه « لا أدرى متى أعود .. ولكن عليك بإيقاظى فى السادسة صباحا » .

ثم إن أوفقير ذهب إلى القصر الملكى .. حيث انتهت حياته مع حارسه الخاص .. وسائقه .. ولم يخبر أيا منهم بنيته على الانتحار بل طلب منهم .. أن ينتظروه ..

ولماذا .. إذا كان قد اعتزم الانتحار لم يخبر أسرته .. ؟

ولماذا .. تم دفنه دون الكشف على جثمانه .. ؟

ولماذا .. لم تقم له مراسم العزاء العادية المعتادة .. ؟

ولماذا .. ولماذا ؟ !

كثيرة هى الأسئلة .

ولندع الأسئلة والآراء .. لنتابع الوقائع ..

يقول الملك إنه عنده عندما بدأ قصف الطائرة .. أيقن ان وراء ذلك جنراله أوفقير .. لأنه لا يملك أى أحد .. ولا يمكن لأى أحد يفعل ذلك .. غير أوفقير ..

ويضيف إنه عندما نزل إلى المطار .. ولم يجد أوفقير فى انتظاره .. زاد يقينه .. بأن فاعلها هو أوفقير .. وأنه سأل عنه فلم يعرف أحد .. أين ذهب .

ومن ثم كان عليه أن يتوخى أقصى الحذر .. لأن المسألة .. لا يمكن أن تنتهى بأوفقير .. عند التسليم بالفشل .. وإنه لابد مستكمل ما بدأ ..

فكان قرار .. الفرار الفورى .. السريع .. إلى الغابة المجاورة .. وقد صدق الظن .. بقصف المطار .. والمناطق المحيطة .. فى لحظتها .

ثم كان القرار .. بعدم الذهاب إلى القصر الملكى بالرباط .. وكان صدق الظن .. بقصف القصر الملكى بالرباط .. حالا.

وكان القرار بالذهاب إلى قصر بعيد .. بسيارة عادية .. تسير فى شوارع فرعية .. وتجنب الطرق الرئيسية .. لقد ذهب إلى قصر الصخيرات الصيفى

حيث وقع الحادث السابق .. الشهير .. والذى يبعد عن الرباط ٢٠ كيلو مترا .. وحيث لا يتوقع أحد ـ وهذا هو الأهم ـ منه أن يذهب إلى هناك .

وفى الحال أحيط القصر بحراسة .. شديدة الكثافة .. وتتطاير إليه بعض أفراد الأسرة المالكة للاطمئنان على الملك .. وبعض كبار المسئولين .

وفى الساعة الحادية عشرة .. كان الجنرال اوفقير فى سيارته وبرفقته حراسته الخاصة .. وتتبعه سيارة مرسيدس .. بها عدد آخر من رجال الأمن المرافقين .. ووصل إلى قصر الصخيرات .. حيث استدعاه الملك .. وصرف السيارة المرسيدس .. وبقيت سيارته الخاصة أمام القصر .. وبعد أكثر من ساعة .. خرج من القصر من يخبر من بالسيارة أنه .. « لا داعى لانتظار الجنرال .. لأنه انصرف من باب آخر » .

فماذا جرى فى القصر .. خلال هذه الساعة أو الساعة ونصف ؟ يقال فى إحدى الروايات أن الملكة الأم .. أم الملك الحسن .. كانت أول من لقى أوفقير بمجرد دخوله القصر .. وأنها صرخت فى وجهه « لماذا تريدون أن تقتلوا ابنى .. لماذا لا تريدون أن تتركوه يعيش .. لقد أعطاكم كل شئ .. فماذا تريدون منه أكثر من ذلك .. ولماذا أنتم مصرون على قتله »

ويقال إن الملك الحسن « الغاضب » قابل « أوفقير » مقابلة عاصفة « وأنه وجه إليه إهانات بالغة .. وأنه خيره بين الانتحار وبين المحاكمة العسكرية التى سيعقبها الأعدام طبعا .. بعد أن كشف أنه صاحب الأوامر .. بالضرب .. وأن أوفقير فضل أن يقتل نفسه .. حتى لا يضطر إلى الدخول فى الحلقه الجهنمية .. للاستجواب ..والتعذيب .. والإعدام .. وعندها حاول الجنرال العلمى .. تلميذ أوفقير ومدير الأمن القومى .. والكولونيل أحمد الدليمى كبير الياوران .. وتلميذ أوفقير .. وشريكه .. فى بعض مصائبه الكبرى .. حاولا منعه من الانتحار وكان عادة ما يحمل مسدسين .. وفشل الجنرال مرتين فى إصابة نفسه إصابة قاتلة .. بسبب تدخل صديقيه .. ولكن نجح فى الثالثة فى إصابة رأسه .. إصابة قاتلة .

وبعد ذلك دق جرس التليفون فى الفيللا الوردية التى يقيم بها أوفقير فى حى سبوس بالعاصمة المغربية .. كان المتكلم احد رجال القصر الملكى فى الصخيرات .. ليبلغ زوجة أوفقير الشابة أن .. « الجنرال قد انتحر .. وأن سيارة إسعاف فى طريقها الآن .. بالجثة .. إلى البيت .. وأن القصر الملكى .. يرى أنه لا ضرورة لعمل إجراءات لتشييع الجنازة .. لأن طائرة حربية خاصة .. سوف تحمل الجثمان إلى مسقط رأس الجنرال فى قرية « بودنيب » .. « لدفنه » .

وفى صباح اليوم التالى .. حملت طائرة تابعة لسلاح الجو المغربى .. جثمان أوفقير .. وبرفقته زوجته .. وبعض أفراد أسرته .. إلى قرية بودنيب الصحراوية .. على بعد ٤٠٠ كيلو مترا من العاصمة الرباط .. والتى من أعمال مقاطعة قصر السوق .. حيث دفن .. بلا احتفال .. ولا جنازة .

وصدر بيان رسمى .. بان آيات القرآن الكريم .. لم تتل .. كما هو معتاد .. على جثمانه .. طبقا لتعاليم الإسلام .. لأنه .. مات منتحرا .

وفى صباح اليوم التالى للمؤامرة .. علم أن الطائرات التى اشتركت فى قصف الطائرة الملكية عددها ١٣ طائرة .. كلها من قاعدة القنيطرة .. وأنه تم اعتقال جميع العاملين بالقاعدة من طيارين وعسكريين ومدنيين .. ويبلغ عددهم أكثر من ١٠٠٠ شخص .. أودعوا أحد معسكرات الجيش القريبة من القاعدة .. كما تم اعتقال حوالى ١٠٠٠ شخص آخرين لهم صلة بالحادثة .. وكانت الدوريات العسكرية تطوف الشوارع فى الرباط العاصمة التى أقيمت فيها المتاريس على مسافات متقاربة .. حيث كان يتم استيقاف المارين .. مشاة وراكبين .. وامتلأ جو العاصمة المغربية بآلاف من القصص والشائعات .. ونقلت وكالات الأنباء من هناك عشرات الحكاوى والروايات .

وعقد محمد بن هيمة وزير الداخلية المغربى مؤتمرا صحفيا قصيرا فى مساء نفس اليوم التالى .. قال فيه ان الجنرال محمد اوفقير كان العقل المدبر وراء محاولة اغتيال الملك .. وأن خيانته قد تكشفت عندما اعترف

الكولونيل أموقران (او اموجران كما ينطقونها) قائد قاعدة القنيطرة السابق .. والذى كان قد لجأ بطائرة هيلوكوبتر ومعه ٤ من رجاله إلى جبل طارق وتم استعادتهم .. بأنهم كانوا يعملون تنفيذا لأوامر الجنرال .. وأنه طالما ان أوفقير كان خائنا عندما حث الطيارين على التمرد .. فإنه يمكن القول بأنه كان خائنا أيضا فى انقلاب الصخيرات الذى وقع فى العام الماضى .

وقال بن هيمة إن الجنرال أوفقير .. « انتحر » .. بأطلاق الرصاص على نفسه .. رصاصة أصابت عنقه .. فرصاصة ثانية فى الصدر .. ثم أطلق رصاصة ثالثة كانت القاتلة ..

وقال .. « لقد كان انتحار خيانة .. ولم يكن انتحار ولاء » .

وقال وزير الداخلية المغربى .. إن الجنرال اوفقير كان موجودا فى المطار .. ضمن الوزراء الذين كانوا فى انتظار الملك .. وأنه استدعى قبل موعد وصول الطائرة بعشر دقائق فقط إلى برج المراقبة .. حيث رد على اتصال تليفونى مع احد ضباط سلاح الطيران المغربى .. وعندما هبطت طائرة الملك سأل فور نزوله عن الجنرال أوفقير .. ولكنه لم يكن موجودا .. كان قد اختفى .. وطال اختفاؤه .. واعتقد الوزراء انه لابد وأن يكون مشغولا .. باجراءات الأمن .

وأضاف وزير الداخلية المغربى أن أوفقير ظل .. مختفيا .. حتى الساعة عشرة مساء .. عندما توجه إلى قصر الصخيرات .. لمقابلة الملك .. وكان الجميع قد عرفوا أن محاولة اغتياله قد فشلت .

وقال بن هيمة أن أوفقير سأل فور دخوله الى القصر .. إذا كان الطيار الذى سقط فى البحر وألقى القبض عليه .. يقصد القومندان قويرة - قائد قاعدة القنيطرة الجوية .. وقائد الهجوم .. إذا كان قد تحدث إلى الملك .. ولكن الجنرال عبد الله عليوى .. رئيس الديوان الملكى قال له .. « لست مفوضا لأن أقول لك .. أى شئ » .

وقال بن هيمة إن أوفقير أدرك فى تلك اللحظة أن « خيانته قد

تكشفت » .. وعندها قال .. قبل أن يطلق الرصاص على نفسه .. « لقد توصلت إلى النتائج .. وأعرف ما الذى ينتظرنى » .. وأخرج مسدسه لينتحر ...

وسواء أكانت المسألة .. قتل أم انتحار .. فقد مات اوفقير .. حاملا معه عبء الإرهاب .. والظلم .. وأرواح الآلاف من القتلى .. ليقفل ملفه الدموى الرهيب ..

وتنتهى فترة من تاريخ المغرب الشقيق .. اثبت التاريخ فيها ان ازمة القصر الملكى هناك كانت نابعة .. ومباشرة من المقربين منه .. وبرحيلهم تبدأ فترة لالتقاط الأنفاس .. والسلام .

ويتفرغ الملك الحسن الثانى .، لتربية أولاده .. وأهمهم .. مولاى محمد ولى العهد .. أكبر أولاده .

ويقول الملك : أنه يريد من ولى عهده .. « أن يكون لديه .. حد أدنى من الاعتذار بالنفس .. وحد أقصى من الشخصية .. مع الكثير من التواضع » .



الشيخ شخبوط أغنى رجل فى العالم

الشيخ شخبوط أغنى رجل فى العالم

الشيخ شخبوط بن سلطان .. حاكم إمارة أبو ظبى السابق .. كان يشار إليه دائما على أنه .. أغنى رجل فى العالم .. وقد كان فعلا كذلك .. بأرقام فلكية .. بعد تفجر النفط فى بلاده عام ١٩٦٢ ..

لتصبح واحدة من أكبر الدول المنتجة للنفط فى العالم .. وليصبح دخله .. اليومى ١٢ ألف دولار .. فى وقت كانت للنقود فيه قيمة .. ثم بعد ذلك ٢٤ ألف دولار يوميا ثم ١٦٠ ألف دولار يوميا عام ١٩٦٦ .

والشيخ شخبوط .. هو الأخ الأكبر للشيخ زايد بن سلطان آل نهيان .. حاكم أبو ظبى .. ورئيس دولة الإمارات العربية المتحدة .

وقد تولى الشيخ شخبوط .. أو الإمام شخبوط .. حيث كان يطلق لقب إمام على الحكام العرب آنذاك .. حكم إمارة أبو ظبى بعد وفاة حاكمها الشيخ سلطان والده عام ١٩٢٧ .. وظل يحكم حتى عام ١٩٦٦ .. حين خلعه الانجليز عن الإمارة .. ليتولاها الشيخ زايد .. الذى كان حاكما على « العين » وهى جزء من إمارة أبو ظبى .

وكانت كل موارد أبو ظبى .. قبل اكتشاف البترول .. تتمثل فى حصيلة بيع اللؤلؤ .. حيث كانت صناعة اللؤلؤ هى المهنة الوحيدة التى يمارسها جميع سكان « الساحل المتصالح » أى سكان .. ساحل الخليج ،، فى ذلك الوقت .

وبعد اكتشاف النفط .. أصبحت موارده .. كل شئ ..

وكان الشيخ شخبوط من الذكاء بحيث أعطى الشركات المنتجة نصيبا

أكبر من عائدات البترول .. أكثر كثيرا مما تعطيها باقى الدول المنتجة للنفط .. ويحصل هو على النسبة الأقل .. فقد اكتفى بربع ما تحصل عليه الإمارات الأخرى من العائد .

وقد شجع ذلك الشركات المنتجة على التركيز على إنتاج أبو ظبى من البترول .. والعمل على المزيد من إنتاجه ..

وما إن حل عام ١٩٦٤ حتى كان بترول أبو ظبى .. مستغلا بالكامل .. نتيجة لسياسة الشيخ شخبوط .. وبلغ الإنتاج ١٨٨ ألف برميل يوميا .

ولم يكن الأمر كذلك فقط .. فكثيرا ما كان الشيخ شخبوط يمنح الشركات المنتجة .. بل والحكومة البريطانية .. هبات مالية .. تقدر بالملايين .. وقد منح فى أحد الأعوام الشركات البترولية ١٠٥ ملايين دولار .

ولكن فجأة .. تغير الرضا السامى البريطانى عن الشيخ شخبوط .. لسبب غير واضح ..

وأطلقت الحكومة البريطانية أقلام كتابها وصحفها على الشيخ شخبوط .. وصحف الغرب بصفة عامة .

فهذه وكالة انباء اليونايتد برس وصفته بأنه .. إقطاعى شرير .. وقالت مجلة لايف الأمريكية أنه .. لا يفك الخط .. ولا يستطيع أن يوقع باسمه على دفتر شيكاته إلا بشق الأنفس .. وأنه بخيل إلى حد مخيف .

وقالت المجلة إن الشيخ شخبوط مصر على عدم الاعتراف بالبنوك .. رغم المحاولات التى جرت لاقناعه بإيداع أمواله الطائلة فيها .. ولكنه فضل أن يحتفظ بها .. تحت فراشه .. حتى وقعت له حادثة مفاجئة ..

فقد كان يضع أمواله فى مكان أمين فى قلعته المحصنة .. ولكنه فوجئ ذات يوم بالفئران .. وقد أكلت كميات كبيرة من أوراق النقد ..

وكان درساً .. وافق بعده على .. إقامة بنك واحد .. فى أبو ظبى كلها .. ليضع فيه أمواله .

أما صحيفة التايمز اللندنية فقد وصفت الشيخ شخبوط .. بأنه الأمير الذى .. يفتقر إلى مميزات الحاكم .. ليس ذلك فقط .. بل يفتقر تماما لأى شعور وطنى يربطه بشعبه ..

وقالت الصحيفة .. إن الشئ المدهش أن الشيخ شخبوط استمر هذا الوقت الطويل .. فقد كان يفتقر إلى السمات الفطرية .. وإلى المران الذى يمكن أن يساعده على حكم إمارته الصغيرة .

وكان غريبا أن يتحول موقف بريطانيا من رجلها المخلص فى الخليج بعد كل تلك الخدمات التى أداها لحكومة صاحبة الجلالة .. وأهمها ولا شك تمكين الشركات البريطانية من بترول الخليج .

ثم موقفه الذى لاينسى من مشكلة واحة « البوريمى » .. عندما تفجر الخلاف عليها بين المملكة العربية السعودية .. وسلطنة عمان وإمارة أبو ظبى .. عام ١٩٥٥ .. عندما ظهرت فيها بوادر الثروة البترولية .

وكان معنى التسليم بالمطالب السعودية فى واحة البوريمى .. هو ذهاب ثروتها البترولية إلى الشركات الأمريكية .. تبعا للبترول السعودى .. وحرمان الشركات البريطانية منه .. وهذا لا يمكن للحكومة البريطانية أن ترضى به .

وتذرعت حكومة إيدن فى لندن بالمطالب التى أعلنها الشيخ شخبوط .. لتحتل واحة البوريمى .. عسكريا .. وتحرم السعودية من بترولها إلى الأبد .

وطالما أن الشيخ شخبوط لم يتحول فجأة من موقف الصداقة مع بريطانيا .. إلى موقف المناضل .. الثائر .. ضد الاستعمار الإنجليز ..

كما أنه لم ينضم إلى تيار القومية العربية الذى كان يجتاح الخليج .. بل على العكس يحمل شعورا معاديا لمصر تحت حكم جمال عبد الناصر .

طالما كان ذلك .. فكان لابد من البحث عن الأسباب التى وراء التحول البريطانى .

وكان أقرب التبريرات هو القول بأن الرجل أدى لبريطانيا أقصى ما يمكن تقديمه .. وأنها استنفذت أغراضها منه .. فكان لابد لها .. كعادتها فى معاملة رجالها .. من البحث عن رجل آخر .

وتبرير آخر يقول .. إن الملك فيصل .. ملك السعودية والذى كان أثناء أزمة واحة البوريمى وزيرا للخارجية السعودية .. ومفاوضا باسمها .. وقد أصبح الآن على قمة السلطة فى بلاده .. وأنه لم ينس موقف الشيخ شخبوط من الأزمة .. ولذلك فربما كان إبعاده من السلطة هو نوع من الشروط السعودية للتعاون مع بريطانيا .. التى تخطب ود السعودية .

ويدعم هذا الرأى أن الملك فيصل كان قد زار واشنطن مؤخرا وتباحث كثيرا مع الرئيس الأمريكى جونسون .. ولعله أثناء ذلك أبدى رغبته فى التخلص من الشيخ شخبوط ..

وبعد زيارة الملك فيصل .. زار واشنطن ويلسون رئيس الوزراء البريطانى .. ولعل جونسون تباحث معه حول الرغبة التى أبداها الملك فيصل .. فرأت بريطانيا أن تضحى بالشيخ شخبوط .. إرضاء لأمريكا .. ولفيصل .. وطمعا فى تعاون ثلاثى .. فى منطقة الشرق الأوسط .

وقيل أيضا إن بريطانيا كانت تعانى من ضائقة مالية كبيرة .. وإن الشيخ شخبوط كان يرفض أن يتسلم حصته من إنتاج بترول بلاده إلا بالجنيهات الذهبية الاسترلينية العزيزة .. وأنه كان يرفض أن ترسل له بريطانيا نصيبه .. فى صورة بضائع إنجليزية .. تنعش الاقتصاد البريطانى .

وهناك رأى آخر يقول إنه أخذ على الشيخ موقفه .. الثابت ألا يشترى شيئا .

فعندما علم تجار الغرب أن أبو ظبى على أبواب نهضة اقتصادية شاملة .. وعملا على امتصاص عائدات النفط .. تدفقوا عليها .. بدءا بتجار السيارات الكاديلاك الفاخرة .. وانتهاء بتجار المساحيق المضادة لحرارة الشمس ..

ولكنهم عادوا جميعا بخفى حنين .. بعد أن رفض الشيخ شخبوط شراء .. أى شئ ..

وكان رأيه أن الأرض لايؤمن لها جانب .. وأن سريان البترول .. قد يتوقف فجأة فى يوم من الأيام .

وقال رأى إن تغير موقف بريطانيا من الشيخ شخبوط هو خلافة مع شركة « أبو ظبى مارين ايرياز » البترولية .. والتى تمتلك شركة « بريتيش بتروليام » البريطانية ثلثى أسهمها .

وأيا ما كان السبب .. واحدا أو اكثر .. مما تقدم فقد حدث ..

واتسعت الهوة بين بريطانيا والشيخ شخبوط .. مما أدى فى النهاية إلى عزله .. وتعيين أخيه الشيخ زايد بن سلطان .. بدلا منه فى ٦ أغسطس ١٩٦٦ .

وجاء الجنود الإنجليز ليقبضوا على الشيخ شخبوط .. فى مقر حكمه .. لتحمله طائرة بريطانية تابعة لسلاح الجو البريطانى .. إلى البحرين .. التى منحته حق اللجوء السياسى .

ولكن الشيخ شخبوط يسافر إلى روما .. فى رحلة استطلاعية لبحث إمكانية المعيشة فيها .

ثم أخيرا .. قرر أن يترك البحرين .. ليقيم نهائيا فى إيران .. مع زوجته الإيرانية .. ولعله ليس من قبيل الصدفة أن يختار شيخ البترول .. مدينة البترول فى إيران .. مدينة عبدان للإقامة فيها بصفة نهائية .

ويوم خلع الشيخ شخبوط .. كان ابنه الشيخ سلطان .. فى لندن ..

وأعلن الشيخ سلطان أن والده كان .. « ضحية لانقلاب دبره البريطانيون » ..

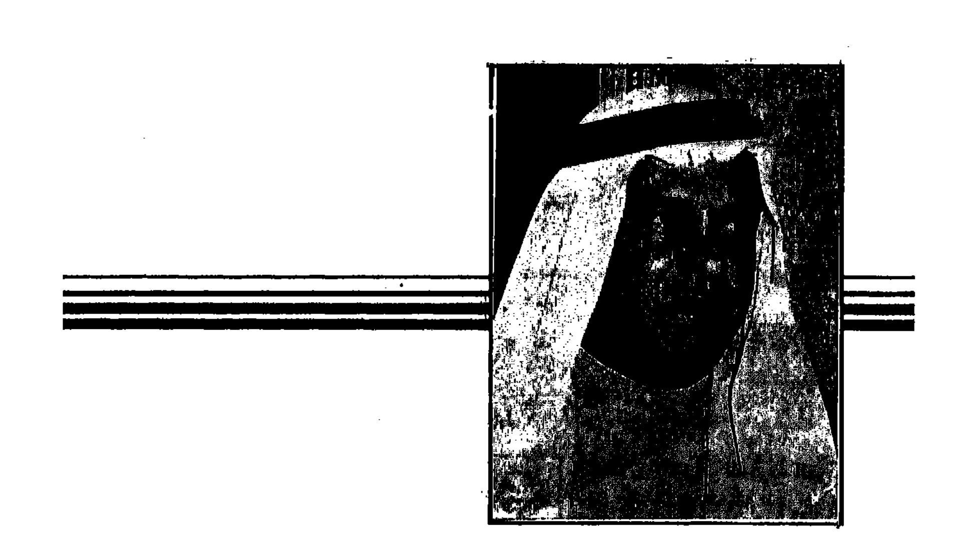
وأضاف .. « إننى سأقدم طلبا إلى الجامعة العربية .. لكى تعيد إلى أبى حقوقه .. فلقد كان أبى ضحيه مؤامرة حقيقية .. إذ اعتقله فى قصره

جماعة من الجنود البريطانيين .. ثم أرغم على السفر إلى البحرين ..

وأضاف .. « ولقد تمت هذه المؤامرة .. بتدبير المقيم البريطانى فى منطقة الخليج العربى .. » .

وأعلنت مصادر أخرى أن عائلة آل نهيان .. اجتمعت .. واستقر رأيها .. بالإجماع .. على اختيار الشيخ زايد .. لتولى السلطة .. وتنحية الشيخ شخبوط .. لمصلحة أبو ظبى نفسها .

وفى أوائل فبراير عام ١٩٨٩ .. توفى الشيخ شخبوط .. عن عمر يناهز ٧٥ عاماً .



صـــــراع الاشقـــــاء

صقر بن سلطان القاسمى

مع بداية الستينات من هذا القرن .. اتجه حكام إمارات الخليج إلى حيث تقودهم مشاعرهم وعواطفهم .. اتجهوا إلى بلدان الوطن العربى .

وكان الشيخ صقر بن سلطان القاسمى .. حاكم إمارة الشارقة .. من أكثر هؤلاء الحكام حماسا للاتجاه العربى .. ورحب كثيرا بالمساعدات التى كانت تقدمها الدول العربية .. خاصة مصر والكويت لبلاده ..

وأخيرا قرر الاتجاه بكليته إلى الجامعة العربية .. التى خصصت المساعدات اللازمة .. وفى الوقت الذى أرسل فيه ابنه إلى حيث يتفاهم مع المسئولين بالجامعة العربة لتنفيذ المشروعات الخاصة بتنمية المنطقة .. كانت بريطانيا تعد لعزله من منصبه .. وذلك لخروجه المستمر عن المخطط البريطانى .. وعدم رضوخه للضغوط التى مارسها الإنجليز عليه لرفض المساعدات التى تقدمها الجامعة العربية .. وكسر العزلة التى ضربتها بريطانيا على إمارات الخليج عن أمتهم العربية .. وجامعتهم العربية .

وفى نوفمبر عام ١٩٦٤ وصل السيد/ عبد الخالق حسونه الأمين العام لجامعة الدول العربية آنذاك إلى الشارقة ..وفى مايو عام ١٩٦٥ زارها الدكتور عبد الرازق نوفل الأمين المساعد للجامعة .. وكان ذلك بمثابة .. القشة التى قصمت ظهر البعير .. فأعلنت بريطانيا عزمها على .. « تأديب » .. هذا الحاكم .. الخارج على النظام .. البريطانى .. خاصة وأن المقيم الإنجليزى .. حذره من زيارة حسونة .. وطالبه بإلغائها .. وأن بريطانيا أتخذت قرارا .. بمعاقبة .. كل من اجتمع بحسونة ، وبدأ البحث عن البديل .

وفى ٢٥ يونيو ١٩٦٥ أعلنت بريطانيا أن « مجلس العائلة الحاكمة فى إمارة الشارقة » .. قد عزل الشيخ صقر بن سلطان القاسمى .. حاكم الشارقة .. نتيجة لخلافات عائلية .. وثم تعيين .. الشيخ خالد بن محمد القاسمى .. حاكما جديدا للشارقة .

ولم يمتثل الشيخ صقر .. للأوامر التى صدرت له .. بتسليم السلطة للحاكم الجديد .

وأعلن أنه ليست هناك خلافات عائلية فى الشارقة على الإطلاق فى الأسرة الحاكمة .. وأن الخلافات الوحيدة القائمة .. « هى بيننا وبين البريطانيين » .. خاصة بعد رفض تجديد عقد إيجار القاعدة الجوية البريطانية فى الشارقة .

وردا على المزاعم البريطانية بأن « مجلس العائلة » .. هو الذى عزله .. رد الشيخ صقر .. متهكما .. « إن بريطانيا صادقة فى هذا الادعاء .. إلا أن مجلس العائلة فى بريطانيا هو الذى قام بذلك .. وليس مجلس العائلة فى الشارقة » .

وقال الشيخ صقر إن السبب الحقيقى .. لعزله .. قد ذكر فى خطاب العزل الذى وجهوه إليه .. وهو أن موقفه .. لا يرضى حكومة صاحبة الجلالة .. (الحكومة البريطانية) .

وكشف الشيخ صقر عن التآمر البريطانى لعزله .. فقال إن السلطات البريطانية وزعت الأسلحة والأموال على البدو فى إمارة الشارقة .. بقصد إثارة الشغب والإساءة إلى الحكومة الوطنية .. وذلك بمساعدة حاكم دبى .

كما أن هذه السلطات حرضت المواطنين على قطع أنابيب المياه .. إلا أن الجميع رفضوا الاستجابة للسلطات البريطانية .. وسلموا الأسلحة والأموال لسلطات الحكم الوطنية

وأضاف أنه عندما فشلت بريطانيا فى هذا الاتجاه .. حاولت إثارة الفتنة .. داخل الأسرة الحاكمة نفسها .. فرفضوا جميعا .. عدا واحد فقط

منهم .. هو خالد بن محمد .. الذى دبروا معه .. مؤامره لاغتيالى .. إلا أنها اكتشفت قبل تنفيذها .. بساعة واحدة ..

ويضيف الشيخ صقر بحسرة .. وللأسف .. فخالد هذا .. هو ابن عمى وشقيق زوجتى .. وأيضا زوج شقيقتى .

وقال .. إن حكام الشارقة الجدد .. الذين ولتهم بريطانيا .. حفنه من الخونه الذين يستطيع الاستعماريون البريطانيون الاعتماد علهم .

ولما كان عدم الامتثال لأوامر حكومة صاحبة الجلالة أمر .. غير وارد فى قاموس الاستعمار .. حتى ولو كان من حاكم مثل الشيخ صقر .. الذى حكم بلاده على مدى حوالى ٣٥ عاما .. فقد جاءوا برجال من شرطة دبى .. على رأسهم مديرهم .. تدعمهم أربعة سيارات عسكرية بريطانية ..مليئة بالجنود المسلحين ..

وقبضوا على الشيخ صقر .. ووضعوه على متن إحدى الطائرات العسكرية التابعة لسلاح الجو البريطانى .. لتنقله إلى البحرين .. لتلحق به أسرته هناك .

ومن البحرين نزل الشيخ صقر ضيفا على حكومة الكويت .. ومنهاإلى القاهرة حيث حصل على حق .. اللجوء السياسى .

ولم يستسلم الشيخ صقر للوضع .. بل صار يقوم بزيارات بين وقت وآخر للدول العربية معلنا عزمه على الكفاح .. وأنه سيقود نضالا .. من الداخل .. ومن الخارج .. للعودة إلى بلاده .. وأن ما حدث فى بلاده سيكون « بداية » من أجل التحرر الكامل .. لإمارات الخليج

وفى القاهرة كان بيت الشيخ صقر .. فى مصر الجديدة .. منتدى للأدب والشعر ..

وأدخل أولاده المدارس والكليات المصرية .. وتخرج ابنه سلطان فى كلية الشرطة المصرية .

وكان لأبناء الشارقة عموما مكان كبير فى اهتمامات الشيخ صقر ..

وكان من بين من يرعاهم من أبناء عائلة القاسمى فى مصر .. سلطان بن محمد القاسمى .. شيخ إمارة الشارقة حاليا .. الذى كان الشيخ صقر يتولى أموره المالية .. حيث درس فى المدارس المصرية .. وكان حينها طالبا فى كلية الزراعة بالقاهرة .

ولكن أحلام العودة إلى حكم الشارقة لم تفارق الشيخ صقر ابدا .. وصاغ أشواقه وآماله فى ذلك .. فى قصائد شعر .. وهو شاعر مجيد .. يتلوها فى جلسات السمر .. بين محبية وزواره .

وتم جلاء الإنجليز عن إمارات الخليج العربى .. ومنها الشارقة .. ووجد الشيخ صقر أن الوقت قد حان .. لتحقيق حلم العودة .

وقدم حكام إمارة رأس الخيمة .. أبناء عمومة الشيخ صقر الدعم اللازم .. بالرجال .. والسلاح .. ودعمه قريبه وصديقه التاجر سلطان العويس .. وهو من أكبر أثرياء الشارقة .. بالمال اللازم .

وانطلق الشيخ صقر من رأس الخيمة فى ٢٤ يناير ١٩٧٢ إلى الشارقة .. يرافقه عدد من المسلحين لا يتجاوز عددهم ٢٦ رجلا ..

وفى الشارقة قصدوا .. القصر الأميرى .. مباشرة .. حيث كان الجميع فى حالة .. استرخاء .. حيث لم يكن أحد يتوقع أبدا مثل هذا الهجوم .. خاصة فى مثل هذه الساعة .. القائظة الساعة الثانية والنصف ظهراً ..

ومن ثم فقد كان اقتحام القصر .. عملية فى منتهى السهولة .. والسرعة ..

ولم يسعف الوقت حاكم الشارقة خالد بن محمد .. والذى لاحظ وهو فى غرفة نومه .. حركة غير عادية أمام القصر .. وفى ردهاته .. إلا بالقدر الذى سمح له بالاتصال بابنة عمه هاتفيا .. ليقول لها .. « أرى من الشباك صقر بن سلطان .. وجماعة مسلحة .. متوجها نحوى » .. ثم فجأة يتوقف عن الكلام ..

وعندما أعادت إبنة عمه الاتصال هاتفيا بالقصر الاميرى .. كان الذى

يرد عليها .. هو .. صقر بن سلطان

ويقال إن الشيخ خالد قتل بمجرد دخول المهاجمين القصر .. ويقال أيضا إن الشيخ صقر أرغمه قبل اغتياله على توقيع صك بالتنازل عن الحكم .

وعندما توجهت قوات أمن الشارقة بقيادة الشيخ صقر بن محمد شقيق الشيخ خالد .. ونائبه.. إلى القصر الأميرى ووجهت بنيران كثيفة من القوة التى رافقت الشيخ صقر بن سلطان .. والتى تمركزت على سطح القصر وفى ردهاته .. مما أوقف تقدمها ..

وهكذا أنجز المهاجمون مهمتهم الأولى .. وبدأت المسائل السياسية ..

......

والحقيقة .. أن الأمير المنتقم .. العائد .. أعد كل شئ .. يمكنه من العودة إلى كرسى الحكم الذى فقده .. من الناحية العسكرية فقط .

وتقدم فاتحا للبلاد التى .. طرد منها .. بالقوة .. بعد ذلك ..

ولكنه أغفل .. أو ربما لم يغفل .. ولكنه لم يقدر امرا هاما وخطيرا حق قدره ..

فالشارقة حينما .. تركها .. كانت تخضع لحكم أسرة القاسمى .. فقط .. وتتمتع باستقلال كامل فى كل أمورها .

وهو الأمر الذى واجهه .. بعد أن دبر له .. ونجح فيه فعلا .. ودخل قصر الامارة ..

ولكن الشارقة اليوم .. لها وضع سياسى آخر .. وهذا هو الأمر الخطير الذى لم يتدبره الشيخ صقر بن سلطان .. جيدا .

فالشارقة اصبحت عضوا فى الدولة الجديدة دولة الامارات العربية المتحدة .. وصارت كل أمورها تدور فى فلك هذه الدولة .. خاصة فى النواحى السياسية والعسكرية ..

ولا شك ان أى تطور فى أمور الشارقة .. سلبا .. أو ايجابا ..

سيكون له صداه .. فى كل أنحاء الاتحاد .. وتتأثر كل الدول المنضمة إليه .

وقد كان هذا الامر وحده .. فعلا .. السبب فى افشال عودة الشيخ صقر بن سلطان إلى الحكم بعد أن .. وصل فعلا .. إلى قصر الامارة ..

فقد نظر رئيس دولة الاتحاد .. الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان إلى الأمر .. نظرة خطيرة .. على اعتبار أن ذلك يمثل .. تفتيتا .. للدولة الفتيه .. وانتكاسة للاتجاه الاتحادى عموما ..

وبالتالى فقد كان رأيه .. أن يقاوم هذا الوضع .. بكل الوسائل .. بالاتصالات الشخصية أولا .. ومحاولة التوسط والضغوط لحل الوضع سلميا .. فإن لم يكن فبالقوة المسلحة ..

المهم هو عودة الامور إلى طبيعتها

ثم كانت هناك ايضا .. امارة دبى .. المجاورة .. وعضو الاتحاد .. والتى كانت ترى أن هذا الوضع يؤثر مباشرة على الساحة السياسية بها .. ومن ثم كانت تلقى بكل ثقلها فى إنهاء هذا الوضع .. وبأى شكل .

كل هذا .. اغفله الامير المنتقم .. أو على أحسن الفروض لم يقدره حق قدره ..

وسواء كان هذا أم ذاك .. فقد واجهه .. وقاس منه ..

والآن .. إلى مجريات الامور .. مرة أخرى

.....

اتصل الشيخ صقر هاتفيا .. بسكرتير عام الحكومة وأخبره انه احتل القصر الأميرى .. وانه أصبح منذ الآن .. حاكم الشارقة .. وانه عليه أن يتصل برجال العائلة .. ليطلب منهم .. إعلان ولاءهم للحاكم .. العائد .

وبينما كان الشيخ صقر يبحث عن الولاء له .. كان نائب الحاكم وشقيق الشيخ خالد .. يتصل هاتفيا بالشيخ محمد بن راشد وزير الدفاع فى دولة الامارات العربية المتحدة .. المقيم فى دبى .. ويطلعه على الموقف برمته .. والذى قام هو الآخر بالاتصال بأبى ظبى حيث مقر رئاسة الاتحاد .. ليتم

الاتصال بالشيخ خليفة بن زايد .. لأن الشيخ زايد بن سلطان رئيس اتحاد الإمارات كان فى .. البر .. أى فى الصحراء .. على مسافة نحو ألف كيلو متر من مدينة أبى ظبى ..

على أنه بعد ساعة واحدة .. كانت جميع الأخبار والتفاصيل لدى الشيخ زايد .. غير أن مصرع الشيخ خالد لم يكن قد عرف بعد .

وقد اتخذ الشيخ زايد موقفا فى منتهى الحزم والقوة .. على الفور .. وقال .. مع كل محبتى لخالد كشقيق وابن .. إلا انه شخص .. فى حين أن الاتحاد وهو مستقبل .. كل شخص .. فى المنطقة .. والهجوم الذى حدث يمس الاتحاد مباشرة .. لذلك فلست مستعدا للدخول فى أية مفاوضات أو مساومات .

وعلى هذا الأساس .. أمر الشيخ زايد بارسال قوات اتحادية إلى الشارقة .. فورا .

وفورا .. تحركت قوة من المدرعات .. ونقلت قوات من المشاة بالطائرات ..

وبعد أربع ساعات كانت القوات الاتحادية .. تطوق قصر حاكم الشارقة .. بقيادة الشيخ محمد بن راشد المكتوم .. وزير الدفاع فى دولة الاتحاد (آنذاك) .. وابن حاكم دبى .. حيث كانت قوات الدفاع بأبى ظبى وقتها تعتبر القوة الأساسية فى القوات الاتحادية .

وعند ذلك أصبح واضحا أن المسألة خرجت من النطاق المحلى للشارقة إلى نطاق دولة الاتحاد .. التى اعتبرت الانقلاب « تحديا مباشرا » للدولة الموحدة .. ولا بد من وأده .

وهنا جرت اتصالات كثيرة .. على مستويات كثيرة ..

الشيخ صقر القاسمى .. قائد الانقلاب .. اتصل بأمير دولة قطر .. طالبا وساطته لدى الشيخ زايد بن سلطان .. لاعتبار الانقلاب .. أمرا داخليا .. بالنسبة للشارقة .. ومعالجة الموقف على هذا الأساس .. ولكن قطر رفضت التدخل .

واتصل سلطان العويس .. الذى لم يكن قد اتضح بعد اشتراكه فى تدبير الانقلاب .. وهو من كبار التجار .. وأثرياء الشارقة ودبى .. وله ثقل قبلى ضخم .. اتصل بكبار المسئولين فى أبو ظبى للتوسط لدى الشيخ زايد .. بعد أن حاول هو شخصيا الاتصال به .. ولكنه منع من ذلك .. وأيضا اتصل بأمير رأس الخيمة .. للتدخل لدى الشيخ زايد .

وجرى اتصال بين الشيخ صقر .. قائد الانقلاب المحاصر فى قصر الحكم بالشارقة بالشيخ صقر بن حمد القاسمى .. حاكم إمارة رأس الخيمة .. وهم أبناء عمومته .. حيث ينتمون جميعا إلى قبيلة القواسم التى استقرت منذ زمن طويل فى هذا المكان .. وحكم أفرادها أجزاء كثيرة منه .. اتصل به .. طالبا النجدة ..

وبدوره اتصل فعلا حاكم إمارة رأس الخيمة .. بالشيخ زايد رئيس الاتحاد .. طالبا منه فك الحصار .. وعدم إطلاق النار على القصر الاميرى فى الشارقة .. باعتبار أن فيه نساء وأطفال ..

وكان الشيخ زايد شخصيا قد أصدر الأمر بنسف القصر .. بمن فيه .. ان لم يستسلم الانقلابيون قبل بزوغ الشمس ..

ولكن الأمور تطورت بسرعة .. فعندما اقتربت القوات الاتحادية من القصر .. بادرها محتلو القصر بإطلاق النار .. فقتلوا منها أربعة رجال .. وبدأت الاشتباكات .. فى نفس الوقت الذى كانت تجرى فيه الاتصالات .

وتقدمت المدرعات المهاجمة إلى القصر .. وراحت الطائرات تنقض بين وقت وآخر على القصر .. دون أن تقذف قنابلها .. فى موقف تحذيرى فقط .

وعندما حل الظلام .. قطعت القوات الاتحادية التيار الكهربائى عن القصر ..وأخذت المدرعات مواقعها استعدادا .. لنسف القصر .. وكانت قد وصلت فعلا إلى أسواره .. إذا لم يستجيب الشيخ صقر للإنذار بوجوب التسليم .. قبل الساعة الخامسة صباحا .

ولم يجد الشيخ صقر بدا من الاستسلام .. فرفع العلم الأبيض .. دليل

الاستسلام .. وخرج الشيخ صقر .. مع ابنه سلطان رافعين أيديهما .. ثم استسلم المسلحون الذين كانوا معهما .

وتم اعتقال الانقلابيين .. ونقلوا إلى معسكر « العريف » فى الشارقة .. وهو مقر القاعدة العسكرية البريطانية سابقا .. ثم نقلوا بعد ذلك إلى مدينة « العين » .. بإمارة أبو ظبى .. حيث تم التحفظ عليهم .. تمهيدا لمحاكمتهم .

وتولت الأمور بعد ذلك .. هيئة تحقيق .. تضم قاضيا من الشارقة .. وقاضيا آخر من إمارة دبى .. ونائبا عاما .. وأحد رجال التحقيق من إمارة أبو ظبى .. تحت إشراف وزير الداخلية الاتحادى .

وكان هناك اتجاه لقتل الشيخ صقر .. فى دم ابن عمه الشيخ خالد .. ولكن أول المعارضين فى ذلك كان الشيخ سلطان .. أمير البلاد الجديد .. رأبا للصدع فى كيان الأسرة .. والذى لابد وأن يؤدى إعدام ابن عمه إلى زيادته .. واعترافا بجميل الشيخ صقر الذى رعاه صغيرا أثناء تلقيه التعليم فى مصر .

ثم جرت محاكمة الانقلابيين أمام محكمة اتحادية .. خاصة .. كدائرة من دوائر المحكمة العليا فى أبو ظبى .. وكانت قائمة الاتهام :-

١ - غزو إمارة الشارقة .. بالقوة المسلحة .

٢ - محاولة قلب نظام الحكم فى الشارقة .. والاعتداء المسلح على حياة حاكمها .. وأربعة معه .. وجرح آخرين .

٣ - الاعتداء على أمن وسلامة دولة الإمارات العربية المتحدة .

وكان هناك تياران بالنسبة لهذه المحاكمة ..

أولهما ينادى بالقسوة فى الحكم على الانقلابيين .. حتى يكونوا عبرة لغيرهم .. ممن يفكر فى الخروج على الدولة الاتحادية .

أما التيار الثانى فكان يرى عدم الحكم على قادة الانقلاب .. لأنه من

وجهة نظرهم .. فإن الشيخ صقر كان حاكما شرعيا للشارقة .. وخلعه الإنجليز .. وعينوا الشيخ خالد مكانه .. وهو يحاول استعادة حكمه .

وقبض على سلطان العويس الذى ثبت من التحقيقات أنه .. الممول .. للحركة الانقلابية للشيخ صقر .

ولكن قبيلة العويسيين .. ذات الثقل الضخم .. والتى ينتمى إليها سلطان العويس .. حالت بنفوذها دون محاكمته .

وأصدرت المحكمة الاتحادية أحكاما مختلفة على الانقلابيين .. مع حيثيات حكم ضمتها ١٥٠ صفحة .

حكم على الشيخ صقر بن سلطان القاسمى .. المتهم الأول .. واثنين من معاونية .. بالسجن ١٢ عاما ..

وحكم على ابنه سلطان .. بالسجن ٣ سنوات .

وحكم على المتهمين العشرين ... الباقيين من مرافقى الشيخ صقر باحكام بالسجن تتراوح ما بين ٣ ، ٤ سنوات .

وكان هناك اتجاه أيضا لإعادة محاكمتهم .. أمام محاكم الشارقة .

وبقى هذا الحكم دون تصديق من الشيخ زايد بن سلطان .. رئيس دولة الامارات .. لفترة طويلة .. وتصديقه شرط أساسى للتنفيذ .

وفى ١٥ فبراير ١٩٧٢ .. قرر مجلس اتحاد الامارات .. نفى الشيخ صقر .. الحاكم السابق لإمارة الشارقة .. والمسئول عن الانقلاب الذى قتل فيه الحاكم الشيخ خالد .. والذى كان معتقلا حتى ذلك الوقت فى مدينة العين .. بواحة البوريمى فى ابو ظبى ..

واختار الشيخ صقر مصر مقرا لمنفاه ..

وعاد ليقيم فى شقته القديمة .. فى مصر الجديدة .

ولكن الشيخ سلطان الحاكم الجديد .. سمح له بعد ذلك بالعودة إلى الشارقة .

صراع .. الأشقاء

تولى الحكم فى إمارة الشارقة الشيخ سلطان بن محمد القاسمى .. خلفا لشقيقه الشيخ خالد الذى قتل فى محاولة الانقلاب التى قام بها الشيخ صقر بن سلطان القاسمى .. وذلك فى فبراير ١٩٧٢ .

واستقرت الأمور .. وشهدت إمارة الشارقة حركة تقدمية وإصلاحية فى كافة المجالات .. حتى يمكن أن يقال ببساطة أن الشيخ سلطان .. أنشأ « شارقة جديدة » .

على أن هذه النهضة الكاملة كانت على ما يبدو .. فوق الطاقات الاقتصادية للإمارة .. مما دعا إلى كثرة الاقتراض لمواجهتها .. وكثرت الديون .. وصاحب ذلك انخفاض فى عائدات النفط .. مما وضع الإمارة فى أزمة مالية حقيقية .. دعت إلى شئ من القلق .. خاصة بين أفراد الأسرة الحاكمة .

ولكن الأمور سارت .. ولم يكن هناك توقع لتغيير الوضع فى الإمارة .. خاصة وأن مبدأ الانقلاب .. على مستوى دولة الإمارات العربية كلها أصبح .. مرفوضا .. رفضا باتا .

ولكن ذلك لم يمنع من مفاجأة .. انقلابية .. ولكن هذه المرة .. بين الأشقاء .. أفراد الاسرة الحاكمة .

......

ففى يوم ١٧ يونيو ١٩٧٨ .. أعلن عن انقلاب فى الحكم .. وتولى الشيخ عبد العزيز بن محمد القاسمى (٥٠ سنة) .. للحكم .. بدلا من شقيقه .. سلطان بن محمد القاسمى (٤٨ سنة) .

وبدأ إعلان الانقلاب بإذاعة بيان من راديو أبو ظبى .. منسوب إلى الشيخ سلطان .. يعترف فيه .. بفشله .. فى حكم الإمارة .. ويشير فيه إلى أنه حدثت أخطاء فى التقديرات أثناء رسم السياسية المالية لمواجهة المتطلبات الملحة فى مجال الخدمات .. والتنمية .. نتيجة قرارات عفوية

ترتب عليها .. أضرار جسيمة .. ونجم عنها .. تراكم الديون على ميزانية الإمارة .. بالإضافة إلى فشل القيادة الإدارية المسئولة والمكلفة بالإشراف على الميزانية فى ممارسة واجبها .. بالأمانة المطلوبة .. واهتمامها بمصالحها الخاصة دون مراعاة للمصلحة العامة .

واعترف البيان ايضا .. بعدم وجود خطة مدروسة لاستثمار الدخل البترولى .. واستغلال الشركات العالمية لمصاعب الإمارة المالية فى إغراقها بالديون ..

لهذه العوامل جميعا .. أعلن الشيخ سلطان تنازله عن الحكم .. لشقيقة الأكبر .. الشيخ عبد العزيز .

واختتم البيان بإعلان قبول الشيخ عبد العزيز .. شاكرا .. للسلطة .. وإعلان تأييده للشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الإمارات العربية .

وقد استوقفت صيغة البيان بعض المطلعين على الأمور .. فمن النادر أن يعترف إنسان بفشله .. بهذه الصورة ثم إن الشيخ سلطان كان موجودا فى لندن .. قبل أيام من إذاعة هذا البيان .ثم اتضحت الحقيقة .. وعلم أن هذا البيان .. مزور .. ومدسوس على الشيخ سلطان .

وبعد ذلك أعلن الشيخ عبد العزيز .. أن شقيقه الشيخ سلطان .. قد أقيل .. وأنه .. لم يتنازل عن الحكم .. وأنه سيسمح له بدخول الإمارة .. ولكنه لن يسمح له .. بالتصرف فى أمواله .. وأن هذه الأموال .. لم تصادر .. ولكنها وضعت تحت .. أيدى الوكلاء .

واحتل الشيخ عبد العزيز « القصر الأميرى » .. الذى احيط بسواتر من الرمل .. واجراءات أمن فى غاية الشدة .. واخذت طائرات الهيلوكوبتر العسكرية تحلق فى سماء المدينة .. وفوق المبانى الرئيسية .

وكانت قوات الحرس الأميرى .. التى كان يقودها الشيخ عبد العزيز .. قبل الانقلاب .. تقوم بدوريات فى الشوارع والتقاطعات الرئيسية .. وتلك المؤدية إلى القصر الأميرى .

وأغلق مطار الشارقة .. ولم يعد فتحه إلا بعد أن سيطر الشيخ عبد العزيز على مقاليد السلطة .. بشكل كامل .

وذكر شهود العيان أن قوات الحرس الأميرى .. اقتحمت ليلة الانقلاب مبانى صحيفة « الخليج » .. واسعة الانتشار .. والمعبرة عن فكر وآراء الشيخ سلطان .. وأن هذه القوات قامت .. بطرد .. الصحفيين والعاملين منها .. وبالتالى .. لم تصدر الجريدة .

وأعلن أن القوات الاتحادية الموجودة فى إمارة الشارقة .. قد وضعت فى حالة تأهب قصوى .. وكان هذا يعنى استعداد هذه القوات للتدخل .. ضد قادة الانقلاب .. وتحسبا لذلك .. رابطت قوات الحرس الأميرى الموالية لحاكم الشارقة الجديد .. على مقربة منها .. لصدها .. إذا لزم الأمر .

وبعد ذلك بيوم واحد اعلن الشيخ عبد العزيز .. أنه يسيطر على الوضع فى الإمارة تماما .. وأنه أصدر أوامره .. باطلاق النار .. فورا .. وبشكل مباشر .. على كل من يحاول أن يقوم بعمل استفزازى أو يعكر صفو الأمن فى الأمارة .

وفورا شكل الشيخ عبد العزيز .. مجلس حكم .. أو مجلس تنفيذى يتكون من ٣٦ عضوا .. بالإضافة إلى عدد من المساعدين الشخصيين له .

وأعلن أنه سوف يقوم بتعيين المجالس الاستشارية والتنفيذية .. وبعدها لجانا من الخبراء .. لتنظيم الوضع الاقتصادي الذى وصفه بالتدهور .

وقال إنه عازم على سداد الديون المتراكمة على الإمارة .. التى قدرها بحوالى خمسة مليارات درهم .. أى حوالى مليار دولار .

.....

وكشف مصدر مطلع أن التصرفات المالية للحاكم الشيخ سلطان .. كانت موضع انتقاد .. دائم .. من افراد العائلة الحاكمة .. ومصدر خلاف واحتكاك .. مما دفع الشيخ سلطان إلى كثرة الأسفار خارج الإمارة .. وقد كان ذلك شبه شائع ومعروف .

وكشف المصدر أيضا عن أنه نشبت خلافات عنيفة بين الشيخ سلطان وأخيه الشيخ عبد العزيز .. حول السياسة الاقتصادية للإمارة .. وذلك قبل ١٢ يوما من الانقلاب .. حيث وصلت ديون الإمارة إلى حوالى مليار دولار .. ثلثهم تكلفة خدمتها .. أى سداد فوائدها .. وهو ما يساوى نصف عائدات الإمارة سنويا ..

فقد بلغت هذه الفوائد ٥٠٠ مليون درهم .. فى حين أن الناتج القومى للإمارة لا يتعدى ٨٠٠ مليون درهم .

وذكر المصدر أنه على أثر هذا الخلاف .. غادر الشيخ سلطان الشارقة . إلى منزل الأسرة .. فى لندن .. فانتهز شقيقه عبد العزيز هذه الفرصة .. وأعلن خلعه .. وتولى السلطة .

......

وكان انقلاب السلطة .. الأبيض ..الهادئ .. السلمى .. هذا فى الشارقة .. هو ثانى أخطر أزمة تعترض مسيرة اتحاد دولة الإمارات منذ إنشائه .. بعد الأزمة الأولى .. والتى كان مصدرها الشارقة أيضا .. فى محاولة الانقلاب الفاشلة للشيخ صقر ضد الشيخ خالد .. والتى تناولناها فى الصفحات القليلة السابقة .

وقد أحدث هذا الانقلاب انقساما عاما كبيرا .. بين أفراد الأسرة الحاكمة .. وبين الإمارات المنضمة للاتحاد .

فقد اتفق رأى إمارة رأس الخيمة .. وإمارة دبى .. على أنه ليس سوى انقلاب قصر . وأصدرت إمارة دبى بيانا استنكرت فيه الانقلاب ودعت الحكومة الاتحادية إلى مقاومته بالقوة .

وتردد ان الشيخ زايد رئيس الدولة .. يؤيد ضمنا .. بقاء الشيخ عبد العزيز حاكما للشارقة .. بسبب خلافه مع الشيخ سلطان .. حول بعض المسائل المالية والإصلاحات السياسية فى إمارة الشارقة .

وأعلنت إمارات أخرى .. انه كحل وسط لأزمة الحكم فى الشارقة ..

أن تجتمع أسرة القاسمى .. وتقوم بتعيين .. أخ ثالث .. للأخوين المتنازعين .. حاكما للإمارة . حيث كان هناك شقيقهما الشيخ صقر بن محمد القاسمى .. الذى كان يشغل منصب نائب أمير الشارقة .. وأخ غير شقيق هو فيصل بن محمد بن القاسمى .وبذلك تتكرر سابقة .. أن شيخا يخرج من الحكم .. على يد شيخ آخر .. ولا يتولى هذا الأخير الحكم .. وتذهب فائدة أو جائزة هذا التغيير .. إلى شيخ ثالث .

.....

واجتمع مجلس الاتحاد فورا .. وقرر أولا استدعاء الشيخ سلطان فورا من لندن .. وثانيا تأليف لجنة ثلاثية .. تفاوضية لإنهاء الأزمة .. على اساس عودة الشيخ سلطان لموقعه .

وتنفيذا لذلك .. حضر الشيخ سلطان إلى إمارة دبى .. وتشكلت لجنة ثلاثية على مستوى عال .. الشيخ صقر بن محمد القاسمى .. حاكم إمارة رأس الخيمة .. والشيخ حميد بن راشد حاكم إمارة عجمان .. والشيخ حمدان بن راشد المكتوم .. وزير المالية والصناعية فى الحكومة الاتحادية .

وواجه أمير الانقلاب اللجنة برد حاسم .. أنه باق .. أميرا للشارقة .. ومستمر فى إصلاحاته الإدارية التى بدأها .. وانه لا خوف على الناحية الأمنية فى الأمارة ..

والأهم من ذلك .. أنه أبلغ الشيخ زايد رئيس دولة الاتحاد بما يريد .. وأنه ينتظر ردا من الشيخ زايد .. وبعدها سيتحدث .. ويعلق على قرار المجلس بضرورة عودة الشيخ سلطان للحكم ... وأنه لن يسمح لشقيقه بالعودة إلى الشارقة .. تنفيذا لقرار المجلس الأعلى لاتحاد الإمارات .. إلا بعد الموافقه على شروطه هو الشخصية .وأكد الشيخ عبد العزيز للجنة .. أن الأسرة قد بايعتة بالإمارة .. التى هى الوسيلة الشرعية الوحيدة لاعتلاء أى أمير حكم البلاد .. لأن حاكم الإمارة .. لا يعين من المجلس الأعلى لدولة الإمارات .. ولا باتفاق حكام الدولة .. وإنما باتفاق العائلة .

هذا فيما يتعلق باللجنة الثلاثية ..

أما بالنسبة لتهديدات إمارة دبى .. بالتدخل العسكرى .. لمناصرة الشيخ سلطان .. وإعادته إلى موقعة .. فقد « أقسم » الشيخ عبد العزيز .. « على القتال » .. إذا شنت دبى هجوما على الشارقة .

وقال .. إن الحرس الأميرى فى الشارقة .. يستطيع الصمود أمام المهاجمين .. حتى تصل الإمدادات من جهات أخرى .. إما من داخل اتحاد الإمارات .. أو من الخارج ..

ورفض الشيخ عبد العزيز أن يحدد ماهية هذه الجهات .. وأشار إلى أنه لم يكن يتوقع أن تهدد دبى الشارقة بالقوات الاتحادية ..

وأعلن أنه .. إذا قرر مجلس اتحاد الإمارات إقصاءه .. فإنه سيبقى .. ويقاوم ..

وقال .. « إن عائلتى تريدنى .. وليس للاتحاد الحق فى ذلك فى هذه الحالة » .

وذكرت صحيفة السياسة الكويتية أن الشيخ عبد العزيز القاسمى قد طلب ان يذيع المجلس الأعلى لاتحاد الإمارات بيانا بالموافقة على شروطه .. لعودة الشيخ سلطان للحكم .. وهى ..

يتولى الشيخ عبد العزيز منصب ولى عهد بجانب الشيخ سلطان الحاكم .. إلى جانب قيادة الحرس الأميرى .. والأمن العام .. والإشراف على المالية .. والدخل البترولى ..

وايضا أن يكون له الحق فى .. المشاركة فى المصادقة على القوانين والمراسيم التى يصدرها الحاكم ..

وكذلك ان يكون له حق تعيين كبار الموظفين .. رؤساء مجالس الإدارات فى المؤسسات والشركات ..

على أن أكثر شروط الشيخ عبد العزيز .. منطقية .. ومشروعية ..

كانت شرطه الأخير .. وهو أن يتم تشكيل مجلس من ابناء الاسرة الحاكمة .. لا تقل أعمار اعضائه عن ٢١ سنة يختص بتعيين الحاكم ، وولى عهده ، وفى حالة تجاوز الحاكم لهذه الشروط .. يجوز للمجلس .. عزل الحاكم .. وتعيين ولى عهده بدلا منه .

واشترط الشيخ عبد العزيز سرعة تكوين هذا المجلس .. ليتولى الإشراف على تنفيذ الشروط السابقة عليه .. أن يتولى هذا المجلس .. عزل شقيقه الشيخ سلطان من الحكم .. وتعيينه هو بدلا منه .. فى حالة عدم التزامه بالتنفيذ .

واشتدت الازمة .. وأعلنت إمارة دبى المجاورة للشارقة أنها تستعد لإرسال قوات عسكرية .. لمرافقة الشيخ سلطان أثناء دخوله إلى إمارة الشارقة .. لممارسة سلطاته .. إذا تقرر مثل هذا التدخل العسكرى لتنفيذ قرار المجلس الأعلى للاتحاد بإعادته للحكم .. خاصة وأنه يقيم بها منذ بداية الأزمة .

ولاحت نذر الحرب بالمنطقة .. وكانت قوات الجيش الاتحاد بالشارقة قد وضعت منذ اليوم الأول للانقلاب فى حالة تأهب قصوى .. ويصل عدد هذه القوات إلى حوالى ٥ آلاف رجل .. بينما يبلغ عدد قوات الحرس الاميرى الشارقى .. والموالية للشيخ عبد العزيز .. أمير الانقلاب .. حوالى ٢٤٠٠ رجل .

وفى٢٢ يونيو ١٩٨٧ بدأت السحب تنقشع عن الجو ، وظهرت بوادر حل الازمة .. حيث اعلن مصدر عسكرى فى الشارقة أن الشيخ عبد العزيز .. أمير الانقلاب سوف يتوجه إلى مدينة العين .. وهى من أعمال إمارة ابو ظبى .. والقريبة من إمارة الشارقة .. لحضور اجتماع مصالحة بينه وبين شقيقه الشيخ سلطان .. أمير البلاد المعلن عزله .. ولبحث تنفيذ قرار المجلس الأعلى لاتحاد دولة الإمارات .. بإعادة الشيخ سلطان القاسمى إلى منصبه .. كحاكم لإمارة الشارقة .. وتنصيب شقيقه الشيخ عبد العزيز القاسمى .. والذى استولى على السلطة مؤخرا .. وليا للعهد .

وكان كبار المسئولين فى اتحاد دولة الإمارات قد تدخلوا .. بصفاتهم

الرسمية والشخصية .. لتسوية الأزمة .. واقناع الشقيقين .. باقتسام السلطة فيما بينهما ..

كما أن المملكة العربية السعودية .. ألقت بكل ثقلها .. فى سبيل انجاح الحل السلمى لمشكلة الصراع .. الاخوى فى الشارقة ..

وأن يتم ذلك فى سرعة .. حتى لا تتفاقم الامور فجأة ويفلت الزمام من الجميع ..

فالحل السلمى .. التفاوضى .. السريع .. كان رأس السعودية مع الاصرار .. طبعا .. على ضرورة انهاء الصراع .. والانقلاب .. لأن نجاح الانقلاب يعنى .. امكانية امتداد آثاره إلى دول أخرى داخل نطاق مجلس التعاون الخليجى .. وهو الأمر الذى يمثل .. خطرا على الجميع .

وفى سبيل ذلك .. أخفت السعودية مشاعرها .. تجاه هذا الشقيق .. أو ذاك واصرت على أمر واحد .. هو ضرورة عودة الاوضاع .. الشرعية .. إلى ما كانت عليه .. حتى لا يصبح هذا الأمر سابقة .. يمكن تكرارها .. فى دول اخرى مستقبلا .

....

ونفس الشئ فعله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان .. رئيس دولة الامارات العربية المتحدة .. التى تنضم الشارقة لعضويتها .

وسواء أكان الشيخ زايد قد تنازل عن موقفه المتشدد .. وانتقاداته السابقة للشيخ سلطان .. حاكم الشارقة .. أو أنه لم يتنازل ..

ولكنه من المؤكد أنه ترك جانبا .. الود الذى كان يكنه للشيخ عبد العزيز .. قائد الانقلاب ..

وإنه فعلا تناول الأمر من ناحية السياسة فقط .. والموضوعية البحته .. تاركا جانبا .. كل المشاعر الشخصية ..

وكان الرأى .. للشيخ زايد ..

والتنفيذ من الجميع ..

فالاتجاه أولا إلى الحل السلمى .. التفاوضى .. مع ممارسة أقصى الضغوط الشخصية .. لانهاء الانقلاب .. باستقلال كل المؤثرات الممكنة ..

اما إذا ظن الشيخ عبد العزيز .. قائد الانقلاب .. أن الامور قد دانت له .. فرفض الانصياع للمنطق التفاوضى .. ورأى الاستمرار فى احتلاله للقصر الاميرى فى الشارقة .. والاستمرار فى اعلان نفسه .. أميرا .. بالقوة .. على بلاده ..

فليكن الوجه الآخر .

القوة العسكرية ..

وانهاء التمرد بالقوة .. وإعادة الامير الشرعى .. الشيخ سلطان إلى موقعه .

......

وسواء أكان الموقف الحازم فى وجه الانقلاب . والاستعداد الواضح .. والأكيد .. لإماكنية استخدام القوة العسكرية فى انهائه .. هو السبب ..

أو أن الضغوط الشخصية .. والتفاوض .. والذى شمل ترضية .. للأخ الثائر قائد الانقلاب .. بمنحه الحق فى اقتسام السلطة مع أخيه .. هو السبب ..

فقد تم التغلب على الموقف الصعب ..

واخمدت نيران الفتنة .

.....

وهكذا نجحت اللجنة الثلاثية الاتحادية ∴ فى جميع الشقيقين المتنازعين ..

واتفق على اقتسام السلطة .. وعلى إلحاق قوى الحرس الاميرى بالشارقة إلى جيش .. والأمن بالإمارة إلى الأمن الاتحادى .

وفى يوم ٢٤ يونيو .. حضر الشقيقان الجلسة الحاسمة والمطولة .. التى عقدها المجلس الأعلى لاتحاد الإمارات .. فى قصر المقام بمدينة العين .. برئاسة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة اتحاد الإمارات ..

واعلن تحقيق .. المصالحة .. بين الشقيقين ..

ووافق المجلس فى اجتماعه .. على القرار .. الذى أصدره .. الشيخ سلطان .. حاكم الشارقة .. بتعيين شقيقه .. الشيخ عبد العزيز .. وليا للعهد .. ونائبا للحاكم .. ونائبا عنه فى رئاسة المجلس التنفيذى للإمارة .. وحضور جلسات المجلس الاعلى لحكام دولة الإمارات .. بصفته وليا للعهد .

وفى يوم ٢٦ يونيو عام ١٩٨٧ عاد الشيخ سلطان إلى قصره الأميرى فى الشارقة .. وفى يوم ٢٧ منه كان يمارس مهام منصبه من جديد .. أميرا للشارقة .

......

ولكن ذلك لم ينه الصراع بين الشقيقين ..

فقد ذكرت بعض المصادر أن الشيخ عبد العزيز .. لم يكن يمارس سلطات فعلية .

وبعد عام ونصف العام من ذلك .. انتقل الشيخ عبد العزيز للإقامة فى مدينة العين .. بعد أن طرده أخوه .. الشيخ سلطان .

وبعد عام آخر .. اصدر .. الشقيق الأمير .. قرار باقالة شقيقه الشيخ عبد العزيز .. من ولاية العهد .. وتعيين ابنه هو .. فى هذا المنصب .



جلالة المغفور له الملك عبدالعزيز آل سعود

نظرة فى عمق التاريخ

الملك عبد العزيز آل السعود

هو مؤسس الدولة السعودية الحديثة على أرض شبه الجزيرة العربية .

ولكن الملك عبد العزيز - على غير ما هو شائع - ليس مؤسس الأسرة السعودية .. أو أسرة آل سعود .. فإن تاريخ الأسرة يمتد فى عمق التاريخ إلى ما يزيد عن القرنين من الزمان .

واسمها يرجع إلى الجد الأكبر للأسرة .. سعود بن محمد بن مقرن .. الذى عاش فى هذا المكان فى أوائل القرن السابع عشر الميلادى .. ومن ذريته كان الإمام محمد بن سعود .. جد الحكام الحاليين .. وأول حاكم من آل سعود .

ومنذ ذلك التاريخ تعاقبت على آل سعود فترات من الازدهار والانتكاس .. والنصر والهزيمة .. حتى انتهى الأمر إلى الملك عبد العزيز .. الذى ثبت دعائم ملك آل سعود .. وحفر بجهاده وسيفه تاريخهم الحديث .

ويقسم المؤرخون - تبعا لذلك - تاريخ الدولة السعودية إلى فترات ثلاث .. الفترة الأولى . وتمتد من عام ١٧٢٦ إلى عام ١٨١٨ .. والفترة الثانية وتمتد من عام ١٨٢٤ إلى عام ١٨٩١ .. والفترة الثالثة وتبدأ من عام ١٩٠٢ وتمتد إلى أيامنا هذه .

وفى الفترة الأولى حكم من آل سعود أربعة كان كل منهم يحمل لقب « إمام » تمشيا مع تسمية الحكام فى العالم الإسلامى فى هذه الأيام .

وكان أول حكام هذه الفترة .. هو أول الحكام من آل سعود .. وهو الإمام محمد بن سعود .. وامتدت مدة حكمه من عام ١٧٣٦ إلى عام ١٧٦٥ .. وبدأ حياته حاكما على « الدرعية » .

وفى عام ١٧٤٤ إبان حكم الإمام محمد بن سعود حدث الشئ الذى غير مجرى الأمور كثيرا .. حتى أن كثيرا من المؤرخين الذين تناولوا التاريخ السعودى يعدون هذه السنة هى البداية الحقيقية لبدء الحكم السعودى .

فقد كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب .. صاحب المذهب الوهابى .. موضع اضطهاد بسبب الدعوة الدينية التى حملها .. فلجأ إلى حماية الإمام محمد بن سعود فى الدرعية .. لتجد دعوته القوة التى تساندها .. وتجد القوة السعودية العسكرية فكرا تحمله فى ركابها أينما سارت .. ومنذ ذلك التاريخ (١٧٤٤) .. تاريخ ذلك التحالف .. صار الكلام عن أحد طرفى هذا التعاقد يعنى ضمنا ـ الكلام على الآخر .

وسار الحكام من أبناء آل سعود ممن تعاقبوا بعد الإمام سعود على هذا النهج .

فقد تولى الحكم بعده ابنه عبد العزيز بن محمد بن سعود فى الفترة من عام ١٧٦٥ الى عام ١٨٠٣ .. الذى دأب على توسيع رقعة حكم آل سعود .. فنجح فى الاستيلاء على مدينة الرياض .. فصارت نجد كلها خاضعة للحكم السعودى .

ومن بعده تولى ابنه سعود بن عبد العزيز من عام ١٨٠٣ الى عام ١٨١٣ .. وسار فى البلاد فاتحا .. وناشرا لمذهب محمد بن عبد الوهاب .. حتى نجح فى الاستيلاء على مدينة مكة المكرمة .. حيث البيت الحرام والكعبة المشرفة .

وهنا تنبه الحكام فى الآستانة مقر الخلافة الإسلامية العثمانية .. التى كانت تخضع لحكمها كل البلاد الإسلامية .. لخطورة الموقف .. فاستنفروا قوى ولاتهم على البلاد لمواجهة هذا المد السعودى الوهابى المزدوج .

وأثناء ذلك مات الإمام سعود ليخلفه ابنه الإمام عبد الله بن سعود (١٨١٣ ـ ١٨١٧) ليواجه الحملة العثمانية .. التى لم تكتف باستعادة أراضى الحجاز فقط من أيدى أبناء سعود .. بل طاردتهم إلى الدرعية ..

وحملت القوات المنتصرة معها الإمام عبد الله .. حيث أرسل إلى مقر الخلافة ليعدم .. فى اسطنبول .

وانتهت بذلك الفترة الأولى من تاريخ الحكم السعودى ، ولكن سرعان ما بدأت الفترة الثانية .

ففى عام ١٨٢٤ تولى إمارة نجد أحد أفراد آل سعود .. الإمام تركى بن سعود.

وقد وضع نصب عينيه منذ بداية توليه استعادة ملك الآباء .. فتمكن من استرداد الرياض .. وواصل التوسع .

ولكنه اغتيل عام ١٨٣٤ ليتولى الحكم من بعده أكبر أبنائه الإمام فيصل بن تركى .. الذى اعلن منذ بداية توليه شق عصى الطاعة على الخليفة العثمانى .. ومن جديد كلف السلطان العثمانى نائبه على مصر .. محمد على باشا .. بالسير لإعادة الأمور إلى نصابها فى شبه الجزيرة العربية .. فسير اليها أبنه إبراهيم باشا .

ومن جديد أيضا تحمل الجيوش المنتصرة معها فى طريق عودتها الثائر السعودى .. ولكن ليعيش هذه المرة هو وأسرته .. عيشة كريمة لائقة بين أهله فى مصر .

ولكن لم يلبث محمد على باشا نفسه طويلا حتى أعلن استقلاله بحكم مصر عن الباب العالى العثمانى فى الآستانه .. ليضطر بعدها إلى سحب القوات المصرية التى كان قد تركها فى شبه الجزيرة العربية لتأمين الوضع هناك .. وذلك تحسبا للمواجهة بينه وبين تركيا .. التى استعانت بحيلفتها انجلترا لإعادة الباشا المتمرد إلى حظيرة الحكم العثمانى .

وانتهز الأسير الملكى الإمام فيصل الفرصة ليهرب عائدا إلى بلاده .. بعد خمس سنوات .. ليستأنف حكم بلاده .. باعثا الحياة من جديد فى مسيرة الأسرة السعودية .. أو آل سعود .. مستمرا فى الفتح والتوسع حتى كان تحت سطوته معظم نجد والإحساء .

وظل الإمام فيصل يحكم حتى وفاته عام ١٨٦٥ .

ودب الخلاف بين ابنى الفيصل المتوفى الكبيرين .. عبد الله وسعود .. مما ألحق الضعف كثيرا بآل سعود .. فى الوقت الذى تقوى فيه عدوهم محمد بن الرشيد .. زعيم قبيلة شمر .. حاكم حائل .

وأخيرا آل أمر الخلافة إلى الإمام عبد الرحمن الابن الثالث والأصغر للإمام فيصل بن تركى .. ووالد الملك عبد العزيز .. وذلك عام ١٨٨٩ .

وحاول الإمام عبد الرحمن جمع ما تبعثر من شمل أسرة آل سعود وأرضها .. ولكن الوقت كان قد فات .

فابن الرشيد كان قد تمكن من الاستيلاء على الجزء الأكبر من نجد .. والإحساء .. وأخيرا سقطت فى يده الرياض .. معقل آل سعود عام ١٨٩١ .

واضطر الإمام عبد الرحمن إلى ترك الرياض .. مصطحبا معه أسرته وبينهم ولده عبد العزيز .. والمخلصين من رجاله .

وانتهت بذلك المرحلة الثانية من مراحل تاريخ الحكم لآل سعود .

وفى الصحراء شديدة القسوة تحمل الفريق المهاجر الأهوال .. حتى أشرف أكثرهم على هلاك حقيقى .. فتفرق البعض .. وتحمل الباقون الحل والترحال بين مضارب البدو من قبيلة لآخرى .. حتى وصل الركب إلى بلاد البحرين .. ومنها إلى الكويت حيث نزلوا ضيوفا على أميرها الصباح .

وفى عام ١٩٠١ كان الفتى الذى هاجر يوما مع والده من بلاده قد بلغ سن الشباب .. كان عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود فى الحادية والعشرين .. وكان الشوق إلى بلاده ما زال يعتصر قلبه .. وأحلام الحكم ما زالت تراود فؤاده .

وودع الفتى أباه .. « أبى إنك سترانى منتصر . أو أنك لن ترنى أبدا » .. واصطحب نفرا قليلا من الرجال .. اختلف فى عددهم .. ولكن اكثر التقديرات توسعا قالت إنهم .. «ستون رجلا» .. وارتحلوا قاصدين الرياض .

وتسلق الرجال سور الرياض خلسة فى الليل دون أن يراهم أحد .. وكمنوا فى أحد البيوت المهجورة .

وعند الفجر خرج أمير الرياض للصلاة آمنا خاليا من الرجال والحراسة .. وعندما صار « عجلان » فى عرض الطريق .. انقض عليه عبد العزيز على حين غرة .. وأمسك به .. فعاجله عبد الله بن جلوى ابن عم عبد العزيز .. بضربة سيف قاضية .

وتدافع أهل الرياض الذين كانوا يئنون من مظالم ابن الرشيد ورجاله إلى مخافر رجال ابن الرشيد يحطمونها .. ويهتفون بحياة عبد العزيز ابن السعود .

وبفتح الرياض عام ١٩٠٢ تبدأ المرحلة الثالثة فى تاريخ حكم أسرة آل سعود .

وأرسل الابن المنتصر إلى أبيه الإمام عبد الرحمن .. ليعود إلى الرياض حيث هو .. حاكمها الشرعى .. وأن النصر عقد له .. وأن الابن كان يقاتل تحت لواء ابيه .. وليس لحساب نفسه .. فى لمسة وفاء نادرة الحدوث على مر التاريخ .

وحضر الأب .. ليعلن أمام مجلس العلماء والأعيان .. تنازله عن الحكم لابنه المنتصر .. عبد العزيز .

وجعل الإمام عبد العزيز توحيد البلاد همه الأكبر فواصل توجيه حملاته العسكرية فى أنحاء نجد .. وعمل على توحيد القبائل المتفرقة المتناحرة .. وقام بمصاهرتها .. فصارت لها مصلحة حقيقية .. ومشاركة فى الحكم بشكل ما .

وما إن حل عام ١٩٠٤ حتى كانت معاقل ابن الرشيد العدو التقليدى لآل سعود قد سقطت فى يد آل سعود ، وعاد إلى منطقة جبل شمر فى شمال نجد . وفى عام ١٩٠٦ مات ابن الرشيد .. فدانت نجد كلها لحكم الإمام عبد العزيز آل سعود .

وتفرغ الإمام بعد ذلك للفتوحات .. فدانت له عسير عام ١٩١٣ ثم ثار حكامها بمساعدة الإمام يحى آل حميد الدين إمام اليمن فأعيد فتحها مرة أخرى ونهائية عام ١٩٢١ .. وفتح الطائف عام ١٩٢٤ .. وبعدها مباشرة مدينة جدة .. وما إن حل عام ١٩٢٥ إلا وكانت مكة المكرمة والمدينة المنورة فى قبضته ، وبذلك توحدت المملكة السعودية فى شكلها الحالى ..

وفى ٢٢ سبتمبر عام ١٩٣٢ صدر المرسوم الملكى بتسميته الملك عبد العزيز بين عبد الرحمن بن فيصل آل سعود ملكا على .. المملكة العربية السعودية .

وكان اكبر هم الملك عبد العزيز هو استقرار الأمن .. وتأمين طرق الحج التى صارت نهبا لكل قاطع طريق .. وتأليف القبائل .. وجمع كلمتها على مناصرة الأسرة السعودية ..

وبجهد جهيد .. حاول الملك ان يبعث نوعا من التنمية فى ربوع المملكة التى استقر الأمن فيها .. معتمدا فى البداية على إيرادات مواسم الحج .. الضئيلة .

ثم تفجر البترول .. وجاء من يبشر الملك به وقال الملك قولته الشهيرة .. كنت اتمنى بدلا منه ينبوعا من الماء لشعبى .

......

وتمت الرسالة .. وتحقق الهدف

وفى يوم ٩ نوفمبر ١٩٥٣ .. توفى الملك عبد العزيز .. بمدينة الطائف .

وفى يوم ١١ من نوفمبر ١٩٥٣ .. بويع ابنه الملك سعود .. بالملك .. كأول خلفاء والده .



جلالة المغفور له
الملك سعود بن عبد العزيز

خلفاء .. وخلافات

خلفاء .. وخلافات

اختار الملك الراحل عبد العزيز آل سعود قبل وفاته .. ابنه سعود خلفا له .. لأكثر من سبب .. أولها ولا شك هو الحفاظ على وحدة صف الأسرة بعد أن عاصر الخلاف بين عميه عبد الله وسعود وما أدى إليه من نتائج خطيرة . وثانيها لأن أمه سديريه .. والوضع القبلى له وزن فى الحياة الاجتماعية والسياسية فى السعودية .. ثم إن سعود هو أكبر الأبناء الأحياء له .

وربما أيضا لحادثة تروى عن الابن سعود .. تحكى حالة من اندر حالات الشجاعة والفداء ربما على المستوى الفردى البشرى .. ذلك أنه أثناء القتال الذى كان يقوده الملك عبد العزيز ضد قبائل شمر .. حيث وجه أحد مقاتلى ابن الرشيد سهما إلى الملك عبد العزيز .. فقفز ابنه سعود من بين الصفوف ليتلقى السهم فى جسده .. منقذا أباه من موت محقق .

وكان الملك سعود كريما الى حد البذخ .. ركز جل اهتمامه على شئون القبائل يعايشها أمالها وأحلامها وأشجانها .. تمويلا من الخزانة الحكومية .. مما كلفها الكثير حتى هددتها كثرة الإنفاق .

وكان الأمير فيصل وليا للعهد .. فترك له الملك سعود كل الأمور الخارجية التى كان قد تمرس عليها منذ نعومة أظفاره .

ولكن ذلك لم يكن ليمنع الصدام بين الأخوين .

وبلغت هذه الخلافات بين الملك سعود واخيه وولى عهده الأمير فيصل يوما أن أمر الملك حرسه بأن يحاصر حى الناصرية الملكى حيث .. يقيم الأمير .. بل والأكثر من ذلك .. أن تصوب فوهات بعض المدافع نحو قصر « المعزر » الذى يقيم فيه الأمير فيصل .

وكان الأمير فيصل فعلا داخل القصر .. أو بمعنى آخر .. صار معتقلا داخل قصره .. وممنوعا من مغادرته .

وفى نفس الوقت كانت تنتظر الأمير فيصل مقابلة رسمية فى قصر الحكم .

ويقول الدكتور رشاد فرعون . الذى حضر هذا الموقف العصيب .. عندما أبلغ الأمير فيصل ما حدث لم يرهبه ذلك . ولم يثره .. لا كثيرا .. ولا قليلا .. وثابر على عمله الذى كان فيه .. وكأن شيئا لم يكن ..

ولما جاء موعد مغادرة القصر .. هم الأمير بالخروج ليستقل سيارته إلى مقر الحكم .. ليتم المقابلة الموعودة .

فقال له الدكتور رشاد فرعون :

ـ كيف تخرج يا سمو الأمير والحالة بهذه الخطورة ؟!

فأجابه الأمير فيصل .. بهدوئه المعهود :

ـ إن كنت خائفا فابق هنا وحدك .

فقال له :

ـ إنما خوفى على سموك لا على نفسى . فليس هناك سوى فيصل واحد . وأما أنا وأمثالى فكثيرون .

ولكن الأمير فيصل قال .. فى إصرار وثقة :

ـ سأخرج .. وسترى من هم هؤلاء الرجال المسلحون الذين صوبوا مدافعهم نحو دارى !

وخرج الأمير فى خطوات متئدة ثابتة .. ولم يكن أمام الدكتور رشاد فرعون إلا أن يخرج هو الآخر .. ليصف المشهد الذى رآه بعد ذلك فى كثير من العجب الذى يصل إلى حد الذهول .

« خرج الفيصل .. ومر بجنود الحرس .. فكان كلما مر بأحد الضباط .. نزل الضابط من السيارة « الجيب » (التى يحاصرون بها القصر) .. ليحيى الفيصل ..

ووصل الأمير فيصل إلى سيارته ليستقلها .. ويغادر المكان .. وكأن هؤلاء الناس جاءوا لتحيته .. لا لحصاره .

وعلنيا لم يعرف أحد ماذا جرى بين الأخويين فى هذا الشأن .. ولكن بالتأكيد حدث شئ ما .. فالأزمة سويت .. أو على الأقل .. لم تتسع ..

وانسحب الرجال المسلحون بالمدافع .. الذين يحاصرون قصر الأمير فيصل .. بأمر الملك سعود .

وظلت المسألة فى جذب وشد بين الأخويين .. الملك وولى العهد .. حتى كان عام ١٩٥٨ .. عام الوحدة بين الجمهورية العربية السورية وجمهورية مصر العربية .

والقى الملك سعود بكل ثقله ضد هذه الوحدة .. وكان موضوع الشيك الضخم الذى قدمه الملك سعود لضرب هذه الوحدة .. والذى كان مقداره عشرون مليون ريال سعودى .. وهو رقم أكثر من خرافى فى هذا الوقت .. ولما فشلت المحاولة .. وصارت فضيحة يدوى صداها داخل السعودية وخارجها .. مما أثر على تماسك الصف الحاكم من أبناء سعود . وقام الكثير منهم يعارض علنا موقف الملك .. بالإضافة إلى حالة الخزانة السعودية التى بات أمر متاعبها معروفا للجميع .

وقد أثار موضوع هذا الشيك الذى أصدره الملك سعود .. للبعض .. مقابل عملهم على افشال الوحدة جدلا شديدا .. وتوترا بين الملك وأخوته الامراء .

وانكر الملك سعود بشدة .. مجرد حدوث هذا الأمر ..

وبعدها سافر أحد الأخوة الأمراء إلى القاهرة .. سرا .. ليستوثق من الأمر .. ليعود إلي الأخوة .. مؤكدا حدوث الموضوع فعلا .. على خلاف ما أكد أخوهم الملك .

وزاد الطين بله .. تلك السياسه الغريبه التى كان يتبعها الملك سعود

مع أخـوته الأمـراء .. والتى كـانت تقـوم على التـفـرقـة .. والتـحـزب .. والتحافات .. المشبوهه .

فكان يقرب هذا الأخ تارة .. فينصبه .. وزيرا .. ولا يمنع بذلك من أن يغضب عليه بعض قليل .. فيقيله .

ويعين بعض الأخوة .. في الوزارات .. مقابل أن .. يتحزبوا .. ضد أخوة آخرين .. وهكذا .

فكانت النتيجة .. أن أجمع الأخوة .. علي مناوأته .. والعمل ضده ..

وهنا يستدعى الملك أخاه وولى عهده ليحمل المسئولية كاملة ويتنازل له عن جميع سلطاته .. لانقاذ ما يمكن إنقاذه .. فى مارس ١٩٥٨ .. ويسافر هو إلى أوروبا ..

ويتولى الأمير فيصل المسئولية .. ويعين رئيسا للحكومة .. وهو منصب عادة مايتولاه الملك ، وينسحب الملك سعود من الساحة .. ولكنه لم يذهب بعيدا .

وحاول الأمير بقدر ما استطاع تدارك كثير من الأمور وسارت الأحوال فى الاتجاه الصحيح .. وتم تفادى الانفجار المتوقع .

ولكن هذا الوئام لم يدم طويلا .. ففى عام ١٩٦٠ .. جاء من يبلغ الأمير فيصل .. أن أخاه الملك يشكره على ما قام به من جهود .. ويرجوه أن يترك موقعه .. الذى هو جزء طبيعى من اختصاصات الملك .

وكان نفس الموقف قد حدث قبل ذلك بأربعة أعوام .. حين دعى الأمير فيصل إلى حمل المسئولية .. ليواجه بخزانة خاوية .. ليس بها سوى ٣٣٠ ريالا .. ومطلوب منها الكثير جدا .. أبسطها مرتبات الموظفين التى كان مفروضا أن يتسلموها بعد أيام تعد على أصابع اليد الواحدة .

وأتم الفيصل تجاوز الأزمة .. ثم أبلغ بالاستغناء عن .. خدماته .. الجليلة .

وكعادة الفيصل عندما تتأزم الامور .. ذهب إلى الأحراش القريبة من جدة للصيد .

ثم يأتى الصدام الكبير .. عام ١٩٦٢ .. حيث بات واضحا أن البلاد على شفا انفجار كبير .. حقيقى .. يطيح بالأسرة السعودية كلها ..

وتطلع الجميع .. ومنهم الملك سعود نفسه .. إلى الامير فيصل لينقذ العرش السعودى .. ويحميه من الضياع .

وفعلا تم كشف مؤامرة عام ١٩٦٣ .. للقيام بانقلاب .. للقضاء على الحكم السعودى .. وتصفية أفراد الأسرة الحاكمة .. وأولها الملك .

ونعود إلى عام ١٩٦٢ ..

كان الأمير فيصل فى نيويورك .. ينعم بالراحة .. بعيدا عن المشاكل .

وجرت الاتصالات لعودته .

ولكنه فى هذه المرة رفض .. تماما .

ومع توالى الاستدعاءات والوساطات .. وتوضيح أن المسألة لم تعد مشكلة الملك سعود والأمير فيصل .. ولكنها أصبحت مسألة العرش السعودى ككل .. وافق الأمير على العودة .. بشرط ؟!

تسليمه جميع السلطات .. وابتعاد الملك سعود .. نهائيا .. عن كل ما يتعلق بالحكم .

ولم يكن أمام الملك .. أمام الضغوط العامة ..والمنبسقة من داخل الاسرة الحاكمة إلا أن يقبل . لإنقاذ البيت المالك .

وفى ١٧ اكتوبر ١٩٦٢ اصدر الملك سعود .. قرارا بإعفاء جميع الوزراء من مناصبهم .. وتعيين الأمير فيصل رئيسا للوزارة .. التى يشكلها .. بمعرفته .

وفى ٤ ديسمبر ١٩٦٢ .. كان الملك سعود يغادر المملكة إلى لوزان فى سويسرا .

وبعد حوالى الأسبوعين .. تلقى رسالة من الأمير فيصل .. يطلب فيها منه التنازل عن العرش .. جاء فيها .. « من رأى جميع الأمراء .. أشقاء الملك .. بلا استثناء .. أن يقوم الملك بهذه التضحية .. ليحفظ كيان الأسرة المالكة السعودية كلها .. وأن من رأيهم أن هذا هو .. الحل الوحيد .. لإنقاذ الموقف .. بعد تزعزع مركز الأسرة .. فى الداخل والخارج .. وأن هذه الخطوة .. سوف تقضى على الموقف الخطير .. داخل المملكة .. الذى يهدد بالانفجار من لحظة إلى أخرى .. برغم ما بذله فيصل لتهدئة الموقف .. »

وكان رد الملك سعود سريعا ومباشرا على الرسالة حزم حقائبه .. وعاد إلى الرياض .. فى اليوم السابع عشر فقط لمغادرته لها ..

وتمضى الأمور فى شد وجذب حتى يأتى اليوم الذى يصبح فيه الصدام علنيا ..

ففى يوم ٧ يونيو ١٩٦٣ .. قرر الملك سعود .. أن يحسم الأمر .. ويقصى الأمير فيصل .. نهائيا ..

وأصدر الملك مرسوم الإقالة .. إقالة الأمير فيصل ..

وأمر الملك .. بإذاعة مرسوم الإقالة .. فى إذاعة المملكة .. الرسمية ..

ولكن الإذاعة .. رفضت .

وعندها قرر الملك سعود .. ان يغادر الرياض .. فورا ..

وساح الملك سعود .. وأبناؤه ... والمقربون من حاشيته فى أوروبا .. من الريفييرا الفرنسية .. إلى فيينا . إلى أثينا ..

وفى ٢ نوفمبر ١٩٦٤ .. صدرت فتوى .. بإجماع آراء أسرة آل سعود .. والعلماء .. ورؤساء المحاكم .. والقضاه .. وبقرار من مجلس الوزراء .. ومجلس الشورى .. بعزل الملك سعود .. وتعيين الملك فيصل .

وطالب المجتمعون الشعب بمساعدة الملك فيصل .. على أداء المهام الموكولة إليه . وفى ٤ يناير من عام ١٩٦٥ .. بايع الملك سعود أخاه بالعرش .

وفى ١٨ ديسمبر من نفس العام ١٩٦٥ جاء الملك سعود .. ليعيش بشكل نهائى فى القاهرة .

وفى عام ١٩٦٧ .. عاود الملك سعود .. الحنين إلى العرش .. وبدأ يفصح عن رغبته هذه فى مجالسه الخاصة والعامة .

ذكر أحد المقربين من الملك سعود أنه ذكر له أنه يدرس جديا .. تشكيل حكومة سعودية حرة .. بهدف السعى لإسقاط حكم .. الملك فيصل .. وفى شهر فبراير من ذلك العام أدلى الملك سعود امام عدد من زواره بتصريح خطير ..

« لقد قررت .. بعد الاتكال على الله .. أن أبدأ المعركة .. لإسقاط الحكم القائم فى السعودية » ..

وإذا كانت الظروف قد شاءت لى أن أنتظر .. كل هذا الوقت .. فإننى قد عزمت اليوم على الكفاح .. حتى الرمق الأخير ..

وغدا سوف انتقل إلى اليمن .. قريبا من أرض المعركة وسوف أثبت للشعب . الذى يجمع قواه .. أننى لم أتخل بإرادتى» .

ويوم ٢٧ إبريل ١٩٦٧ .. كان الملك سعود فى صنعاء عاصمة اليمن .. فعلا ..

ومن هناك طيرت الأنباء تصريحات الملك سعود ..

« إذا كنت قد تركت السعودية .. تلافيا لسفك الدماء .. إلا أن الوضع الذى تردت فيه السعوديه الآن .. من وجود المرتزقة الأجانب .. ووقوع الحكم تحت سيطرة أمريكا وبريطانيا .. يحتم أن أعيد النظر فى هذا الأمر » ..

وإننى على يقين من ولاء كثير من القبائل .. وأن الشعب فى السعودية يرفض الوضع القائم » ..

على أنه فى نفس العام ١٩٦٧ تمت تسوية مشكلة الحرب اليمنية /

اليمنية .. بين المكيين فى اليمن وأنصار الجمهورية فيها .. والتى كانت فى حقيقتها .. حرب بين مصر والسعودية .. باستخدام أطراف يمنية .

وكان أهم بند فى هذه التسوية .. هو انسحاب القوات المصرية المحاربة فى اليمن .. وبذلك يكون الملك سعود قد فقد الأرض التى كان يعتبرها منطلقه إلى أراضى بلاده .. وأساس مخططه فى محاولته مناوأة الملك فيصل .. وابعاده عن العرش .

وعاد الملك سعود إلى الاستمتاع بالإقامة فى مصر .. وإلى السفرات التى كان يقوم بها بين القاهرة والبلدان الأخرى ..

إلى أن كان فى رحلة إلى اثينا يوم ٢٣ فبراير عام ١٩٦٩ .. حين فاجأته .. نوبة قلبية .. كانت الأخيره فى سلسلة مرضه الطويل .

وفى يوم ٢٤ فبراير ١٩٦٩ .. عاد الملك سعود إلى الرياض .. موضع آلامه .. ومحط آماله .. وأقصى أمنياته ..

ولكنه عاد إليها .. جثة محمولة .. على طائرة ملكية سعودية خاصة .





المصريون .. والأسرة الهاشمية

المصريون .. والأسرة الهاشمية

يقول التاريخ فيما سجله قديما إن المصريين هم سبب وجود الأسرة الهاشمية أصلا .. ويرجع ذلك إلى الوقت الذى حارب فيه المصريون فى الجزيرة العربية .. تحت راية السلطان العثمانى .. وباسمه .. ليستردوا له ما انتقص آل سعود من أملاك دولة بنى عثمان من الأراضى المقدسة .

ويقول التاريخ إن المصريين عندما دخلوا مكة عام ١٨١٥ كان عليها الأمير عبد المطلب من بنى غالب فعزله محمد على باشا وإلى مصر من قبل السلطان العثمانى من منصبه كشريف لمكة المكرمة وعين بدلا منه شريفا ـ أى منتسبا لبيت النبوة المشرفة ـ آخر مجهول الأصل هو محمد بن عون .. لم يكن من سياق التسلسل الطبيعى للإمارة .. بل لم تكن أحلام الأمارة أصلا لتطوف بخياله ..

وهكذا جاء هذا الفرع من بنى هاشم .. ليخدم أهدافا سياسية معينه .. من خارج الحجاز .

وظل ابن عون شريفا على مكة المكرمة حتى وفاته .. مخلفه ابنه عبد الله .. ثم من بعده ابن اخيه .. حسين .. الشريف حسين .. مؤسس الأسرة الهاشمية .. والجد الأكبر للملك حسين بن طلال ملك الاردن .

ومن هنا .. من كون الشريف حسين .. شريفا على مكة المكرمة . محط انظار وآمال الحكام من بنى سعود الصاعدين .. تتشابك خيوط التاريخ للأسرتين السعودية والهاشمية لفترة من الزمان .

فعندما أعاد المرحوم الملك عبد العزيز آل سعود تأسيس دولة بنى سعود .. كانت الأراضى الحجازية المقدسة هى نهاية آماله .. ولكنها جزء غال من إمبراطورية بنى عثمان .. أثبتوا من قبل أنهم على غير استعداد أن يفرطوا

فيه .. وتركيا فى ذلك الوقت كانت قوة عظمى يحسب لها ألف حساب ..

على أن تاريخ الأسرة الهاشمية يتشابك مع تاريخ الأمة العربية ككل بشكل مؤثر وفعال .. وذلك فى مرحلة من أدق مراحل التاريخ .. وهى فترة الحرب العالمية الأولى .. وما تلاها من سنوات قليلة .. تركت أحداثها بصمات واضحة .. وشكلت واقعا جديدا لخريطة العالم العربى .. خاصة فى منطقة الشام ..

وما زالت آثار هذا التشابك والتلاحم باقيه حتى أيامنا هذه .

ونستعرض ذلك فى نظرة سريعة فاحصة .

......



العرب .. والحرب العالمية الأولى

اندلعت نيران الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ .. لتظل مشتعلة حتى عام ١٩١٨ .

وكان العالم العربى ككل يقع فى نطاق الخلافة الإسلامية فى استنبول .. عدا تلك الأجزاء التى اقتطعها الملك عبد العزيز آل سعود من أراضى شبه الجزيرة العربية لينحصر سلطان بنى عثمان فى الأراضى الحجازية التى تخضع لنفوذ الهاشميين .

وكان العالم العربى كله يموج ببذر الثورة على بنى عثمان .. ويتطلع إلى يوم الخلاص من التبعية لهم .

ولم يكن العالم العربى طرفا مباشرا فى الحرب.. ولكن تركيا..دولة الخلافة كانت أحد أضلاعها الرئيسيين .. فقد كانت تشكله مع ألمانيا الإمبراطورية أحد طرف النزاع .. فى مواجهة الحلفاء وعلى رأسهم انجلترا وفرنسا .

ولم تكن انجلترا وفرنسا بعيدتين عن الغليان الثورى الداخلى فى الوطن العربى .. ففرنسا يربطها بالطائفة المارونية فى لبنان .. « حبل سرى » .. كالذى بين الأم وجنينها .. منذ الحروب الصليبية .. وانجلترا وضعت يدها على قلب مصر .. مفتاح العالم العربى .. والطريق عبر قناة السويس إلى الهند جوهرة التاج البريطانى .. فاتفقت الدولتان على .. « استغلال » .. « الثورة العربية الكبرى » .. كما أطلق عليها .. فى سبيل تحقيق الاستقلال والقومية العربية .. لمصلحتهما .. وذلك بإظهار .. فقط إظهار .. التعاطف مع هذه المطالب القومية الاستقلالية .. ومساعدة هذه الحركات القومية فى مواجهتها مع دولة الخلافة ..

وقد رأت بريطانيا أنها بذلك تسبق وتضرب دولة الخلافة الإسلامية حليف الألمان .. لعها بذلك تكسر شوكتها .. وأنها قد تستطيع بتشجيع

ضرب تركيا .. من الداخل .. بأيدى أطرافها الثائرة .. أن تخرجها من المواجهة العسكرية مع الحلفاء .. فتبقى ألمانيا فى المواجهة وحدها ، مما يسهل دحرها .

ومن هنا كان اعترافها للملك عبد العزيز آل سعود بسلطانه على الأراضى التى فتحها .. وعقد معاهدة معه سنة ١٩١٦ .. نكاية فى دولة الخلافة .. وليس حبا فى آل سعود .

ومن هنا أيضا كان تشجيعها للهاشميين فى الحجاز بالثورة على السلطان فى تركيا .. ومساعدتهم فى المواجهة العسكرية معه .. فى بلاد ما بين النهرين .. سوريا والعراق .. مما أدى إلى دخول فيصل بن الشريف حسين إلى دمشق .. وتزعمه التيار الثورى فى مواجهة العثمانيين .كل هذا فى الوقت الذى كان الفرنسيون والبريطانيون يتفقون على كيفية تقسيم أراضى الخلاف العثمانية بعد سقوطها فيما بينهم .. ويوقعون بذلك معاهدة مكتوبة هى معاهدة سايكس - بيكو عام ١٩١٦ .. التى تنص على تقسيم الوطن العربى إلى كيانات صغيرة متعددة .. وقيام وطن قومى دينى لليهود على ارض فلسطين .. والتى كانت حتى ذلك الوقت جزءا من الأراضى السورية .. وذلك للحيلولة دون أى اتصال محتمل فى أى وقت بين مصر وسوريا .. الذى هو مبعث القوة الحقيقية فى العالم العربى كله .

وكان للحلفاء ما أرادوا .. فانهزمت تركيا .. فقطعوا أوصالها ..

وبالنسبة لرجالات العرب الذين ساعدوا الحلفاء بثورتهم على دولة الخلافة .. كان لابد من الإسراع بتصفيتهم .. عزيز المصرى .. نفى من مصر إلى أسبانيا .. وطالب النقيب .. زعيم القوميين فى العراق نفى إلى الهند .. والأمير عبد القادر الجزائرى .. وهو من أبرز الثوريين العرب الذين جاءوا من الغرب إلى الشرق للمشاركة فى النضال .. اغتيل فى دمشق .

وبقى الهاشميون .

كان البريطانيون قد وعدوا الشريف حسين .. بمملكة مستقلة .. إذا

ما ساعدهم على تركيا .. وقد وقعوا معه معاهدة صريحة بذلك فى يناير ١٩١٦ . ننشر فيما يلى أهم بنودها .. لأن ذلك يتعلق بمجريات الأمور على تلك الساحة فى هذا الوقت .. وأيضا امتد أثره .. كواقع نعيش جزءا منه هذه الأيام ..

أولا : تتعهد بريطانيا العظمى بتشكيل حكومة عربية مستقلة بكل معانى الاستقلال فى داخليتها وخارجيتها حدودها شرقا خليج فارس ، غربا بحر القلزم (البحر الاحمر) والحدود المصرية والبحر الأبيض ، وشمالا حدود ولاية حلب والموصل الشمالية إلى نهر الفرات ، ومجتمعه مع دجلة إلى مصبها فى خليج فارس ، ما عدا مستعمرة عدن فإنها خارجة عن هذه الحدود ..

ثانيا : تتعهد بريطانيا العظمى بالمحافظة على هذه الحكومة وصيانتها من أى تدخل كان بأى صورة كانت فى داخليتها ، وبسلامة حدودها البرية والبحرية من أى معتد أيا كان الشكل .. حتى لو وقعت فتنه داخلية من دسائس الأعداء زو من حسد بعض الأمراء ...

ثالثا : تتعهد بريطانيا العظمى بالقيام بكل ما تحتاج إليه ربيبتها الحكومة العربية من الأسلحة والذخائر والمال ..

وهكذا أصبح الشريف حسين بهذه الاتفاقية .. ملكا على العالم العربى ككل ..

وبناء عليه فقد قسم هذا الملك العظيم بين أبنائه .. ولكن فقط .. وهذا هام جدا .. ليكونوا بمثابة نواب له .. نواب فقط .. فى هذه الأجزاء التى .. أقطعها لهم .

هو الشريف حسين نفسه .. ملكا على كل العرب .

أكبر ابنائه .. وأضعفهم الشريف على .. نائبا له على الحجاز وملحقاته .

ابنه الثانى .. فيصل .. نائبا له على سوريا .

ابنه الثالث .. عبد الله .. نائبا له على العراق .

أما أبنه زيد .. الذى ولد لأم تركية .. فلم يغادر تركيا .. ولم يقترب إطلاقا من العالم العربى .. وبالتالى فلم يتطلع يوما إلى عرش من عروشه .

هكذا اتفق البريطانيون مع الشريف حسين أمير الحجاز من قبل الخلافة العثمانية على أن يساعدهم .. على الخلافة العثمانية .. ثم يملكونه على العرب .. بعد النصر على تركيا .

وقد بر الشريف حسين بوعده .. وساعد الحلفاء .. حتى انتصروا .. فماذا فعلوا هم بمعاهدتهم .. المكتوبة .. معه ؟! .. وماذا كان موقفهم منه بعد النصر الذى ساعدهم فى إحرازه ؟!

الحقيقة أنهم .. غضوا الطرف عنه تماما .. ولكنهم تركوه حيث كان .. أميرا على الحجاز .. وأداموا مساعداتهم المالية له ..

ولكنهم فى نفس الوقت ركزوا على أبنائه .. أيضا ليس حبا فى ذواتهم .. ولكن كأفراس سباق .. يكون الإنجليز فيه هم الرابحون .

لقد ساعدوا ابنه فيصل ليعلن نفسه ملكا على سوريا .. وعندما فشل فيها .. عينوه .. ملكا .. على العراق .

وابنه عبد الله اقتطعوا له جزءا من الاراضى السورية وجزءا من الأراضى الفلسطينية لينشئوا له .. مملكة شرق الأردن .. ويعينوه ملكا عليها .

واعتبر الشريف حسين كل ذلك خيانة له ..من الإنجليز..ومن الأبناء معا .

وفى هذه الأثناء حدث تطور هام على الساحة الإسلامية .. ففى أواخر فبراير ١٩٢٤ قام مصطفى كمال أتاتورك زعيم حزب .. « تركيا الفتاة » .. على رأس الحكومة فى تركيا .. وكان أول قرار اتخذه هو .. إلغاء لقب .. « خليفة المسلمين » .. الذى كان يحمله سلطان الآستانه .

وكانت فرصة الشريف حسين .. حاكم الأراضى الحجازية المقدسة ..

فخلع على نفسه لقب .. « خليفة المسلمين » ..

وهنا كان الكيل قد فاض بالمسلمين من سوء إدارة الشريف حسين لإمارته .. وما يتعرض له حجاج المسلمين إلى بيت الله تعالى الحرام من السلب والنهب والقتل .. من القبائل المواليه للأمير .

وكان الإنجليز أيضا قد ضاقوا بلسانه الذى يطلقه أينما كان يتحدث عن خيانتهم له .. وحنثهم بوعودهم .. وتأليب أبنائه عليه ..

وكانت فرصة ابن سعود .. لقد حان الوقت لتوجيه الضربة النهائية للهاشميين .. وتوحيد المملكة .

فسير الملك عبد العزيز ابنه الأمير فيصل فى حملة شنت هجوما صاعقا على الأراضى الحجازية من ناحية البحر .. فاحتل « الطائف » أولا .. ثم انقض على « جدة » .. التى هرب منها الشريف حسين على ظهر بارجة بريطانية إلى قبرص .. ثم استولت سريعا على مكة .

وبذلك ينتهى التشابك بين تاريخ آل سعود وتاريخ الهاشميين .. الذى سبق وألمحنا إليه فيما سبق من صفحات .

وينتهى ايضا تاريخ الهاشميين فى شبه الجزيرة العربية .

......

والحقيقة أن للانجليز فى كل هذا الموقف بالغ الصعوبة .. والسوء .. الذى وصل اليه الشريف حسين .. دور أساسى وفعال ..

ففى الوقت الذى اعطوا للسعوديين .. الضوء الأخضر .. للانقضاض على الشريف حسين .. وقفوا مكتوفى الأيدى .. ولم يمدوا له يد المساعدة ..

وذلك لأنهم قد ضاقوا به ذرعا .. من طول ما أطلق لسانه عليهم .. بأنه خانوه .. فبعد أن وقف بجانبهم فى الحرب .. لم يعطوه ما وعدوا به .. مملكة هاشمية .. واسعة ..

بل والأكثر من ذلك .. ساعدوا أولاده على التمرد عليه .. بمنحهم

ممالك .. شخصية .. بعيدا عن سلطانه هو ..

ومن هنا أيضا .. كانتى مساعدتهم له .. فى الهرب إلى خارج الوطن العربي .. كله .

......

ويظل الأمير الشريف حسين بن على فى قبرص .. يشكو الزمن .. ويشكو خيانة الحلفاء .. ويشكو خيانة الأبناء .. حتى يصاب .. « بالجنون » .. ثم يوارى التراب فى هذا المكان البعيد عن الوطن العربى .ولكن تاريخ الهاشميين لا ينتهى إلا من شبه الجزيرة العربية فقط .. ليبدأ هنا فى القريب على أرض الشام والعراق .فماذا عن الأسرة الهاشمية هناك .. ؟!



فيصل .. ملكا على سوريا

فيصل .. ملكا على سوريا

رشح الشريف حسين بن على ابنه فيصل ليعتلى عرش سوريا .. وفعلا دخل فيصل سوريا عام ١٩١٨ .. بمساعدة الإنجليز .. ولورنس الإنجليزى بجانبه .. وذلك بالرغم من ان سوريا تقع فى النصيب الفرنسى .. بتقسيمة المعاهدة المشئومة سايكس / بيكو .

ولكن الإنجليز كانوا يطمعون فى أن فيصل ربما استطاع أن يجتذب إليه عواطف الجماهير الثائرة .. وأن يكون لنفسه شعبية جماهيرية .. فيساعد ذلك على انتزاع سوريا من دائرة النفوذ الفرنسى .. والاحتفاظ بها فى دائرة النفوذ البريطانى .

وهكذا استغل الإنجليز الشعور الوطنى الفياض .. وبويع فيصل .. ملكا على سوريا .. فى جو مشحون بالعواطف .

ولكن الشريف حسين .. أبو فيصل فى مكة .. كان فى غاية الحنق .. على الأنجليز .. وعلى ابنه الذى لم يكتف بأن يكون نائبا .. بل أخذ الملك لنفسه .

وسافر فيصل إلى مؤتمر الصلح فى باريس (١٩ يناير ١٩١٩) .. بمشورة من لورنس الانجليزى .. وتمت رعايته .. فربما استطاع ان يثبت حقه فى عرش سوريا .

ولكن المؤتمر كان قد أعد لغير ذلك .. كان قد أعد فقط لاقتسام أشلاء الإمبراطورية العثمانية .. وتوزيعها بمقتضى المعاهدة التى سبق أن أبرمت لهذا الغرض .. سايكس / بيكو .

وكان البت فى هذا الموضوع من اختصاص الكبار .. لويد جورج رئيس الوزراء البريطانى ، وجورج كليمنصو رئيس الوزراء الفرنسى .

وتمسكت فرنسا بما أتاحته الاتفاقية المشئومة لها من .. حقوق .. واستجابت بريطانيا للضغوط الفرنسية .. وضحت بصديقها العربى .. كما هو متوقع .. وكان كل ما فعلته هو نصيحة .. رسمية .. لفيصل بأن يحاول التفاهم مع فرنسا .

وكان لابد .. طبقا لاتفاق أوروبا على العالم العربى .. أن توضع سوريا .. تحت الحماية .

وفى محاولة أخيرة لفيصل .. عرض على الوفد الأمريكى المشارك فى مؤتمر الصلح .. أن توضع سوريا .. ومعها عرشه .. تحت الحماية والوصاية الامريكية .. ولكن الرئيسى الامريكى آنذاك « وودرو ويلسون » لم يكن مهتما بالمشروعات الاستعمارية .. فرفض عرض فيصل ..

وذهب فيصل للتفاهم مع فرنسا .. كما نصحته حليفته بريطانيا .. ويعلن قبوله لوضع سوريا تحت الحماية الفرنسية .. ولكن فرنسا .. التى كانت تعتبر فيصل .. « رجل بريطانيا » .. فى المنطقة .. رفضت التعامل معه .. واصرت على .. « ذهابه » ..

ويعود فيصل من باريس بعد مفاوضاته وجولاته فى مؤتمر الصلح .. إلى دمشق .. ليجد أخبار محاولاته التفاهم مع الاستعماريين قد سبقته إلى هناك .. وليجد ثورة وطنية سورية فى انتظاره .

وتزيد فرنسا تعقيد المشكلة بتوجيه إنذار إلى الملك فيصل .. ملك سوريا بالتسليم لفرنسا .. وتصر الجماهير الثائرة على ضرورة رفض الإنذار الفرنسى .. وتطالب فيصل بالالتزام بذلك .. ولكنه يقبل الإنذار .

واعتبرت فرنسا قبول الإنذار .. مناورة .. من فيصل البريطانى الهوية والهوى.. واعتبرته الجماهير .. خائنا لآمالها وتطلعاتها .. فوقع بين شقى الرحا .

وكان عليه ان يخرج من دمشق ..

ولكن الإنجليز لم يكونوا ليتركوا فيصل .. فقد أضير من فرنسا .. التى حسبته .. عليهم .. هذه واحدة .

والأخرى أن الثورة الوطنية فى العراق كانت فى أوجها .. وقد استخدمها الانجليز فى الضغط على تركيا أثناء الحرب ..كجزء من الثورة القومية العربية التى اشتعلت فى العالم العربى ككل .. أما اليوم .. وقد عقد النصر للحلفاء .. فلم يعودوا بحاجة إلى الثورة العراقية .. كما سبق واستغنوا عن الثورة السورية الوطنية .. فكان ضرب الثورة الوطنية العراقية .. ونفى زعيمها السيد طالب النقيب إلى الهند .. وكانت الحاجة إلى من يحكم العراق ..

فليكن إذن .. تعويض .. فيصل بن الحسين بن على .. بعرش العراق .. عن العرش السورى .. المفقود .

أما التقسيم الذى سبق وأن أعده الشريف حسين .. باعتباره ملك كل العرب .. والذى قضى فيه بأن يكون عرش العراق .. لابنه عبد الله .. وأخذت البيعة له فعلا على ذلك .. فقد ضرب به عرض الحائط .

وكان هذا سببا رئيسيا لغضبه الشريف حسين على الإنجليز وعلى ابنه فيصل معا ..

ولكن الذى كان أكثر غضبا منه هو ابنه .. عبد الله .. الذى .. « طار » .. منه عرش العراق .. فماذا كان منه ؟!

......

ثم ملكا .. على العراق

خرج فيصل بن الحسين .. الملك فيصل الأول .. من سوريا .. بعد أن حسم الخلاف فيها لصالح فرنسا بعد موقعة ميسلون الحربية الشهيرة عام ١٩٢٠ .. وتوجه إلى مدينة درعا .. ومنها إلى القاهرة .. ثم إلى أوروبا ..

ولم يمض فيصل وقتا طويلا فى أوروبا .. ففى ٢٩ يونيو ١٩٢١ .. أعاده الإنجليز إلى حيث يحتاجونه فى العراق .. ملكا عليها .. ولكنه عينه ظلت أبدا على الأراضى السورية .. محط أحلامه الأولى والكبيرة .. رغم عرش العراق .. الأوسع وسار فيصل بالأمور السياسية للعراق سيرا .. هادئا .. حكيما وأحدث .. توازنا .. بين مطالب الثوار .. والإنجليز المستعمرين .. واستقرت الأمور الداخلية كثيرا ..

وفى عام ١٩٢٤ وقعت بين العراق وانجلترا معاهدة مؤقتة .. تلتها معاهدة ١٩٣٢ التى اعترف للعراق .. بالاستقلال .. ودخلت العراق عضوا فى جمعية الأمم عام ١٩٣٢ .

وأعلنت انجلترا .. جلاء قواتها العسكرية .. عن العراق .. وبقيت الصداقة .. والود .. والاستقلال الاقتصادى .. أو بمعنى أدق .. الاستغلال الاقتصادى.. المتمثل فى النفط العراقى .

ذلك أنه فى مارس ١٩٢٥ منح الملك فيصل الأول للإنجليز امتياز النفط العراقى لمدة ٧٥ عاما .. وأقام له الأنجليز الافراح واحتفوا به حفاوة بالغة .. وهكذا ضمن الإنجليز بترول العراق .

ولكن بترول العراق وحدها لم يكن هو كل ما يطمعون إليه .. بل كانت أعينهم دائما على البترول السعودى .

وكيف السبيل للبترول السعودى .. والملك عبد العزيز آل سعود .. على عرش المملكة .. وهو بطبعه الشخصى .. وبتعاليم السلفيين التى يعتنقها .. يكره كل ما هو أجنبى .

ولكن السياسة الإنجليزية .. دائما .. لا تعدم الوسائل الموصلة لأغراضها ..

فليكن السبيل .. ملك .. مسلم ..

ليكن فيصل .. نعم .. فيصل بن الشريف حسين العدو التقليدى للملك عبد العزيز ..

والغريب أنهم اتخذوا من نقطة الخلاف والعداوة الرئيسية هذه .. ركيزة .. لتحرك الملك فيصل .. لاستمالة الملك عبد العزيز .

فلا شك أن الملك عبد العزيز .. بطبعه العربى .. لن يرفض التجاء عدوه السابق إليه ..

فبعث الملك فيصل إلى العاهل السعودى .. يتقرب إليه .. وتقبل العاهل السعودى هذا التعامل بصدر رحب ..

وفعلا التقى الملكان .. على ظهر باخرة فى الخليج العربى .. بعد أن كان كلاهما لا يعرف الآخر .. بل والأكثر من ذلك أنهما اتفقا على نسيان العداء القديم بين الهاشميين .. المهزومين .. المطرودين من شبه الجزيرة العربية .. وبين السعوديين الذين طردوهم ..

والأهم من ذلك أنه أشيع بعد هذا الاجتماع .. انه أسفر عن عرض من قبل الملك فيصل للعاهل السعودى بأن يقوم الإنجليز باستغلال البترول السعودى .. وأن الملك عبد العزيز .. قد وافق على ذلك .. من ناحية المبدأ .

ولم يمض طويلا على هذه الانباء .. حتى أعلن .. فجأة .. وفاة الملك فيصل الاول .. فى ٧ سبتمبر ١٩٣٣ .. فى مدينة برن .. العاصمة السويسرية .

خرج الملك فى نزهة فى سيارته الخاصة .. ثم عاد إلى الفندق .. وبعد ساعة واحدة .. مات .

وكان أول من اكتشف موت الملك فيصل هو مدير الفندق .. الذى مات

هو الآخر .. فى نفس اليوم !!

وترك موت الملك فيصل الأول تساؤلات كثيرة .. وعدة احتمالات .. كلها فى دائرة الإمكان .. السهل ..

هناك احتمال .. وهو الأضعف .. أن تكون ميتة طبيعية .. يدحضه احتمال أقوى أنه قتل ..

وهنا أيضا .. بالنسبة لمسألة اغتياله .. عدة احتمالات .. كلاها ممكن .. ومنطقى .

وأول هذه الاحتمالات .. وأضعفها أيضا .. أن الملك كان ضحية .. الوطنيين من أهل العراق .. الذين لم يعجبهم تسهيل الملك فيصل الأول استشراء النفوذ البريطانى العراقى .. واستغلالهم لمقدراته .

وثانى هذه الاحتمالات يشير إلى الاحتكارات البترولية الأمريكية .. التى لم يعجبها أن يسلم المللك فيصل الأول مكتشفات البترول فيما بين النهرين للإنجليز .. وحرمانهم منها .

وهناك سبب آخر .. من أقوى ما يمكن .. يبرز الاتجاه بالاتهام إلى هذه الاحتكارات الأمريكية ..

فاذا ما كان العامة والخاصة .. قد وصل إلي أسماعهم أن الملك فيصل ملك العراق .. قد حصل من الملك عبد العزيز آل سعود .. على موافقة .. مبدئية .. بأن تحل الاحتكارات الإنجليزية .. محل الاحتكارات الأمريكية .. في استغلال البترول السعودى .. فلا بد وأن ذلك .. بلغ علم الاحتكارات الأمريكية ..وأصبحت المسألة بالنسبة لها .. مسألة حياة .. أو موت ..

وإذا كان الملك فيصل هو السبب فى ذلك فليكن الانتقام منه .. علي الأقل حتى لا يواصل المسيرة .. وتصبح الموافقة .. المبدئية .. السعودية .. موافقه نهائية .. وتقع الكارثة .

وثالث الاحتمالات هو عكس هذا الثانى تماما .. وهو يشير إلى الاحتكارات البترولية الإنجليزية .. والتى بالرغم من حصولها من الملك فيصل على كل شئ .. فإنها .. لم تعط شيئا .. وبالتالى فقد شعرت باحتمال اتجاهه إلى محتكرى البترول الأمريكيين . فقامت بتصفيته .

وقد اتهمت إحدى الصحف الالمانية الإنجليز صراحة .. بدس السم .. للملك فيصل .. وقتله .

وأيا ما كان السبب والاحتمالات والدوافع .. وراء موت الملك فيصل الأول .. فإنه مما لا شك فيه .. أنه بغيابه عن الساحة .. فى هذا الوقت .. تكون بريطانيا .. قد فقدت رجلا من أكثر الرجال .. خدمة لأغراضها .. وملكا سياسيا .. محنكا .. يستطيع .. دائما .. أن يمسك العصا .. من منتصفها .. ليحل محله .. ابنه .. الملك غازى .. الوطنى .. المواجه .. شديد المراس .

......

الشهيد .. الملك غازى

بوفاة الملك فيصل الأول .. اعتلى ابنه وولى عهده .. العرش العراقى ..

وقصة الملك غازى .. شديدة القصر .. يمكن تلخيصها فى كلمات .. ملك وطنى .. قومى .. آمن بأمته العربية .. وناوأ أعداءها .. الإنجليز .. ولم يكتف .. كغيره من الملوك .. بأن يحلم .. بمستقبل عربى .. واحد .. أفضل .. بل حاول صنع هذا الحلم المأمول .. وتلك هى جريمته الكبرى .. التى دفع حياته ثمنا لها .. فكانت النتيجة أن تآمر عليه قادة كل التيارات السياسية .. خارجية ومحلية .. على تعدد انتماءاتهم .. واتجاهاتهم .. وارتباطاتهم .. اختلفوا فيما بينهم على أشياء كثيرة .. أو ربما .. على كل شىء .. ولكنهم اتفقوا فقط على محاربة هذا الملك .. الشاب .. المتطلع ..

اتفقوا على عزله من منصبه .. وازاحته عن السلطة .. فلما وجدوا أنهم .. جميعا .. أضعف من ذلك .. اتفقوا على إزاحته عن الدنيا كلها .. ليقتل .. غدرا ... وخسة .. ليلة ذكرى ميلاده .. السابع والعشرين .

ولنبدأ القصة .. من أولها ..

تخرج غازى من المدرسة العسكرية فى بغداد فى يوليو ١٩٣٢ .. ملازم ثان .. خيال .

وقرر والده تعيينه .. مرافقا له .. بهدف تدريبه على أساليب الادارة .. والتعامل مع مختلف القضايا السياسية والإدارية المتعلقة بالدولة .

وكان يسمح له بحضور معظم الاجتماعات التى تجرى على المستويات الإدارية والسياسية .. ومتابعة .. والاشتراك فى المناقشات التى تجرى بها .

وكان يصحبه فى سفراته إلى أقاليم العراق المختلفة لينمى معلوماته حول المناطق التى يزورها ، ويتعرف على مشاكلها ، ويحدث نوعا من الارتباط على الطبيعة .. بين الملك المقبل .. وبلاده ..

وكان أيضا يشركه فى مناورات مدرسة الأركان .. عملا على تنمية قدراته العسكرية .

أما على المستوى الثقافى .. فكان الأب معلما لابنه .. بشكل عملى .. حيث كان يطلب منه أن يقرأ له .. صباح كل يوم .. جزءا من أحد الكتب التاريخية .. ثم يطلب منه أن يلخصه له .

وفى هذا المجال أيضا .. كان لدى الأمير الشاب اشتراكا فى معظم المجلات والجرائد .. المحلية والعربية والأجنبية ..

وأخيرا قرر نقل .. مكتبة الديوان الملكى الكبيرة .. إلى مكتب الأمير غازى .

ثم كان .. التدريب العملى .. على ممارسة المهام الملكية فقد كان من رأى الملك فيصل أنه .. لابد للأمير من تجربة فعلية .. تصقل مداركه .. وتضعه وجها لوجه .. أمام قضايا مختلفة .. وتعطيه فرصة .. اختبار النفس .. فكان تعيين ولى العهد .. نائبا عن الملك .. أثناء غيابه فى السفرات الخارجية طيلة مدة غيابه .. على أن يتولى جميع حقوق الملك .. عدا اختيار رئيس الوزراء .

وهكذا كان الملك غازى مؤهلا للمنصب الذى اعتلاه .. وفى رأى الجميع .. أنه كان لا ينقصه .. شئ .. فى هذا المجال .

ولكن التاريخ .. له رأى آخر ..

يقول التاريخ .. إن الملك غازى كانت تنقصه أهم مؤهلات الحكم ومكناته .. فى ذلك الوقت .. وهى .. « القدرة على التفاهم مع المستعمر الإنجليزى .. والعمل تحت رايته » .

ويسجل التاريخ للملك غازى مواقف كثيرة .. تكفى كل منها منفردة لإثارة الانجليز ضده .. فكيف وقد فعلها جميعا .

انشأ الملك غازى .. إذاعة خاصة .. كوسيلة مباشرة للاتصال بجميع

أبناء الأمه العربية .. وبشكل خاص تماما .. للتعبير من خلالها عن آرائه ومواقفه ..

ولذلك فإنه كان يشرف بنفسه على البرامج المذاعة ، وكان فى بعض الأحيان .. يذيع بعض الفقرات بصوته .. دون ذكر اسمه .

تلك هى .. إذاعة قصر الزهور ..

وقصر الزهور هو .. القصر الملكى .. الذى كان يقيم فيه الملك غازى .. وقد أنشأ الملك إذاعته الخاصة بالقرب من محل إقامته لتكون تحت إشرافه المباشر .. ولإمكان التواجد بها فى كل وقت .. ثم سماها باسم قصره الملكى .

وقد أنشأ الملك هذه الإذاعة عام ١٩٣٦ فى البداية لتكون إذاعة تجريبية . تعمل بمثابة .. إذاعة احتياطية .. لمحطة الإذاعة الرئيسية فى بغداد .

وبدأت هذه الإذاعة بمحطة إرسال واحدة فى يونيو عام ١٩٣٧ .. وكانت تبث الأغانى والأخبار والروايات العالمية والمحاضرات العسكرية .. كما كانت تعيد بث بعض الفقرات التى قدمتها إذاعة بغداد الرئيسية .. ولم يكن لها طابع سياسى حتى ذلك الوقت .

وفى ديسمبر ١٩٣٧ اضيفت .. بأمر الملك .: محطة ثانية .. وأيضا أخرى ثالثة فى إبريل من العام التالى ١٩٣٨ .. وكانت قوة المحطة الاخيرة .. تعادل فوق المحطتين الأوليين مجتمعتين .. بل وأصبحت أقوى من محطة بغداد الرئيسية نفسها .. وبلغت أقصى قوتها عام ١٩٣٩ .. حيث أصبحت مسموعة بوضوح تام فى جميع البلدان العربية .

وقد ابتدأ الملك غازى منذ منتصف عام ١٩٣٨ فى تحويل محطة إذاعة قصر الزهور إلى منبر سياسى وطنى قومى عربى . لمناصرة القضايا العربية .

وأسلم إدارتها إلى نخبة من الوطنيين .. وأخذت تذيع أخبارا وقصائد وطنية حماسية .. ونداءات وطنية قومية .. متحرره من كل القيود .

وأدى تبنى الإذاعة للقضايا العربية إلى أن يستبشر العرب عموما

خيرا بالملك غازى .. ويؤمنون بوطنيته وروحة القومية .. وتعلقت به آمال القوميين العرب داخل العراق وخارجها .

وبذلك ساهمت هذه الإذاعة فى تأجيج بعض الحركات القومية .. التى صار العراق .. عراق الملك غازى محط آمالها .

وأثار هذا الدور الخطير الذى اضطلعت به إذاعة قصر الزهور أستياء الإنجليز .. إلى الحد الذى أدى بهم إلى الضغط على رؤساء الوزارات العراقية للحد من نشاطها .. بل والأكثر من ذلك .. تدخل السفير الانجليزى فى بغداد لدى الملك غازى مباشرة فى أمر هذه الإذاعة .. ولكن كل ذلك لم يفلح فى مجرد .. تخفيف لهجتها .. التى تستفز الإنجليز .

والواقع أن التأييد الشعبى الذى حظيت به .. إذاعة الملك .. بسبب شعور الناس بأنها تعكس حقيقة مشاعرهم تجاه القضايا القومية العربية .. هو الذى حال دون أن .. تجازف .. إحدى هذه الحكومات .. بالرغم من عمالتها الشديدة للإنجليز .. بتعطيلها .. فاستمرت .

ويسجل الاستعمار على الملك غازى أنه تجاوب مع التقارب الذى كانت تبديه ألمانيا .. نحو الشعوب العربية .. وأنه كنت له صلة ما بالزعيم النازى هتلر .

وفى خريف عام ١٩٣٧ التقى الملك غازى مع وزير الشباب الألمانى الذى كان يقوم بجولة فى دول الشرق الأوسط . وقبل دعوته لإرسال وفد من الشبيبة العراقية لزيارة ألمانيا .. وفعلا سافر هذا الوفد إلى المانيا فى أواخر أغسطس ١٩٣٨ ..

وقد أحدث خبر استقبال هتلر نفسه لهذا الوفد .. دويا هائلا .. على المستوى لمحلى .. وعلى مستوى المستعمر .

ولوحظ بعد هذه الزيارة أن علاقة الملك غازى بالوزير الألمانى المفوض فى بغداد .. أصبحت مستمرة ومضطردة بواسطة بعض العناصر القومية العراقية .

وأصبح أكثر ما يثير الإنجليز هو أن الغالبية الشعبية فى العراق ازداد أملها فى مساندة الألمان للقضايا القومية العربية ..ومعنى هذا ببساطة أن أى اتجاه رسمى عراقى نحو التعاون مع ألمانيا كان لابد وأن يحظى بتأييد شعبى واسع .. ومن هنا كانت إمكانية الملك غازى الخطيرة فى التأثير على الاتجاه السياسى العام فى العراق .. والخوف من أن يكون هذا الاتجاه نحو دول المحور (ألمانيا وإيطاليا) .

وهكذا أصبحت تصرفات الملك غازى السياسية .. محل ريبة .. من ناحية الإنجليز ..

حتى جاءهم ما يؤكد شكوكهم .

كانت انجلترا هى المشرف الفعلى على الجيش العراقى .. وكانت شديدة الحرص على أن تظل كفاءة هذا الجيش .. عددا وعدة .. فى نطاق تراه كافيا لإمكان « السيطرة عليه » .. وعدم تحوله إلى « جيش وطنى قوى » .

وفى نفس الوقت كان حرص الملك غازى على تحويل جيش العراق إلى « جيش وطنى قوى » .

فكيف ذلك .. وانجلترا .. هى مورد السلاح .. كما ونوعا .. وعن طريق ذلك يمكنها التحكم فى كل شئ .. عدد الأفراد المسلحين .. ونوعية تسليحهم .. ؟!

ليكن إذن .. كسر احتكار انجلترا لتسليح الجيش العراقى ..

ولكن من أين .. والدول الغربية ككل تتبع سياسة واحدة فى هذا المجال .. ولن يجد العراق من يمده بالسلاح على خلاف رغبة الانجليز .. ؟!

ليكن إذن الاتجاه إلى المعسكر الآخر .. إلى دول المحور .

وبحث الإنجليز عن كل النصوص فى معاهداتهم مع العراق .. وخاصة معاهدة ١٩٣٠ التى تلزم ملك العراق باستيفاء حاجة قواته المسلحة من انجلترا .. ليثيروها فى وجه الملك غازى .ولكن الملك يجد فى رئيس أركان

جيشه .. بكر صدقى .. من الوطنية القدر الذى يمكنه من الاعتماد عليه .. فى تدعيم الجيش الوطنى العراقى وتطويره .

وبالرغم من أن الملك غازى عقد فعلا بعض الصفقات المتفرقة مع بعض مصادر السلاح فى كل من ألمانيا وإيطاليا .. إلا أنه كان يرى أن ذلك غير كاف من وجهه نظره العسكرية الوطنية .. لأن يكون الجيش الذى يريده لبلاده .

ورتب الملك غازى مع رئيس أركانه الوطنى خطة للاتصال ..بالألمان من أجل بلوغ هذا الهدف .. وذلك بالسفر إلى ألمانيا .. تحت زعم دعوة رئيس الأركان العراقى بواسطة الحكومة الالمانية .. لحضور مناورات الجيش الألمانى .

وحتى يموه الملك على الإنجليز ويخدعهم .. حاول أن يقلل من أهمية زيارة بكر صدقى لألمانيا .. وتصويرها على أنها .. زيارة روتينية .. فكان التخطيط أن يسافر إلى تركيا أولا .. لحضور مناورات الجيش التركى .. على أساس أن يغادر تركيا إلى ألمانيا .. لنفس السبب .

وفى ألمانيا كان على بكر صدقى أن يتفاوض مع المسئولين بشأن الخطة .. التى يحملها فى حقيبته .. لتسليح وتطوير الجيش العراقى ..

ولكن الأمر اختلف .. فلم يذهب بكر صدقى إلى تركيا .. ولا إلى ألمانيا .. لأنه اغتيل فى الموصل يوم ١١ أغسطس عام ١٩٣٧ .. فى المطار .

وحاول الملك غازى .. وكل الأجهزة المعنية العثور على الحقيبة التى كان يحملها رئيس الاركان ساعة سفره حيث اغتيل .. ولكن كل جهودهم ذهبت أدراج الرياح .. لسبب بسيط جدا .. هو أن أحد مرافقى بكر صدقى .. كان قد استولى على الحقيبة .. التى شعر بأهميتها بعد مصرعه مباشرة .. وكشف ما بها من أسرار .. وسلمها .. إلى الانجليز .. إلى السفارة الإنجليزية فى بغداد .

ولم ينكر الإنجليز وصول الخطة السرية الهامة إليهم ، أما عن الدور الوطنى القومى للملك غازى .. فحدث ولا حرج وهو الشوكة الحقيقية فى حلق الاستعمار .

فـالملك غـازى .. ورث .. حب سوريا عـن أبيـه الملك فـيـصل الأول .. الذى اهتم فى أواخر أيامه بمساعدة السوريين على التمرد .. وتوحيد سوريا والعـراق .. حتى أصبحت إذاعة قصر الزهور .. صوت القوميين السـوريين فى نضـالـهم ضـد فـرنسـا ..ولكن الملك غـازى لم يكتف بالإذاعـة .. ولا بالمساعدات السرية التى كان يقدمها لسوريا .. بل تضمن خطابه فى افتتاح البرلمان العراقى عام ١٩٣٨ .. إن حكومته شاعرة بمسئوليات العراق كدولة فعالة فى مجموعة الدول العربية المكلفة بحفظ السلام والحضارة فى الشرق الأدنى وسواحل البحر الأبيض.. وأنها لهذا السبب تهتم اهتماما كبيرا بنجاح قضية سوريا .. وجعلها قادرة على تبوء مركزها كعضو فى هذه المجموعة .

وقد أثار هذا التصريح حفيظة الإنجليز ضد الملك غـازى .. على أساس أنه يوضح أن العراق يسعى بعزم لتوحيد الدول العربية .. واكتملت ثورتهم على الملك غازى بعد ذلك عندما حاول تسوية الخلافات العربية بإيجاد اتحاد عربى يضم .. سوريا .. فلسطين .. الأردن .. العـراق .. وأجرى اتصـالات مكثفة مع الملك عبد الله وغيره .. ولكن الإنجليز أفشلوا الفكرة .

وكـان مـؤدى كل مـا تقـدم .. أن يفكر الانجليـز فى التـخلص من الملك غازى .. خاصة إذا أضيف إلى ذلك عـامل آخر فى منتهى الخطورة .. وهو خوف الإنجليز من انحيازه إلى الألمان .. فى حالة نشوب الحرب .

حـاولوا أولا .. تحـجـيـمـه .. بواسطة عـمـلائهم من رؤسـاء الوزارات .. ولكن هؤلاء فشلوا .

ومن ثم جـاء دور دراسـة .. البـدائل .. أى من يمكن إحلاله فى الحكم مكان الملك غازى .

ونظرا للاعتقاد الراسخ لدى الانجليز بأن العراقيين لا يقبلون بغير أحد أعضاء الأسرة الهاشمية .. حاكما .. وأنه ليس فى العراق .. عائلات متميزة .. يمكن أن تظهر منها عـائلة مالـكة يمكن أن تستـقطب رضـاء وعـواطف الشـعب العـراقى .. ظل الاخـتـيـار .. والبـحث عن بديل للملك غـازى ..

محصورا فى الأسرة الهاشمية ..

كان هناك ثلاثة إخوة للملك الراحل فيصل الأول ..

الملك على .. الذى ولاه أبوه حكم الحجاز من بعده .. واضطر تحت الضغط السعودى للجوء إلى حيث فيصل ..وقد توفى .. وخرج من مجال الاختيار .

والثانى الأمير عبد الله أمير شرق الأردن .. ووجدوه غير مناسب لحكم بلد كبير كالعراق .. وإن اختياره كملك للعراق .. سيكون اختيارا غير مناسب .. وأنه من الصعوبة أن يقبل كحاكم للعراق .. من الوجهة السياسية .

والثالث كان الأخ غير الشقيق زيد .. ورأوا فيه أنه ذو طبيعة ذهنية .. مختلفة عن الآخرين .. فهو ذكى .. وأمه تركية .. وهو فى مظهره .. تركى أكثر منه عربى .. ساهم فى الثورة العربية خلال الحرب العالمية الأولى .

ووصفوه أيضا بأنه .. الوحيد من بين أعضاء الأسرة الهاشمية الذى حصل على ثناء الضباط الإنجليز الذين كانوا مع القوات العربية آنذاك .. ولكن ذلك لا ينفى أن له ميولا .. تركية .. وأنه تربى فى تركيا .. وله أملاك هناك .. ومن ثم فإنه من الصعب أن يكون مقبولا فى العراق ..

ثم كان هناك غير الأخوة .. عبد الإله .. ابن الملك على .. وهو شاب محبوب .. إلا أن استعداداته .. ضعيفة .. بالرغم من مؤهلاته الجيدة .. وأنه .. مرغوب .. من جانب عدد كبير من السياسيين العراقيين البارزين لأنه . جاد .. ونشيط بطبعه .. ولم يظهر عليه ما يسئ إلى شخصيته ..

وكان عبد الإله قد ولد فى مكة المكرمة .. وجاء إلى بغداد عام ١٩٢٦ وبصحبة والده الملك على .. وكان سنه آنذاك ٣ سنوات ..وارسل للدراسة فى مصر فى كلية فيكتوريا بالإسكندرية ثم انجلترا عام ١٩٣٢ .. إلا أنه لم يستطع البقاء طويلا هناك لشعوره بصعوبة الدراسة .. فعاد إلى بغداد ..

ليعيش كأحد أفراد العائلة المالكة .. على المخصصات الشهرية المقررة .. بالإضافة إلى المساعدات التى كانت تدفعها له .. شقيقته الملكة عالية .. زوجة الملك غازى .

وقد أدت صداقة عبد الإله لنورى السعيد .. رئيس وزراء العراق ورجل بريطانيا .. المخلص .. إلى أن يكسب .. سباق الثقة لدى الإنجليز .. وأن يصبح رجلهم للدور الأسود .. القادم على الساحة العراقية .

على أن دراسة استبدال الملك غازى بغيره أدت إلى قناعة الإنجليز باستحالة إمكان ذلك .. لأن أى إجراء ضد القصر .. سيتبعه بالضرورة .. سخط شعبى على من قام به .. بالاضافة إلى تكتل قوى المعارضة السياسية المناصرة للملك غازى فى مواجهته ..

وهو الأمر الذى لابد .. وأن يعيد الأوضاع فى العراق إلى ما كانت عليه .. خلال فترة وجيزة ..

ولن يكون لمثل هذا العمل سوى نتيجة واحدة .. هى زيادة عداء الملك للانجليز .. وزيادة سوء العلاقة بينهما .

ومن ثم كان لابد من إلغاء فكرة .. استبدال الملك .. ولكن فكرة .. استبعاده .. ظلت موجودة .

وفى يوم ٤ إبريل عام ١٩٣٩ ..فى الساعة التاسعة صباحا .. أعلنت وزارة نورى السعيد فى العراق .. نبأ وفاة .. الملك غازى ..

وأطلقت المدافع ٢٧ طلقة .. تمثل سنوات عهد الملك الراحل ..

وأذاعت الوزارة بيانا .. جاء فيه ..

« بمزيد من الحزن والألم ينعى مجلس الوزراء إلى الأمة العراقية انتقال المغفور له سيد شباب البلاد .. جلالة الملك غازى الأول إلى جوار ربه .. على إثر اصطدام السيارة التى كان يقودها بنفسه بالعمود الكهربائى الواقع فى منحدر قنطرة النهر .. بالقرب من قصر الحارثية .. فى الساعة الحادية عشرة والنصف من مساء أمس .. »

وكانت الوزارة قد رتبت أمورها .. قبل إذاعة هذا البيان .. فنقلت جثة الملك .. قبل بزوغ الفجر .. من قصر الزهور فى الحارثية إلى القصر الملكى فى منطقة الوزيرية .. ومنها تجرى مراسم تشييعه إلى المقبرة الملكية فى الأعظمية .. حيث يرقد والده الملك فيصل وعمه الملك على .

وأخذ الناس يتجمعون فى شوارع بغداد .. وإن هى إلا ساعات قليلة حتى غصت هذه الشوارع بالآلاف من داخل بغداد وخارجها .. بل ومن داخل العراق نفسه .. وخارجه .

وسرعان ما وزعت منشورات تقول .. « إن الملك لم يمت موتا طبيعيا .. وإنما اغتيل .. بتحريض من أعداء البلاد وهم الإنجليز .. وبتدبير من نورى السعيد » .

وسارت الجماهير الغاضبة تنشد أهازيج الحزن والانتقام .

واستطاعت الوزارة بما وفرته من قوة كافية أن تتم مراسم الجنازة وأن توارى الملك المقبرة صباح يوم ٥ إبريل .. وسط نواح الجماهير التى قدر عددها بحوالى مائة ألف نسمة .

كانت كل طرقات بغداد وميادينها مزدحمة بالمشيعين من الرجال ينوحون ويلطمون خدودهم ويقطعون شعورهم .. وهم يرددون القصة القائلة بأن الإنجليز دبروا قتل الملك .. وتلقى بينهم الخطب الحماسية التى تتهم الإنجليز بقتل « ملك العرب » ويتهمون نورى السعيد بتنفيذ اغتياله .. والمشيعون ينشدون .. « يا نورى .. أنت المسئول عن دم غازى » .

أما النساء فقد أصبن بحالة هستيرية بين الحزن الصامت والعويل وقد مزقن ثيابهن .. ولطخن رؤوسهن وصدورهن بالطين .

حتى رجال الجيش والشرطة الذين شاركوا فى الجنازة بصفتهم الرسمية .. هزمهم البكاء الشديد .

وفى الموصل هاجمت الجماهير الساخطة القنصلية البريطانية هناك وقتلت القنصل البريطانى .

أما نورى السعيد .. فقد حاول تجنب غضب الجماهير بالوصول إلى المقبرة الملكية .. بواسطة قارب نهرى .. ثم رجع من المكان بنفس الطريقة .

ولكن كيف مات الملك غازى ؟!

لقد أذاعت لجنة طبية مكونة من خمسة من كبار الأطباء .. بينهم طبيب الملك غازى الخاص .. « أن الملك غازى مات .. متأثرا من كسر شديد للغاية فى عظام الجمجمة .. وتمزق واسع فى المخ .. حصلت هذه الجروح نتيجة اصطدام سيارة صاحب الجلالة عندما كان يسوقها بنفسه بعمود كهرباء بالقرب من قصر الزهور .. الساعة الحادية عشرة والنصف .. ولم يسترجع شعوره حتى اللحظة الأخيرة » .وذكرت التقارير الرسمية تفاصيل الحادث على أساس أن الملك كان قد ترك مقر إذاعته الملاصق لقصر الزهور متوجها إلى دار استراحته الخاص بقصر الحارثية .. الذى يبعد مسافة كيلو متر .. واحد .. عند قصر الزهور .

وكانت يصحبه فى السيارة التى قادها بنفسه خادمه الخاص وملاحظ إذاعته .. حيث جلسا فى المقعد الخلفى .

ويقول التقرير « وما عرف عن الملك غازى من قيادة سريعة للسيارات .. فقد انحرف عن خط سيره عند محاولة اجتياز الانحناء الموجود فى الطريق .. وفقد السيطرة .. مما أدى إلى ارتطامه بأحد أعمدة الكهرباء الموجودة على الجانب الأيمن من الطريق .. فسقط العمود على رأسه .. مسببا وفاته .. بعد أن نقل إلى قصر الحارثية الذى كان أقرب مكان للحادث ... »

« وكان ارتطامه بالعمود حوالى الساعة الحادية عشرة والنصف .. وقد توفى الساعة الثانية عشرة وأربعين دقيقة .. »

هكذا تقول التقارير والبيانات الرسمية ..

أما شهادات المقربين المخلصين فتقول غير ذلك تماما .. وتقرر بوضوح كاف .. أن الملك قتل غدرا .. فى مؤامرة مدبرة .

يقول حارس الملك المرافق .. « أنا لم أصدق بأن السرعة كانت سببا فى وقوع الحادث .. ففى عصر اليوم نفسه .. كنت قد سألت جلالته .. وأنا معه فى السيارة .. نفسها .. ليس من عادتك يا سيدى أن تمشى بسرعة ثلاثين كيلو مترا ؟! .. لقد كان ملما بميكانيكية السيارات .. فأجابنى .. كما تعرف لقد دشنتها اليوم .. ولا يجوز أن أمشى بأكثر من هذه السرعة » .

وقال طبيب من استدعوا لفحص الملك بمجرد إصابته .. « بدأت بفحص الملك الذى كان فاقدا الوعى .. وإذا بيدى تغور فى مؤخرة رأسه .. وعندما سئلت عن رأيى أخبرتهم بأن من الواضح أنه مضروب بـ (هيم) من الخلف .. أدى إلى كسر الجمجمة .. وتمزق المخ .. وانه لن يعيش أكثر من دقائق معدودة » .

ويضيف .. « أما الأمير عبد الإله فقد حاول أن يقنعنى بأن أشهد أن الملك غازى .. فارق الحياة .. بعد أن أوصى له بأن يكون وصيا على ولده من بعده .. فرفضت ذلك » .

ويذكر طبيب الملك الخاص نفس الواقعة بأنه طلب منه « أن يعلن أن الملك قبل وفاته قد عبر عن رغبته .. بأن يتولى عبد الإله السلطة .. كوصى على العرش .. وأنه رفض » .

وغير هؤلاء كثيرون .

ولكن هناك شهادة دامغة .. تقول إن الأمير عبد الإله هو صاحب المؤامرة .. ولا يمكن بأى حال من الأحول أن يكون الملك غازى .. حتى بافتراض عكس الثابت ، وهو أنه لم يفق ولم ينطق بحرف واحد .. منذ الإصابة وحتى الوفاة .. لا يمكن أن يكون قد أوصى للأمير عبد الإله .. فهو يكرهه بشدة .. وذلك معلوم ومعروف للجميع .

وهذه الشهادة جاءت من الحارس المرافق للملك غازى يقول فيها بالنص

.. « لقد نقل الملك بعد وفاته إلى قصر الزهور .. حيث اجتمع الوزراء .. لإعلان الأمير فيصل بن غازى .. ملكا .. وتعيين وصى عليه .. »

« وقد صادف أن استمعت خلال ذلك إلى حديث كان يدور بين الملكة عالية وأخيها عبد الإله .. باللغة التركية التى أجيدها » .

« قالت الملكة لأخيها .. لماذا جعلت طفلى يتيما يا عبد الإله ؟ ».. « فأجابها عبد الإله .. اتركى هذا الموضوع الآن .. وعليك أن تشهدى .. بأنه قد أكد بأن أكون وصيا على فيصل من بعده . »

وتم كل شئ كما هو مخطط .. وأغلق ملف الملك غازى .

......

الوصاية

بمجرد إعلان وفاة الشهيد الملك غازى .. جرت ترتيبات الوصاية على العرش ..

الأمير عبد الإله .. وصيا .. والطفل الملك فيصل تحت الوصاية .

كان الملك فيصل قد ولد فى ٢ مايو عام ١٩٣٥ .. أى أنه كان على أبواب السنة الرابعة من عمره آنذاك .

ودرس فى كلية فيكتوريا بالإسكندرية ثم فى كلية هارو بانجلترا .. ليزامل فيها ابن عمه الملك حسين ملك الأردن .

وكانت فترة الوصاية .. هى فترة ملكية حقيقية بالنسبة للأمير عبد الإله ..

سيطر عل كل شئ .. وجه كل شئ ..

وبالنسبة للصغير .. كان فى ستار حديدى حقيقى .. من صنع خاله الأمير عبد الإله ..

إشراف كامل على كل شئ .. بدءا بما يأكل ويشرب وانتهاء بما يقول للناس .

ومر العراق فى فترة الوصاية بفترات عصيبة .. ولقى الكثير من الصعاب .

وانتهت الوصاية عندما بلغ الملك فيصل الثامنة عشرة من عمره .. فى ٢ مايو ١٩٥٣ .. فتولى مهمته الدستورية .

وللصدف الشديدة فهو نفس يوم تولية ابن عمه الملك حسين على عرش الأردن .

ولم يمهل الزمن الملك الصغير طويلا ..ففى يوم ١٥ يوليوو ١٩٥٨ .. كان المفروض أن يسافر الملك فيصل إلى استانبول .. لحضور اجتماعات

الدول الإسلامية الأربع فى حلف بغداد ..

وكان مقدرا أن يصحب معه فى هذه الزيارة .. رئيس وزرائه نورى السعيد .

وفى مطار استانبول احتشد ٤٠٠ ديبلوماسى .. ليكونوا فى شرف استقبال الملك القادم .. بينهم كبار الساسة الأتراك وأعضاء البعثات الديبلوماسية الأجنبية .. وكبار العسكريين ..

كما كانت هناك فرقة موسيقية عسكرية تركية .. وحرس شرف يصطف فعلا بالمطار .

ولكن انتظار القادمين طال ..

ثم جاءت الأخبار من إذاعة بغداد .. بأن الثورة العسكرية قد قامت فى بغداد .. يوم ١٤ يوليو .. وأنها قضت على الملكية فى العراق .

ووصلت برقية مفاجئة إلى المطار .. من وزارة الخارجية التركية .. الذى أعلن أنه لم يتلق إشارة بمغادرة طائرة الملك لبغداد ، فانصرف الحرس .. ونكست الأعلام .. وانصرف من ساحة الاستقبال .. من كانوا فى الانتظار ..وعلى رأسهم رئيس الجمهورية التركية ورئيس وزرائه ..

وأعلن فى بغداد أن الضباط الأحرار فى الجيش العراقى ..احتلوا صباح يوم ١٤ يوليو ١٩٥٨ قصر الزهور الذى كان يقيم فيه الملك فيصل كما احتلوا قصر الرحاب الذى كان يقيم فيه الأمير عبد الإله .. وكذلك القصر الذى كان يقيم فيه نورى السعيد .. وأيضا قصور كبار رجال الدولة .

وأنهم أيضا قبضوا على جميع السياسيين .. تمهيدا لمحاكمتهم .

وأذاع راديو بغداد بيان قيادة الثورة الذى أعلنت فيه أن جثة .. نورى السعيد .. دفنت فى منطقة أبى دبيب فى الساعة العاشرة مساء .

أما عن الملك فيصل ونائبه الأمير عبد الإله .. فقد أذيع أنهما كانا فى قصر الرحاب الخاص بالأمير .. عندما وجه إليهما أمر من قيادة الثورة

بالاستسلام .. ولكنهما رفضا .. وأمرا الحرس الملكى بإطلاق النار على القوات العسكرية التى كانت قد حاصرت القصر فعلا من الصباح الباكر .. وانهما .. قتلا .. رميا بالرصاص .. بيد أحد حراس الملك .

وقال الراديو إن الملك كان يقف إلى جوار خاله عندما دخل .. ضابط يمثل الثورة .. إلى القصر .. يحمل انذارا نهائيا إلى فيصل .. وكانا فى إحدى غرف القصر .

فلما دخل الضابط عليهما .. وصار بالقرب منهما حاول عبد الإله إخراج مسدسه .. لإطلاق الرصاص عليه .. ولكن أحد رجال الحرس الملكى .. الذى كان بالقرب منهما بادر ولى العهد بإطلاق الرصاص عليه .. فأرداه قتيلا فى الحال .. ثم سدد رصاصة أخرى إلى فيصل .. ليلقى مصرعه بنفس الطريقة .. إلى جوار خاله .

وفى صباح اليوم التالى أعلن راديو بغداد .. أن الشعب فتك بجثة عبد الإله .. وجرها فى شوارع بغداد .. وأن جثته معلقة أمام مبنى وزارة الدفاع .. ثم قال الراديو ..

« أيها الشعب العراقى .. أخرجوا إلى الشوارع لتروا .. «عدو الإله» الذى كان يحلق فوق رؤوسكم .. وكان يتآمر عليكم .. ويحيك المؤامرات ضدكم .. لقد جره الشعب العراقى .. جر الكلاب فى الشوارع .. وقضوا عليه .. وهم يأبون أن يسلموه .. إلا بعد أن يحيلوا جثته القذرة إلى هباء » .

وقد نفث الشعب العراقى بذلك عن كل الآلام الدفينة التى نتجت عن ممارسات .. الوصى عبد الإله ومن هنا كانت التسمية البشعة التى أطلقوها عليه ..

ففترة الوصاية التى تولاها كانت من أشق وأصعب سنوات المعاناة للشعب العراقى على المستويين الفردى .. والجماعى ..

على مستوى الشعب .. كان الحكم دمويا .. بكل ما تحمل الكلمة من معان ..

وعلى مستوى السياسه .. تحالف عبد الإله .. والسياسة العراقيين .. وعلي رأسهم .. نورى السعيد .. علي الشعب .. لتسير كل الأمور .. والسياسيات .. ضد كل مصالحه ..

وطبعا .. غير مسموح .. بمجرد الأعتراض .

ولذلك فبمجرد .. أن ظفرت الجماهير .. بجثث هؤلاء الطغاة .. قامت .. بسحلهم في الشوارع .. أي جر هذه الجثث على الأرض .. حتى تتمزق .. وتصير أشلاء ..

ومن المؤكد أنهم فعلوا ذلك .. بجثتى .. عبد الإله .. ونورى السعيد .. انتقام متأخر .. ولكنه كان من غير الممكن أن يكون قبل ذلك .

وطويت هذه الصفحة الدامية من التاريخ العراقى .. ومن تاريخ الأسرة الهاشمية .. بالنسبة لفرعها هذا الذى اتجه إلى الشمال .. سوريا ثم العراق .

وبقى الفرع الأردنى .. حتى اليوم .

......

الزوجة .. الخفية

ولعله من الغريب .. أن نجد فى حياة الملك فيصل الشاب قصة كتلك التى أثيرت أمام القضاء الأمريكى .. من امرأة اثبتت بعد فترة طويلة من مصرعه أنها كانت .. زوجة شرعية له .

والمرأة هى جنفييف أرنو .. فرنسية المولد .. أمريكية الجنسية .. أما أسباب إثارة القضية أمام القضاء فهو محاولة إثبات حقها فى تركة الملك .

وشرحت جنفييف أمام المحكمة قصتها مع الملك فيصل الثانى .. فقالت أنها التقت به لأول مرة فى إحدى المدن السويسرية يوم ٤ يناير ١٩٤٨ .

كان عمرها آنذاك ١٠ سنوات .. وكان عمره هو ١٣ عاما .

وكانت أم الملك حسين .. الملكة عالية .. تحتفل بعيد القديسة جنفييف .. ورأت الملكة الأم أن تبقى معها خلال الحفل تلك الفتاة .. سمية القديسة التى تحتفل بها .. .. وكان هناك الملك الفتى .. فى طريقه إلى كلية هارو للدراسة .. وكانت تحيطة هالة من المرافقين .. يرأسهم ضابط .. وبدأت قصة الحب بعد أسابيع قليلة من هذا اللقاء .

ثم افترقا لمدة تزيد عن ٤ سنوات .. ولكن الرسائل لم تنقطع بينهما ..

ومن أطرف ما يروى فى هذا الصدد .. أن هذه الخطابات الغرامية .. بين الملك وفتاته كانت .. بخط الضابط العراقى .. كأن يقول مثلا « جلالة الملك يريد أن يخبرك بأن مدينة هارو رائعة جدا » .. ومثال ذلك الكثير .

وكان اللقاء الثانى فى منزل أسرة جنفييف فى نيويورك .

فوجئت الأسرة ذات يوم بالقنصل العراقى فى نيويورك وهو يطرق بابها .. حاملا أمرا ملكيا .. قال لأم الفتاة .. جلالة الملك يريد مقابلة ابنتك ..

ولم تمانع الأم .. ولم يمانع الأب .

ويبدو أن الملك الشاب اتفق مع الأسرة المنبهرة به على بعض الأمور .. مما جعل الأب يرسل فى استدعاء ابنته من سويسرا حيث تدرس .وأقام والدها حفل استقبال للملك .. بمناسبة وجوده فى نيويورك ..

وكان لقاء جديدا بين الفتاة رائعة الجمال التى أصبح عمرها ١٥ عاما .. والملك الشاب ذو الـ ١٨ ربيعا .

وفى هذا الحفل فاتحها الملك فى الزواج .. الذى تم فى حفل بسيط .. سرى .. فى ولاية كونكيتكت الأمريكية وحضره الأمير عبد الإله .. وسفير العراق لدى الولايات المتحدة الأمريكية .. وشخصية أمريكية مرموقة .. هنرى كابوت لودج .. مندوب أمريكا الدائم فى الأمم المتحدة.

وافترقا مرة أخرى لمدة عامين .. عادت فيها العروس إلى مدرستها فى سويسرا .ولم تنقطع الرسائل بين العروسين المحبين .. وكان من الطبيعى أن تصبح أكثر حرارة .. ولكن .. وهو الأمر شديد الغرابة .. ظل الضابط العراقى نفسه .. يكتب الرسائل باسم الملك .. وبنفس الأسلوب .. حتى فى المسائل العاطفية .. كما جاء مثلا فى احدى الرسائل .. « إن جلالة الملك يريد أن يخبرك بأن فكره .. مشغول بك دائما » ..

وتقول جنفييف تعليقا على ذلك .. إنها تعرف أن الملك يعرف القراءة والكتابة .. لكنها تصورت أن هذه عادة عربية .. أن يتولى بعض الناس كتابة خطابات الملوك والأمراء .. حتى خطابتهم الغرامية .

وفى يوم ٢٢ يونيو ١٩٥٧ تم زفاف العروسين .. فى بغداد بعد أن اعتنقت العروس الدين الإسلامى .. لتقيم فى القصر الرخامى الذى أعده الملك فيصل .. بالقرب من القصر الملكى فى بغداد ليكون عشا للزوجية .

ولكن كانت صدمة العروس شديدة .. لعدم تفرغ الملك .. زوجها لها .. وأنه لم يكن فى استطاعتها مجرد التحدث إليه .. دون رقيب .

وقضى العروسان أول يومين بعد الزواج معا .. إلا أنها لاحظت أن هناك رقابة شديدة على زوجها الملك فيصل .. فلم يكن يسمح له .. حتى

بدخول الحمام بمفرده .. وكان خاله .. الأمير عبد الإله مسيطرا تماما عليه .

وكان الحل أن يقضيا شهر العسل .. بعيدا عن بغداد .. ووعدها الملك أن يقضياه فى فرنسا ..

وطلب منها أن تسبقه إلى هناك .. على أن يلحق هو بها .. فورا ..

ولكنه .. لم يلحق بها .

ثم عادت العروس لتتلقى صدمة أشد وأبشع .. عندما أعلنت الصحف نبأ خطبة الملك فيصل .. زوجها .. إلى فتاة أخرى .. سليلة العروش العربية .

فطارت من فرنسا إلى نيويورك .. لاجئة إلى أهلها ..

وعلى الفور سافرت والدتها إلى بغداد .. لاستطلاع الأمر .. والوقوف على الحقيقة .

وفى ذلك الوقت ازدادت الشائعات عن قرب اندلاع الثورة فى العراق .

ولحقت جنفييف بأمها فى بغداد ..لإقناعها بالعودة إلى نيويورك .. ولكنها مرضت هناك بشكل مفاجئ ومشبوه .. حتى أنها اعتقدت أنها تعرضت لمحاولة .. قتلها .. بالسم .. ولكنها شفيت .

وفى ٥ مارس ١٩٥٨ فوجئت برجال الشرطة يفتشون القصر .. وينهبون ما فيه .. من غال ورخيص .. بل استولوا على القصر نفسه .. وسجنت أمها فعلا .. بينما كانت هى .. شبه معتقلة .

وحاولت أن تغادر بغداد هى وأمها .. ولكن ذلك كان أمرا .. شبه مستحيل .. لولا أن تدخلت فى الأمر السفارتان الأمريكية والبريطانية فى بغداد .

وعادت العروسة إلى نيويورك مرة أخرى .. لتتلقى صدمة أبشع وأعنف من السابقتين ..

قامت الثورة فى العراق فى يونيو عام ١٩٥٨ .. وكان الملك فيصل ..

زوجها الشاب .. من بين ضحاياها الأول .

وأصيبت جنفييف بانهيار عصبى .. وأزمة نفسية لازمتها طويلا .

وتكمل جنفييف قصتها للقاضى الأمريكى .. فى محكمة .. تحقيق الوصايا ..

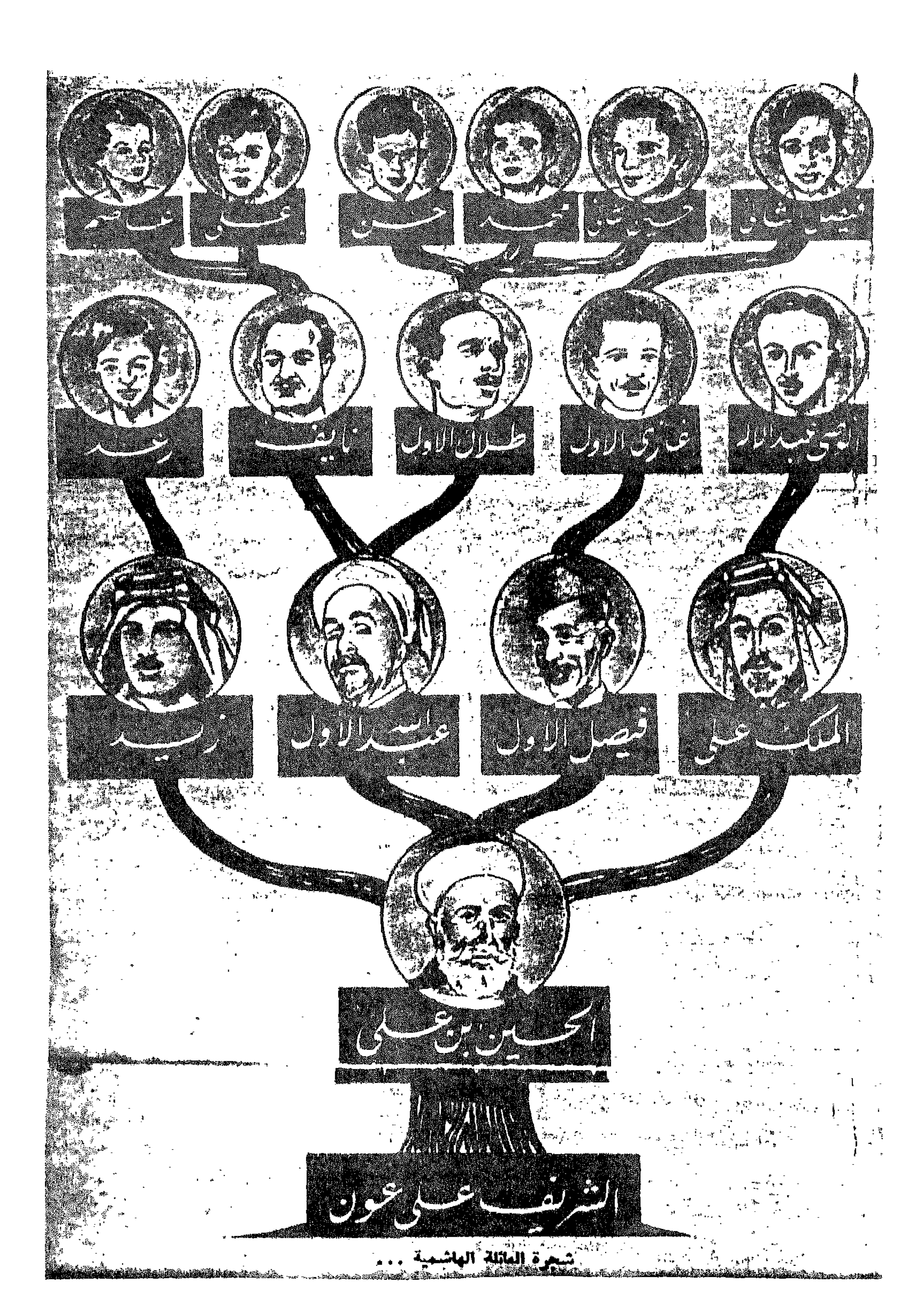
فقد شفيت من صدمتها .. وعادت إلى ديانتها المسيحية .. وقابلت الرجل الذى اقتنعت به زوجا عام ١٩٦٩ .. ورزقت منه بطفلين .. ويقيمون فى شقة متواضعة فى نيويورك .

ويقول الزوج .. « إننى لا أريد هذه الثروة .. التى قد تدمر سعادتنا .. »

أما هى فتقول .. « إننى لا أطلب كثيرا من العراق .. إننى أطلب ثروة زوجى .. وإذا لم أحصل على الثروة .. فستكون هذه هى إرادة الله .. كما يقول العرب » ..

وبعد أن اطلع القاضى على الوثائق التى قدمتها جنفييف .. وعلى صورها مع الملك فيصل .. أصدر حكمه بأنها .. زوجة شرعية للملك السابق فيصل الثانى .. وأن لها الحق فى أن ترث .. ربع ممتلكاته .. ثم تأكد هذا الحكم استئنافيا .

ونحن هنا لا يعنينا أمر التركة فى شئ .. ولكن يعنينا أن الحكم .. يثبت أنه كانت للملك فيصل الثانى .. زوجة خفية .



شجرة العائلة الهاشمية ...

مملكة .. شرق الأردن

ذهب الشريف عبد الله الأبن إلى أبيه الملك حسين بن على .. شريف مكة .. والذى أعلن نفسه .. ملك كل العرب .. وخليفة المسلمين .. ذهب إليه يطلب منه أن يسمح له بالتقدم إلى دمشق .. فاتحا لسوريا .. وطاردا للفرنسيين المحتلين منها .. والذين اعتدوا على .. الملك الهاشمى ..

وأيضا يطلب من والده .. إن هو نجح فى مهمته .. أن « يقطعه » .. عرش دمشق .. تعويضا له عن عرش بغداد .. الذى أعطاه الإنجليز لشقيقه .. فيصل .. بالرغم من انتظاره هو له طويلا .

وسمح له الوالد .. بما طلب .

ويصل الأبن المحارب برجاله القلائل .. إلى عمان .. ويقف هناك انتظارا لتطورات الأحداث .. لأن وزير المستعمرات البريطانى فى ذلك الوقت .. ونستون تشرشل .. كان يعقد مؤتمرا فى القاهرة .. « لرسم خريطة » .. منطقة النفوذ البريطانى فى الشرق الأوسط .. نهائيا .. وحسم جميع المشاكل المثارة والمتعلقة بهذا الأمر .

ويقول لورنس .. مهندس الاستعمار البريطانى فى المنطقة فى هذا الوقت .. فى مذكراته بالنص .. «أنه خطرت له فكرة .. إعطاء .. «شئ» .. للأمير عبد الله .. حتى يسكت عن شقيقه فيصل .. ولا يشهر به .. لأنه خانه وأخذ عرش العراق الذى كان موعودا هو به .. وحتى يسكت عن إثارة أية متاعب .. للاحتلال الفرنسى فى سوريا .. خصوصا وأن فرنسا .. قد تتصور .. أن بريطانيا تقوم بدور المحرض » .

« وأصدر تشرشل قراره بأن يصبح .. الأمير عبد الله بن حسين بن على « أميرا » .. « حيث هو الآن » .. أى أميرا على عمان عام ١٩٢١ .

وكان ونستون تشرشل قد قابل الملك عبد الله .. عندما لم يكن أكثر من أمير عربى .. بلا وطن ولا حكم .. وذلك فى القدس عام ١٩٢٠ وكان قد جاء إلى القدس بصفته وزيرا للمستعمرات البريطانية .. ليشرف على تنفيذ السياسة الاستعمارية والمخطط المعد لتقسيم الوطن العربى .

وهكذا نشأت .. « إمـارة شرق الأردن » ..« المملكة الأردنية الهاشمية » .. فيما بعد .

وقال تشرشل بعد قراره هذا .. لقد خلقت لبريطانيا .. « جاراجا » .. فى الشرق الأوسط ، وقد ظل اختصاص هذه الإمارة المكانى قاصرا على الضفة الشرقية لنهر الأردن منذ إنشائها حتى قام مجلس الأمة الأردنى والذى يضم ممثلين من ضفتى نهر الأردن الشرقية والغربية باتخاذ قرار ضم الضفتين فى عام ١٩٥٠ فى وحدة تامة بينهما ..

وكان لقب عبد الله بن الحسين بن على .. أمير «إمارة شرق الأردن» .. فصار لقبه .. الملك عبد الله بن الحسين .. ملك المملكة الأردنية الهاشمية.

......

الملك عبد الله بن الحسين

ولد الملك عبد الله فى مكة المكرمة .. إبان حكم والده الشريف حسين لها .. عام ١٨٨٢ .

وتولى الملك عبد الله حكم « إمارة شرق الأردن » .. بعد فصلها هى وفلسطين عن سوريا .. بعد الحرب العالمية الأولى .. كما سبق إيضاحه .. عام ١٩٢٠ .

وظل لقبه الأمير عبد اله .. حتى كان عام ١٩٤٦ حين ضم الضفة الغربية لنهر الأردن .. وهى جزء من فلسطين .. إلى بلاده ..

وكان رعاياه يخاطبونه بلقب .. سيدنا .. وقليل منهم كان يلقبه .. صاحب الجلالة .. أو مولانا .. أما البدو فكانوا ينادونه باسمه مجردا .. عبد الله .

والذى لا يعرفه إلا قلة من الناس .. أن الملك عبد الله كان يحمل لقب .. مارشال .. فى سلاح الجو البريطانى .

وكان للملك عبد الله زوجتان .. الأولى هى الملكة « شريفة » ابنة عمه .. ووالدة ابنه طلال .. والثانية تركية وهى أم الأمير نايف .

وقد شهدت «الأردن» منذ إنشائها .. صراعات عنيفة وقلاقل شديدة ..

ثار الشعب فى المسالط .. وبعدها فى جبال عجلون .. ثم فى عمان نفسها .. وكانت الدبابات البريطانية دائما .. فى عون الملك عبد الله .. للقضاء عليها .

وفى عام ١٩٣٦ كان شرق الأردن مصدرا رئيسيا لتدفق الثوار من جميع الوطن العربى لمشاركة الشعب الفلسطينى فى ثورته .. رغم أنف الملك عبد الله .. والإنجليز .

ثم كانت كارثة العرب الكبرى فى حرب ١٩٤٨ .. وكان الملك

عبد الله .. قائدا للجيوش العربية المحاربة فى فلسطين .. حين اتفق كل الملوك العرب .. على نشوب الحرب .. واتهم الملك عبد الله باتهامات مباشرة .. وصريحة .. وصلت إلى درجة مواجهته بمقابلات تمت بينه وبين قادة العصابات الصهيونية .. واتفاقات غير معلنة بينه وبينهم .. وبين الإنجليز كطرف ثالث .. على تسهيل قيام الدولة الصهيونية .. على أرض فلسطين العربية .. وذكرت وقائع كثيرة .. عن تسهيلات عسكرية .. لمساعدة الصهيونية على احتلال الأراضى العربية .

وأخيرا .. كان مقتل الملك عبد الله .

......

اغتيال

ولندع الملك حسين .. ملك الأردن .. يصف لنا .. تلك الواقعة الشهيرة .. لاغتيال جده .

ومن المعروف أن الملك عبد الله كان دائما ما يصطحب معه حفيده .. الأمير حسين .. أينما ذهب ..

فقد كان يتولى أموره بشكل مباشر .. حتى أنه كان يقوم بالتدريس له في كثير من الأحيان .. والأشراف على أساتذته ومعلميه .

وكان يشركه فى كثير من اجتماعاته السياسية .. وجولاته فى أقاليم المملكة .. حتى يتعرف على كيفية تصريف الأمور .. والممارسات السياسية .

ومن بين هذه الرحلات والجولات كانت زيارة القدس هذه ، والتى اغتيل فيها الملك عبد الله .. بواسطة الشاب الفلسطينى .. مصطفى شكرى عشو .. والذى كان ينتمى إلى « الجهاد المقدس » .. الذى كان يقوده الشهيد عبد القادر الحسينى .. والذى كان الملك عبد الله قد أعلن حله عندما دخلت الجيوش العربية أرض فلسطين فى ١٥ مايو ١٩٤٨ .. باعتبار أن هذه الجيوش .. سوف تتولى .. الجهاد .. بدلا منه .

وقد تمت هذه الزيارة الملكية للقدس .. فى جو شديد الاضطراب .. وكان الملك فى القدس .. يوم الجمعة ٢٠ يوليو سنة ١٩٥١ .

وإلى هنا وندع الكلام .. للملك حسين .

كان الملك عبد الله فى التاسعة والستين من عمره .. فى غاية الصحة .. وكان قد اعتزم زيارة القدس .. وجاءه السفير الأمريكى فى عمان ليهمس فى أذنه ..

« إن لدينا معلومات خطيرة تدل على أن هناك مؤامرة .. لاغتيالك .. أثناء زيارتك للقدس .. فهل أستطيع أن أقنعك بإلغاء هذه

الزيارة .. ؟ أرجوك يا صاحب الجلالة .. أن تعدل عن السفر إلى القدس».

نظر إليه جدى نظرة عميقة ثم قال له ..

« أشكرك على أنك أبلغتنى هذه الأخبار .. إننى سأذهب إلى القدس حتى ولو كان ما قلته .. صحيحا .. لأن حياتى تخص شعبى .. ونحن نؤمن بأننا إذا كنا سنموت .. فإن الله قد كتب علينا ذلك .. » .

ولم يكن ذهابى مع جدى واردا على الإطلاق .. إلا أنه استدعانى .. وأخبرنى أن كثيرا من الأصدقاء اعتذروا عن مرافقته .. بإصرار .. وسألنى:

ـ ألا تريد يابنى أن ترافقنى ؟

فأجبته بسرعة .

ـ سأكون يا سيدى مسرورا إلى حد كبير .. إن حياتك أغلى بكثير من حياتى .

ويمضى الملك حسين فى روايته لتفاصيل حادث الاغتيال .

ذهبنا إلى القدس معا .. ومررنا فى طريقنا بنابلس .. حيث توافد الزوار ..

وأنا لا أزال أتذكر بوضوح الكلمات التى قالها جدى للزوار الذين جاءونا قبل قيامنا للقدس :

« إن الحياة والموت لا أهمية كبيرة لهما .. إننى إذا قدر على أن أموت .. فأنا أتمنى أن تكون وفاتى برصاصة .. فى رأسى .. لأن الموت سيكون سريعا .. »

بعد هذه الكلمات نظر جدى فى ساعته .. ثم قام يريد الذهاب لأداء صلاة الجمعة فى المسجد الأقصى .. ولكنه كان على موعد مع الموت ..

وعندما حان الموعد كانت سيارة تنتظر لتنقلنا إلى الجامع . فصعدنا

إليها ، حيث جلست إلى جوار جدى .

وعلى جانبى الطريق كنت أرى مجموعات من الجنود المدججين بجميع أنواع الأسلحة .. يقفون على استعداد تام .. فقد اتخذ المسئولون كافة الاحتياطات لكى يكون سيدنا آمنا .

وعندما وصل الموكب الملكى عند باب المدينة القديمة ترجلنا من السيارة .. وسرنا على أقدامنا نقصد المسجد .. بين صفين من الجنود .. الذين كان عددهم كبيرا بحيث سألت أحد الضباط الذى كان يمشى معنا :

- لماذا تجمع كل هؤلاء الجنود ؟ .. هل تستعدون للقيام بعرض عسكرى .. ؟

ويصف الملك حسين المشهد ..

كان جدى يمشى فى المقدمة .. وكنت أسير على يمينه .. متأخرا خطوتين .. أراه وهو يميل على الأصدقاء الذين يمشون فى الموكب .. يتبادل وإياهم بعض الكلمات على طول الطريق إلى الجامع .. إلى أن لاحت لنا بوابة المسجد الكبيرة بأبوابها المفتوحة .. فدخلناها حيث اصطف حرس الشرف الذين قدموا التحية الرسمية للموكب ..

دخلنا البوابة .. وتقدم جدى داخل المسجد .. وأنا وراءه .. وبالكاد سار عدة خطوات .. حتى فوجئت برجل يبرز .. من خلف البوابة الكبيرة داخل المسجد .. يحمل فى يده مسدسا .. كانت حالته غير طبيعية .. وعيناه زائغتان .. وقد أمسك المسدس .. بقبضة .. مرتعشة .. وصوبه نحونا .. وقبل أن يستطيع أى منا أن يتدارك الأمر .. كان المسدس ينطلق .. وصوت الرصاص يتعالى .. ويصيب جدى .. الذى كان على مسافة مترين فقط من القاتل .. فأصيب فى رأسه وانطرح على الأرض فورا .

جعلتنى الحالة التى سيطرت على عاجزا عن الحركة .. وبالقرب من قدمى .. كان يرقد « جثمان جدى » .. الذى تمدد على الأرض بدون حراك .

إلا أن القاتل .. سرعان ما استفاق لنفسه .. واستدار يحاول الهرب .. فانطلقت وراءه .. أريد القبض عليه .. وكنت أثناء محاولتى هذه .. انظر بطرف عينى .. فرأيت « كافة الأصدقاء » .. الذين دخلوا المسجد معنا .. « يحاولون الفرار » .. من كل جهة .. يبدو الهلع والخوف الحقيقى على وجوههم المليئة بالذعر .. لقد انطبعت صورة هؤلاء الأشخاص فى ذهنى إلى الأبد .. مع صورة القاتل .. ولم تفارقنى أبدا .. فقد كانت دليلا واضحا .. على النفاق والمجاملة السياسية ..

ويستمر الملك حسين يروى كيف نجا هو شخصيا .. بمعجزة حقيقية من الاغتيال فى نفس ذلك الوقت .

كنت أجرى بسرعة .. وراء القاتل .. الذى يفتش عن مهرب يخرج منه .. وسط طلقات الرصاص .. التى انهالت عليه من الحرس .. إلى أن وجد نفسه .. محاصرا فى أحد أركان المسجد .. فما كان منه إلا أن استدار فجأة .. وواجهنى .. بوجهه المتشنج .. الذى تنضح منه قطرات العرق ..

ونظرت فى عينيه اللامعتين .. وهو يصوب المسدس .. نحوى ..

كنت كمن يعيش فى كابوس .. عندما نظرت إلى فوهة المسدس السوداء .. وهى تتجه إلى .. ثم لمحت على الأثر سحابة خفيفة من الدخان .. تنطلق من فوهة ذلك المسدس .. وسمعت صوت انطلاق الرصاصة التى أصابتنى .. فى صدرى .. فأحسست بصدمة .. هزت كيانى .. وتساءلت بينى وبين نفسى : هل هذا هو .. الموت ؟

وانتظرت لحظات .. لأشعر بالموت ينساب فى جسدى .. ولكنى .. بقيت واقفا .

لقد كانت معجزة حقا .. لأن الرصاصة التى انطلقت .. وأصابتنى فى صدرى .. ضربت أحد النياشين المعدنية .. التى كنت أحملها على صدر ثوبى العسكرى .. فطاشت دون أن تترك فى جسدي .. أى أذى .

وشكرت جدى كثيرا .. على أنه طلب منى .. أن ارتدى ثوبى

العسكرى .. قبل أن نقوم بهذه الزيارة .. وشكرته أكثر وأكثر لأنه هو الذى منحنى وسام « الكوكب » الذى كنت أحمله على صدرى واصطدمت به الرصاصة.

بقيت بضع لحظات متسمرا فى مكانى .. أنظر إلى القاتل .. الذى ما لبث أن .. تهاوى على الأرض .. مصابا بعدة طلقات من رجال الحرس ..

ثم رجعت إلى حيث كان جدى يرقد على الأرض .. فأنحنيت عليه .. محاولا أن أعرف مقدار إصابته .

نظرت إلى الطبيب الذى كان منحنيا على جدى يفحص حالته .. وبحثت فى عينيه .. عن أية بارقة أمل ..فى إعادة الحياة إلى جدى .. ولكنه للأسف .. كان كل شئ قد انتهى .

فغطينا الجثة بالثوب الطويل الأبيض الذى كان يرتديه عند دخوله الجامع .. ثم لففنا الجثمان بسجادة من المسجد .. حملناه بها إلى حيث سيارة الإسعاف التى تنتظر لنقله إلى المستشفى .

وعندما حاولت أن أبقى بجانبه .. منعنى الطبيب بكلمات لطيفة .. ثم مالبث أن أعطانى حقنة .. أعطت تأثيرها بعد عدة دقائق .. بحيث جعلتنى استغرق فى نوم عميق .. لم استفق منه .. إلا وأنا فى طريقى إلى المطار .

وعدت إلى عمان ... وحدى .

......

الملك طلال

بعد مقتل الملك عبد الله نودى بإبنه الأمير طلال ملكا على الأردن .. فى ٥ سبتمبر ١٩٥١ .

وقد ولد الملك فى مكة المكرمة سنة ١٩١٠ .. أثناء حكم جده الشريف حسين للحجاز .

وانتقل بصحبة والده إلى الأردن .. عندما اسندت إليه إمارة شرق الأردن .. حيث واصل دراسته الثانوية .

ثم التحق بعد ذلك بكلية « هارو » العسكرية البريطانية .. لمدة ثلاثة أعوام .. حيث تخرج منها عام ١٩٣٠ .

ثم ألحق بفرقة المدفعية المدرسية العسكرية فى العراق .. ليخرج منها عام ١٩٣٢ .. يعمل ضابطا بالجيش العراقى .. برتبة ملازم ثان .. أشتهر منذ صغره بنزعته الوطنية القوية ..

وكان له موقف وطنى .. حسب عليه بعد ذلك بقية عمره . ففى عام ١٩٣٦ عندما حدثت الثورة الفلسطينية على الأوضاع التى كانت سائدة هناك .. وتجمع الشباب العربى المتحمس لمشاركة الثائرين الفلسطينيين .. كانت الأردن هى الممر الطبيعى .. والأسهل .. أمام هؤلاء .. وهنا صدرت الأوامر .. الإنجليزية .. يمنع دخول أحد للأراضى الفلسطينية .. لا من أبناء فلسطين .. ولا من غيرهم .

وهنا أمر الأمير طلال .. حين ذلك .. بالغاء هذا القرار الانجليزى .. ولما رفض طلبه .. هدد بتزعم الثورة بنفسه .. وتحت هذا التهديد .. الذى يعلمون أنه قابل للتنفيذ فعلا .. خضع الإنجليز .. وألغوا أوامرهم السابقة .

ولم يكن الخلاف قاصرا على الإنجليز .. بل كانت العلاقات بين الأمير طلال ووالده الملك عبد الله يسودها الكثير من التوتر .. على مدى

طويل .. وكان الملك عبد الله لا يخفى استياءه .. وعدم رضاه عن ولده وولى عهده طلال .. بل كان هذا الأمر معلنا .. ومعروفا .. لدى العامة والخاصة .. ومسببا لكثير من الآلام النفسية للأمير الشاب .

وقد انعكست هذه العلاقة السيئة .. بين الملك .. وولى عهده .. على حياة الأمير المعيشية ..

فالملك حسين نفسه .. فى أكثر من موقع ..يذكر أنه نشأ فى أسرة .. متواضعة .. تفتقر إلى كثير من المقومات الأساسية للمعيشة .. حتى أنه كانت له شقيقة صغيرة .. ماتت بداء الرئة .. لأن الأسرة لم يكن لديها الإمكانية المادية لعلاجها .

ويذكر الملك حسين .. أن أمه الملكة زين .. باعت آخر قطعة من حليها الشخصى .. لتشترى له لعبة على شكل « دب » كان يتوق إلى اقتنائها .. وقد رآها فى مقتنيات ابن عمه فيصل .. الذى كان يعيش فى بحبوحة من العيش .

ويذكر أيضا أنه يوما تلقى هدية من ابن عمه فيصل .. عبارة عن « دراجة » ..ويصف مدى ألمه عندما اضطرت الأسرة لبيعها .. للضرورة الملحة .

وكانت أسرة الأمير طلال تعيش فى بيت صغير متواضع .. على الجبل .. لا تزيد غرفه عن عدد أصابع اليد الواحدة ..

وكل هذه الأمور كانت لا تليق بحياة ولى العهد ..

ولكنها جناية .. الوطنية .. والاتجاهات العربية .. المخلصة المتحمسة .

وعندما توفى الملك عبد الله .. كان الأمير طلال ولى عهده تحت العلاج فى المستشفيات « العقلية » هنا وهناك .

وبالرغم من أن الأمير كان كثيرا ما يتولى مسئولية الحكم كاملة .. كنائب للملك .. فى تلك الفترات التى كان الملك عبد الله فيها خارج

المملكة .. إلا أن العرش الأردنى وضع تحت وصاية .. الأمير نايف .. الأخ غير الشقيق للأمير طلال ..

ومن غريب الأمور التى تستوقف النظر .. أن الأمير نايف هو الآخر .. لم يكن يحظى بالرضاء الكامل لوالده الملك عبد الله .. والذى كان يرى فى ابنه أنه .. لا يكون موجودا .. ابدا .. فى ذلك الوقت الذى يجب أن يكون موجودا فيه .

ولعل هذه المواقف من الملك عبد الله تجاه الأميرين طلال ونايف .. تفسر احتضانه لحفيده الملك حسين .. الذى كان يرى فيه أنه يصلح لتولى المسئولية .. خيرا من والده وعمه .. فكان يتولى معظم أمور حفيده بنفسه .. ويقوم على تدريبه على تحمل مسئوليات الحكم .

وقد سرت شائعات كثيرة عن تطلع الأمير نايف لعزل أخيه الملك طلال .. متعللا بمرضه .. ولكن الأمير نايف نفسه نفى ذلك بشدة .. بقولته القاطعة .. « لا يمكن أن أنازع أخى فى حق هو له .. » .

على أن المنافس الطبيعى للأمير نايف .. كان الأمير حسين ابن الأمير طلال .. والذى كانت كفته ترجح كفة عمه كثيرا .. والذى كانت سنه لم تزل تحول دون تحمله عبء الملك مباشرة .. والذى يروى .. هو نفسه .. قصة هذه الواقعة على الصفحات التالية .

وفعلا عندما تم إقصاء الملك طلال عن عرش الأردن .. كان القرار الملازم لقرار الإقصاء .. هو القرار بتولية الملك حسين .. فى ١١ أغسطس ١٩٥٢ .. على أن يتسلم المسئولية .. عندما يبلغ الثامنة عشرة ..

ولعله من الغريب أن نذكر أن أول قرار .. بمرض الملك طلال .. كان قرارا ديبلوماسيا ...

......

مريض .. بقرار ديبلوماسى

فى عام ١٩٥١ .. تقرر عقد اجتماع لمجلس جامعة الدول العربية فى العاصمة السورية دمشق .

وقد كانت النية لدى الحكومة الأردنية .. أن تتجاهل هذا الاجتماع تماما .. أو ذرا للرماد فى العيون .. تشارك فيه .. عن بعد .. بأن توفد سفيرها فى لبنان لحضوره .

وكان الملك عبد الله قد غادر البلاد قبل بعض الوقت فى إحدى سفراته .. وتولى الحكم الأمير طلال .. نائبا عن الملك .

وعندما علم نائب الملك بنوايا حكومة بلاده .. استدعى رئيس وزرائه .. سمير الرفاعى .. وقال له إنه لايجوز أن تتصرف شرق الأردن مثل هذا التصرف .. الذى قد يؤول على أنه تخلف عن التضامن العربى مع سائر الدول العربية ضد العدوان اليهودى ..

فكان جواب رئيس الوزراء .. أن الأمر قد تقرر .. وانتهى فغضب الأمير طلال .. وقال .. « إننى نائب الملك .. وأنا الآمر هنا .. أذهب بنفسك إلى اجتماعات مجلس الجامعة .. وبصحبتك وزير الخارجية » .

وأبدى رئيس الوزراء دلائل الرفض للأمر .. فلم يكن من الأمير طلال إلا أن أمسكه بيديه .. وأخذ يهزه بشده .. ثم دفعه نحو الحائط .. قائلا .. « لقد أمرت .. ويجب أن تنفذ ما أمرك به .. »

وغادر رئيس الوزراء القصر الملكى .. ليس إلى دمشق .. ولكن إلى دار المعتمد البريطانى فى الأردن ..

وروى له ما حدث .

وفى الحال ذهب المعتمد البريطانى إلى القصر الملكى وطلب مقابلة الأمير طلال ..

فاستقبله الأمير .. بشديد من الجفاء .. وبادره بقوله .. « إننى أعرف السبب الذى جئت من أجله .. وأعرف ماذا تريد أن تقول .. إننا نعيش فى مملكة مستقلة .. ويهمنى أن ألفت نظرك إلى أمر يجب أن تفهمه جيدا تماما .. وهو أنك وزير مفوض لحكومتك فى بلادنا .. ولا يحق لك التدخل فى شئون مملكتنا الخاصة .. أنا لا أسمح لك بالتدخل .. حتى ولا بإبداء الرأى .. أغرب عن وجهى .. » .

وخرج المعتمد البريطانى منفعلا ..

وكان الرد .. قرار .. ديبلوماسى .. سياسى .. وليس طبى .. بأن الأمير مريض نفسيا .

وجاءت طائرة .. بريطانية .. تحمل الأمير .. المريض .. إلى بيروت .. ثم إلى مستشفيات نفسية وعقلية كثيرة .. حتى مات فى إحداها فى اسطنبول .. فى ٨ يوليو ١٩٧٢ .. وأعيدت جثته .. لدفنه فى عمان .

......

احضر .. يا صاحب الجلالة

يقول الملك حسين .. فى أحد الأيام جاءتنى رسالة من والدتى تطلب منى فيها أن أذهب إليها فى العطلة الدراسية المقبلة إلى سويسرا حيث كانت تقضى الصيف .. وذلك لأمر هام ..

ولم يكن واردا عندى أن أذهب إلى سويسرا .. إلا أننى شعرت بأن شيئا ما يحدث فى بلادى وأن على أن أوافى عائلتى بسرعة .. فقد كنت أشعر بحب شديد لعائلتى .. وخاصة والدى .. الذى كان مريضا .. وكذلك كنت مشتاقا لسماع أنباء وطنى .

إلا أننى من ناحية أخرى كنت أتخوف من نتائج هذا اللقاء العائلى .. فقد كنت أتوقع أنباء غير سارة عن حالة والدى الصحية .. والاحتمالات التى تتبع ذلك .. لأننى كنت أشعر بأننى لا أزال من سن لا تسمح لى بأن أتحمل مسئولية الحكم .. وأن أخدم بلادى بالطريقة المناسبة .. خاصة وأننى كنت قد رأيت من رجال البلاط شيئا من اللامسئولية والنفاق .. أثناء حادثة اغتيال جدى الملك عبد الله .

وأخيرا جاءت العطلة .

وسافرت فورا إلى لوزان بسويسرا .. ونزلت فى فندق يوريفاج الذى يجثم على شاطئ بحيرة ليبان الجميلة .. حيث كانت والدتى وإخوتى ينتظروننى .. وكان لقاء رائعا مليئا بالسعادة والهناء .. وكانت أيامنا الأولى فى هذه المدينة جميلة جدا .

وبالرغم من الحديث المطمئن عن صحة والدى ..إلا أننى كنت أشعر بأن شيئا ما لا يسير فى عمان على ما يرام .. وأكدت لى الأيام صحة ذلك الشعور .

كنا لم نزل فى شهر أغسطس .. وكان الصيف فى تلك الزاوية من سويسرا جميلا ومليئا بالهدوء .

وفى صباح يوم ١٢ اغسطس ١٩٥٢ .. كنت أجلس فى شرفة غرفتى أطالع منظر البحيرة الرائع .. وحيدا .. لأن والدتى كانت قد ذهبت إلى السوق مع إخوتى لشراء بعض الأغراض .

وفجأة سمعت طرقا على باب الغرفة .. فقمت .. متثاقلا .. وفتحت الباب لأجد أمامى أحد الخدم .. يمد يده .. برسالة مستعجلة .. وتناولتها منه .. وقرأت العنوان .. وكان ذلك كافيا بالنسبة لى لكى أعرف محتواها تقريبا .. دون أن اضطر لفتحها وقراءتها .. كان العنوان مكتوبا على الشكل التالى .. « صاحب الجلالة .. الملك حسين » ..

كانت هذه هى المرة الأولى التى أحمل فيها هذا اللقب ...

مزقت الغلاف .. وتلوت الرسالة بقلب واجف .

كانت موجهة من رئيس وزراء الأردن .. ومكتوبة بأسلوب ديبلوماسى .. فى كثير من البرودة .. البروتوكولية .. حيث أعلن فيها بأنه يأسف كثيرا لإخبارى .. بأن والدى .. الملك طلال .. قد أزيح .. رسميا .. عن العرش .. وأننى أصبحت بذلك .. ملكا على الأردن .. وقد اتخذ هذا القرار من قبل .. مجلس الوزراء والبرلمان .

وطلب رئيس مجلس الوزراء فى نهاية الرسالة .. بأن أعود إلى عمان .. بسرعة كليه .. لكى أستلم سلطاتى هناك .

وداعا لكلية هارو .. ووداعا لحياتى كطالب .

ونترك مذكرات الملك حسين قليلا لنوضح أنه كانت قد جرت فى اليوم السابق مباشرة .. يوم ١١ أغسطس عام ١٩٥٢ اجتماعات وإجراءات أنتهت بإعلان .. خلع .. الملك طلال عن العرش .. وإحلال ابنه .. وولى عهده حسين .. محله على العرش .

ونعود إلى مذكرات الملك حسين ..

فى الحقيقة أن الكفاح الذى قام به والدى كان عظيما .. والشجاعة

التى أظهرها فى نضاله ضد المرض اللعين كانت رائعة .. كان يكافح ويناضل .. ليس من أجل استعادة صحته فقط .. بل من أجل وطنه .. لأنه كان يعلم تماما بأن شعبه ووطنه .. لم يزل بحاجة إليه .. ولكن كل ذلك لم يكن ذا فائدة .. فقد تغلب عليه المرض .

ورجعت إلى نفسى .. وأدركت بأن واجبى الأول كان يحتم على أن أعود إلى الأردن .. لأكون بجانب والدى .. فقد كان ابتعادى آلاف الأميال عن عمان يجعلنى لا أشعر .. بحقيقة الأحداث .. التى جرت هناك ..

وفعلا اطلعت مؤخرا على حقيقة ما جرى فى يوم ١١ أغسطس فى عمان .

كانت العائلة كلها مقتنعة تماما بأن مرض والدى .. سوف يقعد به عن متابعة القيام بمهامه .. كما يجب .. وبأن حالته الصحية .. التى تنهار شيئا فشيئا .. سوف .. لن تسمح له .. بأن يستمر .. فى حكم الأردن مدة كافية .. لأن مرض « الشيزوفرانيا » الذى أصيب به .. كان خطيرا إلى حد ما .

إلا أننى بالرغم من ذلك .. كنت أحاول أن أستمر فى التفاؤل والأمل .. بأن تحصل .. « معجزة » ما .. تعيد والدى إلى حالته الطبيعية .. لأننى كنت .. على يقين .. بأن وجوده على العرش .. كان ضروريا فى ذلك الوقت .. لأنه كان محبوبا من المواطنين كثيرا .. كما كان يتمتع بشعبية عارمة .

وكان والدى شخصيا يعلم بأن .. حالته خطيرة .. ولذلك فإنه قبل أن يستلم مقاليد الحكم فى الأردن .. وجه إلى رئيس الوزراء رسالة جاء فيها .. « إننى قد عدت إلى بلادى .. وسأضع نفسى .. بإخلاص تام .. تحت تصرفكم » .

إلا أن الأمور .. كانت تزيد سوءا إلى حد أن .. مجلس الأعيان .. ومجلس النواب .. قد عقدا فى يوم ١١ اغسطس ١٩٥٢ اجتماعا

مشتركا .. طويلا .. مغلقا .. استمر لمدة عشر ساعات .. من أجل .. البحث فى حالة والدى الصحية ..

وخرج رئيس الوزراء فى ذلك الوقت .. توفيق أبو الهدى باشا .. ليعلن .. إثر هذا الاجتماع .. بأن والدى .. لم يعد .. فى حالة تسمح له .. بأن يستمر فى حكم البلاد .

وقد اتخذ المجلسان هذا القرار .. بعد الاطلاع على التقارير الطبية الكثيرة .. التي وقعها عدد من الأطباء الأجانب والأطباء الأردنيين .. وكلها كانت تدل .. بوضوح .. على أن والدى قد أصبح .. عاجزا .. عن القيان بمهام منصبه بشكل كامل .

وقد استند مجلسا الأعيان والنواب فى قرارهما هذا على المادة الصريحة التى وردت فى الدستور .. والتى تنص على أنه إذا كانت حالة الملك الصحية .. لا تسمح له بممارسة سلطاته الكاملة .. فإن على مجلس الوزراء .. أن يطلع المجلسين على تطورات حالة الملك .. أولا بأول .. فإذا زادت حالة الملك سوءا .. حل للبرلمان فى أن يقوم .. بنقل الحكم إلى الوريث .

وكان ذلك ما حدث تماما .. واتخذ البرلمان قراره .. بالأغلبية .. بوضع حد نهائى .. لحكم والدى .. وبانتقال الحكم إلىّ .. وهكذا .. أصبحت ملكا .

ويكمل الملك حسين ..

طرت إلى عمان ..

كانت أمسية حارة .. وعدد كبير من الرسميين جاء إلى المطار لاستقبالى .. واستعرضت حرس الشرف .. وواضعا يدى بجانبى .. كما يفعل قادة الأردن الكبار .

كان هذا هو الاستقبال الرسمى عقب عودتى إلى الأردن .. وكنت أفكر وأنا فى طريقى لركوب السيارة .. « هل هكذا ستكون الاستقبالات دائما .. نعم .. لقد أصبحت .. ملكا .. »

الملك حسين بن طلال

ولد الملك حسين فى عمان فى ١٤ نوفمبر عام ١٩٣٥ ، ودرس فى المدارس الأهلية الأردنية ، ثم أتم دراسته الثانوية فى كلية ڤيكتوريا بالإسكندرية ، ثم التحق عام ١٩٥٠ بكلية هارو بوبلك فى انجلترا .. ثم التحق فى ٩ سبتمبر ١٩٥٢ بأكاديمية ساند هيرست الملكية العسكرية فى انجلترا .. حيث تلقى العلوم العسكرية ، وكان قد نودى به ملكا بالفعل على المملكة الأردنية الهاشمية .

وبعد خلع الملك طلال بن عبد الله عن العرش الأردنى نودى بالملك حسين ملكا على الأردن فى ١١ اغسطس عام ١٩٥٢ وكان فى سن السابعة عشرة ، وقد عين بجانبه مجلس للوصاية على العرش حتى أكمل سن الثامنة عشرة .. فى ٢ مايو ١٩٥٣ تسلم سلطاته الدستورية .

١٩ إبريل عام ١٩٥٥ تزوج الملك حسين من زوجته الأولى إبنة عمه .. الشريفة دينا عبد الحميد .. التى ظلت ملكة على عرش الأردن ١٨ شهراً فقط حيث طلقها الملك عام ١٩٥٧ .. وأثمر الزواج الأميرة علياء عام ١٩٥٦ .

وفى عام ١٩٦١ تعرف الملك حسين على الفتاة الانجليزية .. انطوانيت افريل جاردنر .. ليتزوج منها فى ٢٥ مايو من نفس العام .. رغم المعارضة الشديدة .. والضغط الهائل من المحيطين به .. وكان عمرها آنذاك ١٩ عاما .. واعتنقت الاسلام تحت اسم .. منى الحسين .. ولكن الملك حسين وضع شروطا هامة فى عقد زواجه منها .. وهى أنها .. لن يكون لها أية مرتبة شخصية فى البلاط الملكى الأردنى .. ولن تكون .. ملكة .

ولكن الزوجة الملكية حصلت على لقب .. أميرة .. بعد أن أنجبت للملك حسين ابنه الأول الأمير عبد الله فى يناير ١٩٦٢ .

ثم أنجب الملك حسين منها بعد ذلك فيصل عام ١٩٦٣ ثم التوأم عائشة وزين عام ١٩٦٨ .

وفى ديسمبر عام ١٩٧٢ طلق الملك حسين زوجته الانجليزية منى .. التى فضلت أن تعيش فى عمان لترعى أولادها الذين وافق الملك على استمرار حضانتها لهم .. واحتفاظها بلقب أميرة .. ولم يمض على هذا الطلاق سوى أربعة أيام فقط إلا وأعلن زواج الملك حسين من زوجته الثالثة الملكة علياء بهاء الدين طوقان .. فى ٢٧ ديسمبر عام ١٩٧٢ .

وكانت الملكة علياء من مواليد القاهرة .. ٢٥ ديسمبر ١٩٤٨ .. ودرست فى جامعة ليولا بروما ، ثم درست العلوم السياسية وعلم النفس الاجتماعى فى جامعة نيويورك .

وكان والدها سفيرا للأردن فى مصر .. ثم عين رئيسا لوفد الأردن فى الأمم المتحدة .

وقد لاقى زواج الملك حسين من الملكة علياء مقاومة عنيفة من الأسرة المالكة الأردنية .. خاصة والدته الملكة زين .. خشية أن تأتى الزوجة الجديدة .. بوريث للعرش الأردنى .. حتى أن الملكة الأم تركت عمان كلها .. يوم الزواج .

وقد يسأل سائل .. وما العيب فى ذلك ؟ .

فيكون الجواب أن ذلك يعنى انتقال العرش الأردنى بشكل أو آخر إلى الفلسطينيين .. الأعداء التقليديين للملك حسين .. فإن الزوجة الجديدة تنتمى لأسرة طوقان من نابلس فى فلسطين .

ومع ذلك تم الزواج .. وأثمر بنتا .. هيا عام ١٩٧٤ .. وأبنا .. على عام ١٩٧٥ .

وفى ٩ فبراير ١٩٧٧ كانت الملكة علياء فى رحلة داخلية بطائرة هليوكوبتر عسكرية .. إلى مدينة الطفيلة فى جنوب الأردن . وعلى بعد

٢٣٠ كيلو مترا من عمان العاصمة .. وذلك لتفقد حالته المرض والمستشفيات بهذه المدينة .

وفى رحلة العودة ضربت عاصفة هوجاء الطائرة لتسقط .. بمن فيها ٪. وتتوفى .. الملكة علياء الحسين .

فى ١٥ يونيو ١٩٧٨ تزوج الملك حسين من زوجته الرابعة والحالية نور الحسين .. وهى أمريكية الجنسية فى الأصل .

وأنجب الملك من الملكة نور حمزة عام ١٩٨١ ، هاشم ١٩٨٢ ، إيمان ١٩٨٤ وريا ١٩٨٧ .

وقبل أن نذكر أى شئ عن الملك حسين .. نورد فيما يلى .. حكاية صغيرة .. يحب هو نفسه أن يرددها .. كثيرا .. وهى أنه .. فى محاولة منه لمعرفة شعبه .. عمل سائقا على سيارة أجرة .

......

صاحب الجلالة .. سائق التاكسى

تجربة شخصية للملك حسين ملك الأردن يرويها .. بنفسه .. عن نفسه .. فى بداية عهده بالحكم .

فى أحد الأيام .. كنت وحدى فى القصر .. وأخذت أفكر .. كيف يمكن معرفة رأى الناس ؟ ..

وجاءتنى فكرة أن أتخفى .. وأندس بين الناس .. ولكن كيف ؟

وأخيرا وجدتها .. ولكنى لم أخبر أحدا بها .. فأنا لا أريد الرأى الرسمى لهذه الفكرة .. لقد قررت أن أعمل .. سائق تاكسى !!

وضعت على رأسى « شيماخ » حمراء ، وهو غطاء الرأس الشائع فى هذه المنطقة من العالم العربى ، وربطتها جيدا على رأسى وجزء من وجهى .. وأصبح من المتعذر معرفة شخصيتى .

وخرجت من القصر .. أقود سيارة فورد خضراء .. بأرقام تاكسى .. وذلك فى الساعة الثامنة مساء .. وعدت بعد منتصف الليل ..

وأثناء غيابى كان الجميع يعتقدون أننى أقرأ فى مكتبى .

ولقد قدت سيارتى التاكسى على طريق الزرقاء ـ عمان لمدة يومين .

ولقد تعلمت الكثير من هذه التجربة .. فإن الناس تتحدث فى التاكسى .. كأن السائق غير موجود .. تماما ..

وأجاد الملك حسين تسيير الأمور .. داخليا .. وخارجيا .. وأحدث توازنا بين المعارضين والمؤيدين .. والقوى السياسية المختلفة .

وسارت الأردن .. فوق الصعاب ..

حتى بعد أن فقدت شطرها الهام .. الضفة الغربية .. والتى احتلها الإسرائيليون فى حرب ١٩٦٧ ..

وحتى بعد أن كان الملك حسين شريكا فى كارثة العرب فى اغسطس ١٩٩٠ .. التى قام فيها صدام باحتلال دولة الكويت .. وبسببها فقد الملك حسين .. البقية الباقية من التأييد العربى .. والدعم الذى كانت تعيش الأردن عليه من الدول العربية النفطية .

ولكن الملك حسين تعرض خلال مدة حكمه الطويلة .. لعشرات من محاولات الاغتيال ..

من وضع الحامض القاتل فى الدواء الذى يشربه .. وتعرض سيارته الشخصية التى يقودها بنفسه لعشرات من حوادث الاصطدام .. وتعرض الطائرة التى يقودها بنفسه لهجوم طائرات مقاتلة .. عشرات وعشرات المرات ..

ولكن الأخطر كان دائما صدامه مع الفلسطينيين .. وقد شهدت هذه العلاقات صدامات مروعة .. عام ١٩٥٧ ، ١٩٥٨ ، ١٩٦٧ وكلها مرت ..

على أن أخطر هذه الصدامات كان عام ١٩٧٠ .

......

أيلول الأسود

ففى يوم ١٠ يونيو سنة ١٩٧٠ تعرض موكب الملك حسين .. لمنعه من المرور بالقوة .. بواسطة قوة فدائية فلسطينية .. كان الملك متوجها إلى عمان .. وفى طريق السويلة .. قطع عليه الفدائيون الطريق .

ونشب قتال عنيف بين الحكومة الأردنية والمنظمات الفدائية .. وحدث اشتباك عنيف فى الزرقا كانت حصيلته ٤٩ قتيلا وجريحا .. وتم انتشاره بصوره سريعة ليمتد إلى أهم أحياء عمان التجارية والدبلوماسية .. التى شهدت صدامات خطيرة .. وضواحى عمان أيضا .. وحول المؤسسات العامة .. وبعض المناطق المتفرقة .. الآهلة بالسكان ..

وتصاعد القتال بشدة .. وجرى استخدام الدبابات والمدفعية الثقيلة .. ومدافع الهاون .. والصواريخ .. من الجانبين .

وأقيمت المتاريس فى أهم الشوارع ..

وكان يتم تبادل الضرب من نوافذ العمارات وأسطحها .

وباختصار فقد تحولت عمان كلها .. ومعسكرات اللاجئين إلى ميدان لمعركة حربية كبرى .

واتصل ياسرعرفات بالملك حسين .. وأعرب عن استنكاره .. الكبير ..وأسفه العميق .. لحادث الاعتداء .. الذى تعرض له موكب الملك .

وعقدت اجتماعات بين الجانبين .. اشترك فيها الملك حسين شخصيا .. وتمت تصفية المسألة .. وانتهت المشكلة .

وفى ٢ سبتمبر (أيلول الأسود) من نفس العام أى بعد حوالى ثلاثة أشهر من هذا الصدام .. جرى الصدام الأكبر .. والأعنف .

كانت الساعة الخامسة وأربعين دقيقة .. بتوقيت عمان .. وكان الملك حسين فى طريقه إلى مطار عمان المدنى .. لاستقبال ابنته الأميرة عالية ..

وقرب تقاطع السكة الحديد مع عين غزال .. اطلق مسلحون النار .. على موكب الملك .. الذى نجا من الحادث .

وانفجر قتال .. « وحشي » .. بين القوات المسلحة الأردنية .. والفدائيين الفلسطينيين .

بدأت الاشتباكات فى منطقة المطار .. وامتد لهيبها ليشمل عمان كلها .. وظلت الاشتباكات الرهيبة حتى منتصف الليل ..

وأعلنت مصادر الفدائيين أن .. مدفعية القصور الملكية الأردنية .. ومناطق الجيش .. فتحت نيرانها بغزارة .. على الفور .. فى كافة الاتجاهات .. على جميع معسكرات الفدائيين .. فى قصف مباشر .. وأنها « تدك » هذه المعسكرات .. وأن الفدائيين يتعرضون لعملية .. إبادة .. حقيقية .. منظمة .. فى محاولة من الحكومة الأردنية .. لضرب العمل الفدائى الفلسطينى .. وتصفية .. الفدائيين ..

وبعد منتصف الليل .. أذاع راديو عمان بيانا صادرا عن رياسة مجلس الوزراء الأردنى .. أكدت فيه الحكومة للشعب الأردنى والأمة العربية .. أن الوضع فى الأردن .. وفى عمان بالذات .. تحت السيطرة الكاملة ..

وأكد البيان أن الحياة فى العاصمة الأردنية قد بدأت تعود إلى .. هدوئها وطبيعتها ..

وذكر البيان ان أية .. إشاعات .. عن قيام السلطات الأردنية .. بضرب العمل الفدائى .. أو عزمها عى تصفيته .. هى ادعاءات باطلة من أساسها .

وجرت اتصالات مباشرة بين عمان وأغلب العواصم العربية .. كانت كل هذه العواصم .. تتحدث لغة واحدة .. وتطلب طلبا واحدا فقط .. وقف المذابح .. ضد الفدائيين ..

وكانت عمان ترد ردا واحدا .. أن كل ما أذيع ويذاع .. عن صدام

أردنى / فلسطينى .. لا يعدو أن يكون اشاعات مفرضة .. يراد بها الإساءة لنظام الحكم فى الأردن .. وإفساد العلاقات الحميمة بين الشعبين .. المتوحدين .. فى الأردن وفلسطين .

وطار ياسر عرفات إلى هنا وإلى هناك .. يصرخ .. ويستصرخ الامم العربية للعمل على .. الحفاظ على البقية .. الباقية .. من الفدائيين .. بعد أن أجهزت القوات المسلحة الأردنية خاصة المدفعية .. والدبابات والحرس الملكى الأردنى (جيش البدو) وهو عالى التسليح الجيد .. على المخيمات الفلسطينية فى الأردن بمن فيها من شيوخ ونساء وأطفال ..والأهم الشباب الفلسطينى الذى يحمل السلاح .. للمقاومة .

كل هذا والإصرار الأردنى قائم .. على أنه لا صدام .. ولا مذابح .. ولا حتى خلاف بين الحكومة الأردنية .. وضيفها .. العمل الفدائى الفلسطينى .

وفى النهاية .. انقشع الضباب الذى كان مخيما على كل الأجواء العربية .. واتضحت حقيقة الأنباء .. ووضع السلاح بين الأردن والفدائيين الفلسطينيين .

لتقول أكثر التقديرات تفاؤلا .. ان الفلسطينيين دفعوا .. ثمن مواجهتهم مع الملك حسين .. ثمنا .. باهظا .. هو ٥٠ ألف قتيل فلسطينى .

واليوم .. الملك حسين .. هو آخر ملوك الأسرة الهاشمية .. ويحكم الأردن منذ حوالى ٤٢ سنة .. ومازالت لديه .. الكثير من التطلعات .. أقربها .. عرش العراق .

......

الحلم الأخير

عندما قامت ثورة يوليو ١٩٥٨ فى العراق بتصفية كل من الملك فيصل بن غازى .. فيصل الثانى .. والأمير عبد الإله .. الذى كان وصيا على العرش العراقى .. فإنها بذلك انهت فرعين من فروع الأسرة الهاشمية .

فالملك فيصل الثانى كان آخر ملوك الفرع الهاشمى الذى أوله الملك فيصل الأول ابن الشريف حسين .

والأمير عبد الإله هو نجل الملك على بن الشريف حسين .

وبذلك انتهى هذان الفرعان .

أما الفرع الرابع من هذه الأسرة والذى يبدأ بزيد ابن الشريف حسين فلم يبرز أصلا على ساحة الحكم .. كما سبق أن أوضحنا .

يبقى إذن على الساحة السياسية الفرع الهاشمى الذى يبدأ بالملك عبد الله بن الحسين .. ملك الأردن الأسبق .. والذى تتمثل صورته حاليا فى الملك حسين بن طلال ملك الأردن الحالى .. وأخويه الأميرين محمد وحسن.

وتوالت الثورات على العراق حتى آل الحكم إلى الرئيس الحالى .. صدام حسين .. الذى قاد العراق والعرب جميعا إلى كارثة الصدام .. العربى/ العربى .. باجتياحه الكويت بقواته .. واندحار هذه القوات ..وفرض الحظر الاقتصادى على العراق .. على أمل أن يتحرك الشعب العراقى.. الضحية .. تحت ضغط الحاجة والحرمان .. إلى إزاحة صدام حسين عن موقعه .. وهو الأمر الذى أصبح واضحا أن الحظر .. لن يرفع .. إلا به .

وكثر الكلام عن قرب .. نهاية صدام .. بل وكثر الكلام عن احتمالات .. هروبه .. وظهرت على السطح مسألة ..خلافة صدام .. وهنا يبرز الدور الهاشمى .

فقد ظهر فجأة من يدعى .. الشريف .. على بن الحسين .. ليدعو

عام ١٩٩٣ إلى استعادة الملكية فى العراق .. ورشح نفسه لتولى الأمر .

ولكن طعن عليه أنه درس الاقتصاد فقط .. وعمل فى البنوك .. وأنه ليست لديه القدرة على عمل أى شئ آخر .. ويفتقر إلى الكثير من .. أوراق اللعبة السياسية .. ثم إنه .. ابن خالة الملك فيصل الثانى .. أى قرابته من ناحية الأم فقط .. وهذا لا يدعم مطالبته بالعرش .. خاصة فى وجود الملك حسين .. ابن عم الملك فيصل .

والحقيقة أن الملك حسين لم يتخل مطلقا عن أحلامه .. بوراثة العرش العراقى .. وكان كثيرا ما يتحدث إلى أصدقائه وأصفيائه .. عن حلم.. استعادة العرش العراقى إلى أحضان الهاشميين .. الذى أصبح هو شخصيا .. ممثلهم الوحيد .. الباقى على الساحة السياسية .

وظل هذا الحديث .. خافتا .. لا يتعدى الخاصة .. حتى كان أزمة العراق الأخيرة .. فصار الملك حسين يتحدث علانية وبصراحة .. عن تحقيق الحلم الهاشمى .. بحكم العراق .. باعتباره حقا مشروعا .

ودعا الملك حسين فى خطاب علنى مؤخرا .. « إلى ضرورة العمل على نحو عاجل .. من أجل تغيير الأوضاع الراهنة فى بغداد .. كى يخرج العراق من الظلام إلى النور .. والحفاظ على مصالح .. «شعبنا بالعراق» .

وأنه .. « أزيلت » .. « الغشاوة عن عينيه .. كى يرى حقيقة الأوضاع البائسة .. التى أحاقت بالعراق .. منذ أن سقط عنه حكم الهاشميين .. عندما قامت ثورة العراق .. » .

واتسع نطاق تحقيق الحلم الملكى .. بدخول أطراف أخرى .

ففى لندن قامت حركة التحرير العراقية .. بإصدار بيان بالدعوة إلى .. « إعلان الملك حسين ملكا شرعيا على العراق والأردن .. لتعود مملكة هاشمية .. موحدة .. تضم شعبا واحدا .. وجيشا وعلما واحدا » .. « وأن العراق الممزق حاليا يحتاج إلى الملك حسين .. لقيادته .. بدلا من النظام المتداعى » .

وأوضح البيان ذاته .. « أن تولى الملك حسين عرش الأردن والعراق معا .. سيفتح صفحة جديدة من تاريخ المنطقة .. ويحقق التقدم والازدهار للبلدين » .

وفى نفس الوقت .. ذكرت صحيفة الجارديان البريطانية .. « أن أطرافا عديدة بالمنطقة .. مثل إيران وسوريا وحتى السعودية ..لن ترحب بأن .. يجمع الملك حسين بين عرش الأردن والعراق » .

على أن الأخطر فى كل ما قيل وكتب عن هذا الموضوع .. هو ما ذكرته صحيفة الاستقلال الأسبوعية الإيرانية .. الناطقة باسم حركة الجهاد الإسلامية .. وهو يعنى بوضوح كامل .. أن الملك حسين قد بدأ يتصرف على أساس أنه قد حقق حلمه .. بوراثة عرش العراق .

تقول الصحيفة .. « نقلا عن مصادر مطلعة فى إيران أن الملك حسين عاهل الأردن .. وجه رسالة ضمنية للقادة الإيرانيين .. تعهد فيها .. باحترام اتفاقية الحدود .. الموقعة بين الرئيس العراقى صدام حسين وشاه إيران السابق فى الجزائر .. وأنه ليس للإيرانيين مايقلقهم تجاه .. «التغييرات المحتملة للأوضاع .. السياسية الجغرافية» .. فى المنطقة .

وأضافت الصحيفة .. « نقلا عن المصادر الإيرانية .. أن مبعوثين أمريكيين .. تجولوا فى منطقة الخليج .. لإقناع القيادة السعودية والكويتية .. بعودة العرش الهاشمى إلى العراق » .

وقالت الصحيفة .. « اعتبر المراقبون أن ما يحدث الآن فى الساحة الشرق أوسطية .. ماهو إلى محاولة .. أمريكية إسرائيلية جديدة .. لإعادة تشكيل المنطقة من جديد .. ويلعب العرش الهاشمى .. الدور الرئيسى .. والمركزى .. فى عملية التغيير المرتقبة » .

......

خطوات .. نحو الهدف

إذا تركنا جانباً .. الأقاويل والتكهنات .. واتجهنا مباشرة إلى الملك حسين نفسه .. لوجدنا أنه ليس بالشخص الذى يكتفى بالأحلام .. ولا بالتمنى لأمر يتحرق شوقا إليه ..

فالذين يعرفون الملك حسين .. يقولون أن طريقته فى التفكير تميل إلى غير المباشرة .. أو بمعنى أوضح .. اللف والدوران حول الهدف .. والانتظار لحين اكتمال الظروف المواتية .. وتحين الفرصة المناسبة ..

ومن هنا كان التصاقه بالعراق .. منذ الحرب العراقية الإيرانية .. وحتى كارثة غزو الكويت ..

وكان أيضا اختياره الوقت المناسب لفك ارتباطه بالنظام العراقى .. وصدام حسين ..

فقد بات واضحا أن النظام العراقى ينتظره مصير محتوم واحد .. السقوط .. والملك حسين يريد أن ينأى بنفسه .. وبنظامة عن هذا المصير ..

ولكن عينه .. فى نفس الوقت . على الشحنات الهائلة من البترول العراقى والتى يعتبر الأردن فى أمس الحاجة إليها ..

وأيضا عينه على السوق العراقية .. حيث تصرف السلع الأردنية .

ومن هنا والملك حسين منذ فترة طويلة يحاول تبرئة نفسه من القيام .. بدور المحرض .. أو دور الشريك .. فى غزو الكويت .. ويحاول تحسين علاقته .. وإعادة الجسور مع السعودية .. والكويت ودول الخليج ..

وهو فى نفس الوقت حريص على أن تظل الجسور قائمة .. بينه وبين العراق .. للسبب الاقتصادى السابق ذكره .. وأسباب أخرى .. أهمها أن يتمكن فى الوقت المناسب .. من اختراق النظام العراقى .. وتنفيذ المخطط الموضوع للتغيير الداخلى فى العراق .. بدعوى انقاذ الشعب العراقى ..

وانهاء معاناته .. وقد يتمكن من خلال ذلك من إقامة وإحياء العرش الهاشمي للعراق .. بدعوى الحفاظ على وحدة الأراضى العراقية .. وعدم تقسيمه إلى عدة كيانات .. أو بالتحديد .. ثلاثة كيانات .. سنة .. وشيعة .. وأكراد .

ثم إن الملك حسين باحتفاظه بتوازنه بين العراق .. والمتغيرات على الساحة العربية الرافضة لنظام صدام .. يؤكد دور الأردن .. ويحافظ على مكانها .. بالنسبة للترتيبات القادمة فى المنطقة .. مع مسيرة تحقيق السلام مع إسرائيل ..

ومن هنا يمسك الملك حسين بالعصا من منتصفها .. فهو لا يهاجم صدام .. مباشرة ولكنه .. يتكلم عن رفع المعاناة .. من الشعب العراقى .. وانقاذ العراق ..

ولكن مما لا شك فيه أن الملك حسين .. يعلم بالاحتمالات القادمة على الساحة العراقية .. بل ويساهم فى صنعها .. ويشارك فى التغيير .. لأن « تصرفات حكومة بغداد .. غير الواقعية .. تسببت فى معاناة .. العراق .. والعرب » .

...

ولعل أكبر دليل على مساهمة الملك حسين الفعلية .. وأيضا الخفية .. فى إسقاط حكم صدام .. يتمثل فى « تمثيلية » هروب .. حسين كامل .. صهر صدام وأخيه .. وابنتى صدام .

وقد حاول الملك حسين التنصل من التواطؤ فى هذه العملية .. فيقول إنه ليست بينه وبين صهر صدام .. أو .. رجل الأسرار العسكرية .. ويؤكد أن آخر مرة قابل فيها حسين كامل .. كانت فى طريق عودته من موسكو .. قبل مجيئه .. لاجئا .. إلى عمان .

وعن سبب هذا اللقاء يقول الملك أن حسين كامل كان يحمل له .. رسالة من القيادة العراقية .. تطلب فيها منه عمل .. المستحيل .. رفع

الحصار المفروض على العراق ..

وفى المقابل طلب منه الملك حسين أن ينقل للقيادة العراقية .. رسالة مكتوبة .. بأنه .. أى الملك حسين .. لم يستشر فى أى موضوع .. إذا كان المطلوب .. انقاذ العراق .. فلا بد من .. المصارحة .. والمكاشفة .

ولكن الأمور لا تسير دائماً فى الاتجاه الذى يرضى الملك ..

فهذه مجلة .. يو إس نيوز الأمريكية .. وهى مجلة وثيقة الصلة بدوائر المخابرات المركزية الأمريكية .. تكشف بالتفصيل .. الرواية الحقيقية .. لهروب حسين كامل .. وكيف ساعدته المخابرات المركزية .. بعد إجراء اتصالات به .. من خلال الملك حسين نفسه .. فى وقت مبكر عن عملية الهروب بوقت طويل .. فى عمان .

وتروى المجلة أنه تم وضع اللمسات الأولى لهذه العملية .. خلال اللقاء التى تم فى قصر .. رغدان .. الملكى فى عمان .. بين الملك حسين .. والفريق حسين كامل فى إبريل عام ١٩٩٤ .. والذى كان حتى ذلك الوقت .. أحد الرجال الصفوة .. وعلى مقربة كاملة .. من مصدر القرارات .. الحاسمة .. بل وأحد جلادى الشعب العراقى .. المتسلطين .

وكان الفريق العراقى فى عمان .. يتلقى علاجا خاصا .. فى مركز الحسين الطبى .. بعد جراحة لإزالة .. أورام فى المخ .

وخلال هذا اللقاء .. الخاص جدا .. أبدى حسين كامل تذمره .. من الأوضاع .. السيئة .. فى العراق ..

كما عبر عن استيائه من محاولة عدى ابن صدام حسين .. فى « تهميش » دوره .. فى قمة السلطة ..

وتقول المجلة .. أن الملك حسين التقط هذه المعلومة بسرعة .. وأبلغها للمسئولين فى واشنطن .. الذين طلبوا منه « تجنيد ».. الفريق .. المتزمر .. وابلاغه بالتعاون مع المخابرات الأمريكية .. مقابل ضمانات لأمنه ..

وأيضا مساندته سياسيا .. إلى الحد الذى قد يمكنه .. من اعتلاء السلطة .. شخصيا فى العراق .

وعندما عاد حسين كامل مرة أخرى إلى عمان .. لاجراء الفحوص الطبية لاستكمال العلاج .. فاتحة الملك حسين فى الأمر ..

وفعلا تمت لقاءات واجتماعات سرية .. بترتيب من الملك حسين .. شخصيا .. بين حسين كامل .. ومسئولين فى المخابرات المركزية الأمريكية .. فى قصر رغدان الملكى فى عمان ..

وقد حضر هؤلاء المسئولون الأمريكيون إلى القصر .. فى زى البدو .. حتى لا يثيروا أية شكوك أو شبهات .

وتقول المجلة .. أنه فى النهاية .. جرت مناقشة التفاصيل .. لعملية .. الهروب الكبير .. من بغداد .. عندما كان حسين كامل يقضى اجازة فى عمان .. فى مايو ..

وتحدد موعد التنفيذ فى أغسطس الذى يليه .. تحت غطاء .. زيارة حسين كامل .. لبلغاريا .. عن طريق عمان .. لعقد صفقة أسلحة للجيش العراقى ..

...

ورغم هذا التأكيد .. الشرح التفصيلى .. لكل شئ .. فمازال الملك حسين ينكر .. أن له أى دور فى عملية الهروب .. وأنه .. « فوجئ » بالفريق العراقى يتصل به .. بعد وصوله .. فعلاً .. إلى عمان .. يطلب حمايته .. وحماية الشعب الأردنى .. له ولأسرته .. الفاره من جحيم صدام .

...

ويقول الملك حسين عن حسن استقباله لصهر صدام .. بأنه .. ساهم .. هو واسرته .. فى إزالة الغشاوة عن العيون .. لتبصر ما انطوى عليه الواقع فى العراق .. من ألم ومعاناة ..

وإذا أمكن للملك حسين تبرير حسن استقباله للهارب العراقى .. فمما لا شك فيه أنه لن يستطيع تبرير .. « الضجة الإعلامية » .. التى أتاحها لضيفه الهارب .. وتلك التصريحات .. والأخبار .. والأسرار التى طيرها ..

وأيضا .. لن تستطيع .. تبرير محاولته .. جمع المعارضة العراقية على صهر صدام ..

وأيضا .. لن يستطيع تبرير محاولة تقديم حسين كامل .. للدول .. العربية .. والأوروبية على السواء .. على أنه .. بطل قومى ..

وهو الأمر الذى رفضته الدول العربية .. بل رفضت مجرد استقباله ..

...

ومساعدة فى هذا الاتجاه .. بدأ الملك حسين سلسلة من الانتقادات .. للنظام العراقى .. ومسايرة الرأى العام .. العربى .. والداخلى فى العراق .. ضده .

بل وبدأ الملك حسين مؤخرا فى محاولة ساخرة .. للتأثير على هذا النظام .. فى الحديث عن .. تنفيذ قرارات مجلس الأمن .. « جميعا » .. وعودة الأسرى الكويتيين لدى العراق .

والأكثر من ذلك .. يسافر الملك حسين .. إلى لندن .. ويجتمع بالمعارضين للنظام العراقى .. الذين صرحوا بأنه .. وعدهم بالمساعدة فى الإطاحة بصدام » ..

ويحث الملك حسين .. المعارضين العراقيين .. فى المنفى .. على توحيد صفوفهم .. أولا .. قبل السعى للإطاحة بصدام ..

ويذكر أن هذه الاجتماعات .. بين الملك الأردنى ورموز المعارضة العراقية .. استغرقت أسبوعا كاملا ..

وفى المقابل .. يؤكد ولى العهد الأردنى .. فى عمان .. فى نفس الوقت « استعداد الأردن .. لاستضافة اجتماعات المعارضة العراقية .. إذا

كان ذلك سيساعد على حل خلافاتها » ..

ويقول الملك حسين .. بعد كل هذا .. « لا مطمع لى فى العراق .. سوى رؤيته .. يخرج من الظلام .. ومن ليل معاناته الطويلة .. إلى فجر حريته وتحرره .. من كل أسباب معاناته .. داخلية أو خارجية » ..

ولكن الملك .. يبشر بكل ذلك .. وبعودة العراق إلى الاستقرار .. أو عودة الاستقرار إلى العراق .. عبر طريق واحد .. هو عودة الحكم الهاشمى إليه ..

وهذه الدعوى ليست وليدة اليوم .. ولكنها كما سبق أن قلنا .. حلم المستقبل والأمل .. الذى لم ينفه الملك يوما .. ولكنه كان يلمسه .. أو يثيره .. بالقدر الذى لا .. يغير من حليفه القديم .. صدام عليه ..

فمنذ سنوات طويلة .. وفى ذروة الحرب العراقية الإيرانية .. سئل الملك حسين .. حليف صدام الوثيق .. عن إمكانية .. عودة الملكية .. فى تلميح طبعا للهاشمين الذين ممثلهم الوحيد على الساحة هو الملك حسين .. إلى العراق .. فأجاب :

« نعم .. ما الذى يمنع عودة الملكية إلى العراق .. إذ كان هذا هو اختيار الشعب العراقى .. فالملكية .. عادت .. إلى أسبانيا .. بعد أن غابت عشرات السنين .. »

ويومها سكت صدام .. لأنه كان يحصل على دعم سياسى .. لا محدود .. من الملك حسين .. طوال فترة هذه الحرب .

بل أن صدام نفسه .. أرضاءا لغرور الملك حسين .. وجلبا لصداقته .. أعاد الاعتبار للعهد الهاشمى لحكم العراق ..

فقد جدد القبور التى كادت تندثر .. بل وتماثيل .. فيصل الأول .. والشهيد غازى .. وفيصل الثانى .. وأعاد لهم اعتبارهم .. فى خطبه الإعلامية والسياسية ..

ولعل هذا شجع الملك حسين .. على إلقاء .. خطاب جامع .. تحدث فيه .. عن الحكام من أهل بيت النبوة المشرفة .. بداية من انطلاق الدعوة العباسية .. ووصولا إلى زمن مقتل ابن عمه الملك فيصل الثانى .. ملك العراق عام ١٩٥٨ .

وتحدث الملك حسين عن « .. آل البيت الذين ترصع مقامات شهدائها .. أرض العراق .. وتعلو مثل رايات بنى هاشم .. الحاضرة فى كل نضال .. من أجل الحرية والعدل وكرامة الإنسانية .. »

ويربط الملك هذا التاريخ الخالد ويتسلسل به .. « منذ على بن أبى طالب كرم الله وجهه .. والحسن والحسين .. رضوان الله عليهما .. وصولا إلى زمن فيصل الثانى .. وأسرته .. الذين سالت دماؤهم ذكية .. تروى نفس منبع النبع نفسه .. .. نبع كربلاء .. أرض العراق .. دفاعا عن المبدأ .. والحق .. والكرامة .. والحياة » .

وفى هذه الإشارة إلى الإمام على « كرم الله وجهه ».. وآل البيت .. غزل .. واضح .. للشيعة من أهل العراق ..

ويطمع الملك حسين من وراء ذلك إلى كسب ود وتأييد الشيعة وهم قوة شعبية كبيرة .. ليمهدوا لعودة الهاشميين ..

وقد سبق لعم الملك حسين .. الملك فيصل الأول .. أن داعب هو الآخر عواطف الشيعة .. بأن اختار يوم عاشوراء .. لتتويجه على عرش العراق .. وهو الأمر الذى ما زالوا يحمدونه له حتى الآن .

وتحدث الملك حسين من يوم « استشهاد رفيق صباى .. فيصل الثانى بن غازى .. فقد كنت نائبة .. وريثه .. فى رئاسة الاتحاد العربى .. الذى ضم الدولتين .. والذى رحل ضحية .. تآمر كل القوى المعادية .. »

وهنا إشارة واضحة .. من الملك حسين .. على أنه له الحق فى وراثة شرعية .. بشكل ما .. للعرش العراقى .. نتيجة أنه كان نائبا لرئيس دولة الاتحاد الهاشمية .. بين الطرفين الهاشميين فى كل من بغداد وعمان ..

ويضيف الملك حسين .. فى إشارة أيضا أن له سلطة على مقدرات الأمور فى العراق .. بشكل مباشر .. « وقد تركنا .. الشعب العراقى .. أن يختار طريقه .. ويعيش تجربته .. وتمنينا أن لا ينفرط عقده .. الذى جمعه الأشميون .. سنة .. وشيعة .. عربا .. واكرادا » .

وهكذا يستجلب الملك حسين .. برضاء .. كل الأطراف .. فى محاولة لتوسيع قاعدة الرضاء الشعبى العراقى .. عن آماله ..

ثم أخيراً يلجأ الملك حسين إلى استثارة عواطف الجيش العراقى .. فيتحدث عن انبثاق واحد .. ومصدر واحد .. للجيش العربى .. وهو الاسم الرسمى للقوات المسلحة فى كل من الأردن والعراق .. فأصلهما واحد .. هو الجيش العربى .. الذى قادة الهاشميون .. فى قيادة موحدة .. سابقاً ..

وبما أن الملك حسين هو الوريث الظاهر .. والذى أعلن .. أبوته .. للأسرة الهاشمية .. فإن له « وراثة » .. فى هذا الجيش العربى .. سواء فى الآردن أو العراق .

وطبعا فإنه دون تحقيق آمال الملك حسين .. رغم كل هذه التحركات .. الكثير .. والكثير ..

فأكبر دول المنطقة الخليجية .. المملكة العربية السعودية .. والعدو التقليدى .. السابق.. والدائم للأسرة الهاشمية .. لا يمكن أن ندع الملك حسين . سليل هذه الأسرة .. ليحكم بالكامل .. هذا الجزء الكبير .. والخطير .. من الأرض العربية مما يمكنه فى القريب العاجل .. من خلق متاعب .. ربما أكثر كثيراً من تلك التى يثيرها صدام حسين نفسه .. ويهدد أمن دول الخليج المجاورة .. وربما البعيدة أيضا مثلما فعل صدام .

وهناك سوريا أيضا .. والتى تستضيف هى الأخرى جانبا من المعارضة العراقية .. كما أن سياستها هى .. العامة تقوم على مناوأة الحكم البعثى فى العراق ..

وسوريا التى تعانى الأمرين من تطلعات الملك حسين .. وتحالفاته

حتى مع اسرائيل .. التى ما أن وقع اتفاق الصلح بينهما حتى صارت وكأنهما .. توحدتا .. لن تسمح له هى الأخرى .. بأن يكون قوة مسيطرة فى المنطقة .. تسير يوما ما على غير هوى العرب القومى .

وإيران التى تتربص بالدول المجاورة عموما .. العراق .. وغيرها .. وتمتد شوكتها إلى الأضرار بدول الخليج ..

إيران التى عانت ثمانية سنوات .. طويلة شاقة من الحرب الطرفية التى انتهت بكسر الشوكة الإيرانية الموجهة للعراق ..

إيران هذه لن تسمح .. للملك حسين .. بأن يكون دولة .. جوار .. قوية .. تقض مضجعها .

على أنه فى رأينا .. شخصيا .. أن كل هذه المقومات .. والاعتراضات .. وربما أيضا .. التهديدات .. لن توقف السعى الأردنى الهاشمى المكثف حاليا ..

فهناك على الجانب الآخر القت الولايات المتحدة الأمريكية .. بكل ثقلها .. وأن كان ذلك غير معلن .. ولكنه حقيقى .. إلى جانب جهود الملك حسين .

بل نقول أكثر من ذلك .. ربما أن الملك حسين نفسه .. عضو فى تنفيذ مخطط أمريكى بهذا المعنى ..

وفى رأينا .. أن الحل .. الهاشمى .. يدق أبواب الساحة السياسية العراقية .. ويفرض نفسه على الساحة السياسية العربية .. كلها .. رغبا .. أو رهبا ..

......

وإن غدا لناظره .. قريب

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة